سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة

العقود الفضية

في

أصول الإباضية

تأليف
الشيخ العلامة
سالم بن حمد بن سليمان الحارثي

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على الدوام والشكر له على الفضل والانعام والصلاة والسلام على محمد سيد الانام وعلى آله وصحبه الكرام وعلى التابعين لهم باحسان الى يوم القيام اما بعد فان قطر عمان قد مضت له برهة من الدهر وهو في عالم الخفاء منقطعا حتى عن شقيقاته من الاقطار العربية ومن اجل ذلك خفيت مساحات عمان واسماء نواحيها وبلدانها على اكثر المجاورين لها فضلا عن النائين عنها مع كونها واسعة الاطراف كثيرة النواحي شامخة الجبال تشقها الاودية الكبيرة تشتمل على بلدان كبيرة وقرى كثيرة وقد ذكر حدودها ومساحتها الجغرافية الشيخ الاديب الكاتب محمد بن عبدالله بن حميد السالمي في كتابه نهضة الاعيان في تاريخ عمان وكذلك كتب عنها الشيخ القاضي الفقيه سالم بن حمود السيابي في كتابه العنوان وبها الكفاية في ذلك ولكنهما لم يكتبا عن داخلية عمان شيئا فطلب مني حضرة فضيلة الشيخ الولد العلامة سالم ابن حمد بن سليمان الحارثي ان اكتب هنا ما يحضرني من اسماء نواحيها المعروفة وحوزاتها الموصوفة فتلبية لهذا الطلب اقول ان ارض عمان ثلاثة اقسام فما كان من قراها محاذيا الخليج العربي يسمى الباطنة وذلك من بلد السيب الى الخطمة ملاحة غربا وما ارتفع عن الباطنة جنوبا وقرب من الجبال يسمى الحجر نسبة الى حجر الجبال واكثر بلدان عمان حجرية لانها تقع في هذا القسم حتى مسقط ومطرح ووادي بوشر ووادي حطاط ووادي الطائيين ووادي دما ووادي ضيقه ووادي إسماعيه وخبه ووادي طيوى وقلهات ـــــ

الحدود صور كلها تعد بحرية لانها تكتنفها الجبال والحزوم
والكدى(١) وما انفصل عن الجبال من الناحية الجنوبية فهي
عندهم معروفة بناحية الرمال واكثر سكان هذه الناحية الاعراب
اصحاب المواشي وليس في هذا القسم الرملي شيئ من البلدان لقلة المـاء
فيه وهذا القسم واسع الصحارى والمفازات يتصل بالربع الخالي غربا
ويحدود ظفار جنوبا وقد اصطلح اهل عمان فيما بينهم على قسمة تسمية
نواحيها للتمييز فسموا ما كان شرقي بلدان العوامر الى آخر حدود بدية
بالشرقية كما ان اهل الشرقية يسمون ناحية بلد العوابي ووادي
بني خروص ووادي المسرستاق بالغربية وكذلك يسمي اهل عمان
سمائل الفيحاء واظن هذه التسمية خاصة بسمائل وحدها دون
سائر البلدان التي بوادبها ولعلها سميت بذلك لما يفوح فيها
من روائح الثمار والازهار حينما تهب نسمات الاسحار ويسمون
ازكي جرنان باسم صنم كان بها في الجاهلية ومن اشهر نواحي
عمان ناحية الجوف بجيم معجمة لانها تضم جملة قرى وبلدان وحدها
من المشرق نجد السحامة ومن الغرب نجد المخارم ونجد المصلى ومن
الجنوب بلد بسيا ومن الشمال الجبل الاخضر وفيها من البلدان
الكبيرة ادم ومنح وازكي والبركة وفرق ومنها كان الامام ابو الشعثاء
جابر بن زيد صاحب البحر ابن عباس وتلميذه رضوان الله عليهم
وقبر ابنته الشعثاء موجود بها الى اليوم ونزوى التي تسمى بيضة
الاسلام ماوى اكثر ائمة عمان ظهورا وبطونا وبها بلد العلامة الشهير

---

(١) او لسعتها كما يقال للمكان الواسع مكان أفيح

ابي محمد عبد الله بن محمد بن بركة وفيها معامل العباءات الصوفية
الغليظة واواني الخزف وكلاوات المآء الذي يُبَرّد فيها للشرب واوعية التمر
الذي بناه الامام بلعرب ابن الامام سلطان بن سيف مالك
وبالقرب منها قصر يبرين ويقال للبلد الذي بني فيه في عرف العامة
جبرين وعلى عشرة اميال من يبرين تقع بلدة بسيا بضم الموحدة
من جهة الجنوب وهو بلد الشيخ العلامة ابي الحسن علي بن محمد البسيوي
اشهر تلاميذ الشيخ ابي محمد السليمي البهلوي الذي مَرّ ذكره وفي
ناحية الجوف حوزة كدم بضم الدال وهذه الحوزة تقع شمالي بهلا
الى سفح الجبل الاخضر تجمع عدة قرى منها بلاد سيت والحمرآء والقرية
والقلعة والعارض وذات خيل والعارض هي بلد الامام الشهير والعلامة
الكبير ابي سعيد محمد بن سعيد الناعبي الكدمي وفيها قبره وهو من
معاصري ابي محمد وقد ادرك ايام الامام سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب
وهو شابّ وقد تلمذ بنزوى على الشيخ محمد بن روح بن عربي السمدي النزوي
وعلى الشيخ ابي الحسن محمد ابن الحسن السعالي النزوي ومن ناحية الجوف
ايضا وادي سيفم واعلاه البلد المسمى الوادي الاعلى والعيشي والغافات
وسيفم التي ينسب اليها هذا الوادي والجبيلة وهي غير بلد الجبيلة
التي بوادي بني جابر من اودية سمائل، وحوزة الارض التي فيها بلد
عبري والسليف والعراقي والعينين والدريز تسمى الظاهرة لظهورها
عن الجبال التي تكتنف ارض الجوف ويقال ان بلد بات ومقنيات
والعارض والكهنات والهيال الى بلد ينقل كلها من بلدان الظاهرة
وخصت العينين والعراقي والغبي البائدة باسم ارض السر ولست

اعرف سبب تسميتها بذلك وقد كان الكتّاب السابقون الذين
ادركوا عصر ايمة اليعاربة اذا نسخوا كتابا يكتبون في آخر هكذا
نسخته وانا فلان بن فلان في يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا ببلد
كذا من ارض الستر هذا اذا كتبوه في احدى القرى الثلاث المذكورة واما
الحوزة التي تضم بلدان البريمي من جبل حفيت شمالا الى حدود بلدان
بني كعب فهي تسمى في عرف القدماء ارض الجوّ وقد يغلط كثير
من العمانيين فيسمونها توام او توام هي بلد صحار مما يلي البحر
وكانت بلد راس الخيمة تسمى في القديم جلفار وقد ضبطها
بعضهم بضم الجيم وتشديد اللام المفتوحة ويجوز تخفيفها ساكنة
وبعضهم يسميها الصير باسم موضع فيها معروف بهذا
الاسم الى اليوم وكانت علاية الرستاق والعوابي تسميان سوني
القديمة باسم الجبل المطل عليهما ثم صرفت هذه التسمية الى العوابي دون
علاية الرستاق وقد خصّوا به العوابي القديمة المنفصلة عن مجرى الوادي
الى الجهة الشمالية وهذه التسمية باقية لها الى اليوم في الصكوك التي
يكتبونها في بيوعهم اذا كان الصك في اقرار بيع او هبة او وقف
او وصية فيكتبون بعد كتابة الاقرار وتعيين البائع والمشتري
وذكر المبيع من بلد العوابي سوني القديمة ولست احفظ في حوزة
وادي المعاول ونخل ولا جالا الطو تسمية جامعة غير اسماء الاعلام
المميزة لهذه البلدان بعضها من بعض مع ان وادي المعاول
بما فيه من البلدان ونخلا من احسن بلدان عمان الداخليه

واطيب بها هواء وادناها الى البحر الآن بلد نخل كانت يقال
لها نخل شاذون ولست ادري هذه الاضافة لاي مناسبة
ولعل شاذونا اسم رجل مشهور بها سابقا فاضافوها اليه ،
وكانت بلد السيب العامرة تسمى دُما بوزن جمع دُمية
وهذا الاسم يطلق على موضع معروف بها الآن ولعلها سميت
كذلك باسمه من تسمية الكل باسم الجزء وقد اوّل بعضهم
تسميتها بذلك لكثرة ما كان يراق بها من الدماء ايام كانت
فارس والعراق والهند بالبوارج(١) تعدوا على عمان وقد كانت يومئذ
موضع رباط اهل عمان تجاه من يقابلهم من جهة البحر بالعدوان
حتى قال بعض علماء ذلك العصر افضل الرباط اليوم رباط المسلمين
او رباط العدو بدُما(٢) وان ثبت هذا التاويل فيكون ضبط هذا
الاسم بكسر الدال مشتقا من الدم المراق بها او هو جمع دم
فقصر لتأنيث الاسم وقيل ان وادي بوشر كان معدودا
من اودية حطاط وحطاط بكسر الحاء المهملة في عرف الناس
وليس في شيئ من اوديته بلد تسمى حطاطا الآن فما ادري
لاي شيئ سمي هذا الوادي بذلك والبلدان التي وقعت
في الاودية الجبلية مما يلي الباطنة من الخابورة الى صحم يطلق
عليها اسم الجِدّان واكثر هذه البلدان في وادي شافان
ووادي الصرمي بفتح الصاد المهملة وتشديد الراء المفتوحه
واليها ينسب الحواري بن عبدالله الحداني الذي نصب اماما

(١) البوارج مراكب العدو واتخذ الامام غسان سفنا لقتالهم تسمى الشذا
(٢) وكان في الرباط عدد من العلماء جمع لفتاواهم جامع سمي كتاب الاشياخ معروف

ايام الفتنة الواسعة النطاق في عمان بعد وفاة الامام الصلت
ابن مالك الخروصي ومن البلدان التي تجمعها اسم الاودية
بعمان وادي الجزي ووادي عاهن ووادي بني عمر ووادي الحواسنة
ووادي الجهاور ووادي الحيملي ووادي بني غافر ووادي السحتن
ووادي بني عوف ووادي الرستاق ووادي بني خروص ووادي
بني جراص ووادي مستل بوزن محمل ووادي بني رواحه ووادي
بني جابر ووادي الطائيين ووادي محرم ووادي عندام ووادي
ووادي مجا البدار
ذمى وفي الشرقية اودية كثيرة لم تحضرني اسماؤها ويقال ان بندر
صور تعد من ناحية الشرقية ومنتهى نواحي عمان من الشرق
الناحية الشهيرة ذات البلدان الخصبة الكبيرة ناحية جعلان
وفي صحاريها الغابات الكثيرة فهذا ما حضرني ذكره وقد فاتني
كثير ان لم يكن فاتني الاكثر لاني كتبت هذا على عجل وانا بمدينة
القاهرة الزاهرة العامرة وكان الشيخ الولد العالم الجليل
سالم بن حمد بن سليمان الحارثي طالب هذه العجالة معنا
بالقاهرة فكان هذا من اكبر الحظ ودواعي الانس والسرور
والحمد لله الملك الغفور والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وتابعيهم باحسان الى يوم الدين وذلك بتاريخ ليلة
٢٥ ربيع الاول ١٣٩٤هـ وقد كان بمعيتي ولدي عبد العزيز
ابن ابراهيم اهـ

ابراهيم بن سعيد العبري

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة فضيلة شيخنا الوالد العلامة سالم بن حمد بن سليمان الحارثي
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته اما بعد فاني قد كتبت لك في اقسام بلدان عمان ونواحيها ما حضرني اسمه وتيسّر لي رسمه اجابةً لطلبك واتماما لرغبتك اذ لا يمكننا غير اسعافك فيما تريده منا من المساعدة على الخير الذي هداك الله اليه واعانك عليه فهذا هو يصلك الآن فانظر فيه فان رايت تقصيرا فاكمله او زيادة فاحذفها او غلطا فاصلحه وارجو منك ان تعتني به عند الطبع لتنبه على الكلمات الموضوعة بين الاسطر لاجل زيادة او بيان لئلا يشكل على القائم بامر الطبع فيقع الغلط والله يوفقك ويمدك بعونه وعنايته والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

القاهرة يوم ٢٥ ربيع الاول ١٣٩٤هـ الموافق ١٧/٤/١٩٧٤
محبك ابراهيم بن سعيد العبري بيده

بعد تمام طبع الكتاب وصلتني رسالة الشيخ ابراهيم محمد بن الله عند وصولها لتكمل الفائدة بها
سالم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله الذي من علينا بالإسلام . وشرفنا بكتابه العزيز الذي أنزل فيه . إن الدين عند الله الإسلام . ومن يبتغ غيرَ الإسلام دينا فلن يقبل منه

والصلاة والسلام على رسوله المصطفى ونبيه المجتبى الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانه ونصح الأمة وعلى آله وأصحابه أنوار الظلام وقادة الأنام إلى الهدى وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم القيام (أمّا بعد) فإن من حكمة الله في خلقه أن ابتلاهم بالخير والشر والطاعة والمعصية . ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون . وجعل كتابه منه المحكم ومنه المتشابه منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ـ فافترقت الأمة على مذاهب وكل مذهب يرى أنه المحق وغيره المبطل فمنهم المقلد ومنهم المجتهد

ومنهم المبالغ في التعصب لمذهبه ومنهم المتساهل الذي يلتمس الحق حيثما وجده - ولوردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستبطونه منهم - فهذا كتاب الله وسنة رسوله المجمع عليها بين أيديهم وكان الواجب الرجوع إليهما والتماس العذر لمن يحتمل له العذر وترك القدح والتخطئة لمن يحتمل الخلاف والعذر في قوله ولكن قدر الله سابق وحكمه نافذ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك .

ثم إن من جملة المذاهب الإسلامية مذهب الاباضية المعتمد على الكتاب والسنة والإجماع والقياس فيما لم يرد فيه نص وقد طلب مني كثير من المشايخ والإخوان أن أكتب نبذة من سيرتهم وطائفة من نشأتهم وإن كنت لست أهلا لذلك وفي المذهب رجال هم أولى مني بذلك ولكن امتثالا لمن طلب وموافقة لمن رغب وتقربا إلى الله في تحرير العلم ودفع الظلم أقول متبركا بالرسول وأصحابه الفحول وقد تخيرت من الروايات أصحها ومن الأقوال أرجحها وأصبح اليوم الناس وعندهم حرّية في القول والتفكير يعطون القضـــايا حكمها غير منقبعين تحت رأي فلان وتفكير فلان .

شمّر وكن في أصول الدين مجتهدا ولا تكن مثل عير قيدَ فانقادا
من يعرف الرجال بالحق فلا تلقـــاه في الأمور إلا بطلا

وهذا المذهب أقدم المذاهب تاسيساً وعلماؤه أكثرهم تاليفا فهم أول من دوّن تفسير القرآن وأول من دوّن الحديث وأول من دوّن الفقه والله حسبي ونعم الوكيل منه المبدا وإليه الرجعى وله الحمد في الآخرة والأولى نعم المولى ونعم النصير .

باب في ذكر شيء من حياة

النبي ﷺ وخلفائه الراشدين

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن حكيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانه بن خزيمه بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معـــد بن عدنان هذا ما أجمع عليه المؤرخون في نسبه ﷺ وانه متصل بالنبي إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وروى عنه ﷺ ان الله اصطفى كنانةمن ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفىمن قريش بني هاشمواصطفانيمن بنيهاشم وأجمع المسلمونعلى أنه صلىالله عليه وسلم أفضل المخلوقات على الإطلاق من ملائكة وجن وإنس وغيرهم وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن حكيم تجتمع مع أبيه في حكيم توفيت وهو ابن ست سنوات وتوفى أبوه وهو في بطن أمه ولد بمكة ليلة الإثنين عند الفجر لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول وفيها يحسن الاحتفال بمولده الشريف وإكثار الصلاة والسلام عليه . وذلك بعد مقدم الفيل بشهر عام ٥٧٠ ميلادية

بالعشرين من شهر أيلول حملت به أمه يوم الإثنين ووضعته ليلة الإثنين وهاجر من مكة يوم الإثنين ووصل المدينة يوم الإثنين وتوفي يوم الإثنين وكان من مبعثه إلى أن دخل المدينة مهاجراً ثلاث عشرة سنة كاملة ومكث بالمدينة عشر سنين وشهرين إلى أن مات سنة أربع وستين من عام الفيل وسنة ستمائة وثلاثة وثلاثين للميلاد هذا ما اختاره بعض المحققين وروى الربيع بن حبيب في المسند الذي هو عمدة الإباضية أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أنس بن مالك ، قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتطامن ليس بالأمهق ولا بالآدم وليس بالجعد القطط ولا بالسبط بعثه الله على رأس أربعين سنة فأقام بمكة عشرا وبالمدينة عشراً وتوفاه الله وهو ابن ستين سنة وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء قال الربيع القصير المتطامن أقصر ما يكون والأمهق الشديد البياض اهـ .

قلت والآدم شديد السمرة والجعد القطط منقبض الشعر شديد الالتواء وكفن صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب صحارية رواه ابن هشام في السيرة فكان من شرف عمان أن كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثواب صحارية نسبة إلى صحار إحدى عواصم عمان المشهورة من بلدان الأباضية) .

قال ياقوت في معجم البلدان صحار قصبة عمان مما يلي الجبل وتوأم (قلت) هي واحة البريمي) قال قصبتها مما يلي الساحل وصحار مدينة طيبة الهواء والخيرات والفواكه مبنية بالآجر والساج كبيرة

ليس في تلك النواحي مثلها وقيل إنما سميت بصحار بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وهو أخو رباب وطسم وجديس قال اللغويون إنها تلي الجبل وقال البشاري صحار قصبة عمان ليس على بحر الصين بلد أجل منه عامر آهل حسن طيب نزه ذو يسار وتجار وفواكه أجل من زبيد وصنعاء وأسواق عجيبة وبلدة ظريفة ممتدة على البحر دورهم من الآجر والساج شاهقة نفيسة والجامع على الساحل له منارة حسنة طويلة في آخر الأسواق ولهم آبار عذبة وقناة حلوة وهم في سعة من كل شيء وهو يعني صحار دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن . والمصلى وسط النخيل ومسجد صحار على نصف فرسخ وثمة بركت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحراب الجامع بكوكب يدور فتارة تراه أصفر وتارة أحمر وأخرى أخضر هكذا قال قال ياقوت ولست أدري كيف كان بروك الناقة قال المؤلف قلت لعل هذه الناقة هي ناقة عمرو بن العاص رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمان حيث وصلها يدعوهم إلى الإسلام وكانوا أسرع الناس إجابة لداعي الله وهذا الوصف لصحار ينطبق عليها في زمان الإمام غسان بن عبد الله ومن بعده من الأئمة وقد تم عقد بيعته في العشر الأواخر من آخر القرن الثاني من الهجرة وقد كان له أسطول بحري مهم جداً وخصبت عمان في زمانه وكثرت الخيرات فيها وعمت البركات في نواحيها وإلى وقت غير بعيد وعمان يصدر منها إلى الخارج السمن

والثوب وأنواع كثيرة من المنتوجات العديده ونرجو بحياة هذا الشاب النشط المخلص لأمته ووطنه قابوس بن سعيد سلطـــان عمان أن يعيد إلى البلاد سعادتها الدينية ورفاهتها الدنيوية وما ذلك على الله بعزيز وإنمـــا وقع خراب على صحار في زمان الإمام الصلت بن مالك سنة إحدى وخمسين ومائتين بسيول مجحفه نزل عليها وادي صلان واعتمرت بعد ذلك .

(فايدة) نذكر ما نزل في القرآن مطابقاً للغة أهل عمان (الصاعقة) الموتة بلغة أهل عمان (خبالا) غيا بلغة أهل عمان (نفقا) سربا بلغة أهل عمان (أعصر خمرا) عنبا بلغة أهل عمان (دار البوار) الهلاك بلغة أهل عمان (قوماً بورا) هلكا بلغة أهل عمان (حيث أصاب) أراد بلغة أهــل عمان (إن المجرمين في ضلال وسعر) السعر الجنون بلغة أهل عمان .

كان العرب بعمان على الدين المسيحي ولما دخل عمرو بن العاص رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيفر بن الجلندي الأزدي ملك عمان قال له هل تعلم أن عيسى كان يعبد الله قال نعم قال أدعوك إلى عبادة من كان يعبد عيسى فأسلم وأسلم أهل عمان وحسن إسلامهم اهـ .

فصل أبو بكر الصديق

هو أبو بكر الصدّيق عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، وهنا يلتقي نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أجمع الصحابة على أنه أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال بعض المفسرين : عاتب الله أهل الأرض كلهم إلا أبا بكر في قوله تعالى ثاني اثنين إذ هما في الغار بعد قوله إلا تنصروه ، واتفق المحققون على أنه أفضل الصحابة ، ولد بعد الفيل بسنتين وستة أشهر ، وكانت وفاته يوم الإثنين لثمان بقين من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة للهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة ، أجمع الصحابة على استخلافه وتخلف عن بيعته سعد بن عبادة وعلي بن أبي طالب ، وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالسنح [1] فقام عمر يقول : والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : وقال عمر : والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك وليبعثنه

---

(١) بستان له بالعالية كان يخرج لإصلاحه خارج المدينة .

الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم . فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله قال : بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً والذي نفسي بيده لا يذيقـــك الله الموتتين أبداً ، ثم خرج فقال : أيها الحالف على رسلك ، فلمـا تكلم أبو بكر جلس عمر فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقـــال : ألا من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وقال : إنك ميت وإنهم ميتون ، وقال : وما محمد إلا رسول قــد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيــه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ، قال : فنشج الناس يبكون ، قال : واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا : منا أمير ومنكم أمير ، فذهب اليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح ، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر وكان عمر يقـول : والله مـا أردت بذلك إلا أني قد هيات كلاماً قد أعجبني خشيت أن لا يبلغهأبو بكر ، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس فقـــال في كلامه : نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، فقال حباب بن المنذر : لا والله لا نفعل ! منا أمير ومنكم أمير ، فقال أبو بكر : لا ولكنا الأمراء وأنـــتم الوزراء هم أوسط العرب داراً وأعربهم أحسابا فبايعوا عمراً وأبا عبيـــدة ، فقال عمر : بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وخيرنا وأحبّنا إلى رسولالله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس ، فقال

قائل : قتلتم سعد بن عبادة ، فقال عمر : قتله الله ، وقال مسلم عن عائشة إن علياً بايع أبا بكر بعد موت فاطمة رضي الله عنها وذلك لما فقد وجوه الصحابة الذين كانوا يزورونه في حياتها وحسنت حاله بعد ذلك وسيرته .

وأما سعد فقد خرج إلى الشام وتوفي بها ، وانتشرت الأعراب بل وجميع العرب على أبي بكر وارتدوا على أعقابهم ولم يبق إلا البعض متمسكاً بإسلامه ، ولكن الصديق لبس للمرتدين جلد النمر وتصلّب في وجوههم ولم يكن المرتدّون باشد عليه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في اعتراضهم عليه في قتالهم وأشدّهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولكنه ظهر جوهر الصدّيق وصلاحيته للخلافة حيث انتصب في مواقف أهمها أن وجد الصحابة محتارين بعد ما فاضت الروح الشريفة الطاهرة فخطب الخطبة التي ذكرناها ثانياً اختلافهم في دفن الجثمان الشريف ، فروى لهم أن الأنبياء يدفنون في المواضع التي قبضوا فيها . ثالثاً : في قتال أهل الردة حتى كشّر في وجه عمر رضي الله عنه بقوله : أَجبّارٌ في الجاهلية وخوّار في الإسلام يا عمر ؟ رابعاً : في بعث جيش أسامة الذي كان قد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام خامسا في ميراث أقارب النبي صلى الله عليه وسلم حيث روى نحن معاشر الأنبياء لا نورث وكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر فيما قيل وله أخبار وأحوال وآثار مع رسول الله صلى الله

عليه وسلم لا يطمع فيها غيره ولا تنال إلا بفضل الله فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم أمتي بأمتي أبو بكر سماه الله صديقا ومتقيا حيث قال والذي جاء بالصدق وصدق به أؤلئك هم المتقون واستخلفه رسول الله في الصلاة وهي عماد الدين وغيره مأموم كما قال الإمام علي بن أبي طالب رضيك رسول الله لديننا ورضيناك لدنيانا رواه أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم من علماء الإباضية في القرن السادس من أهل وارجلان بالجزائر وقال الإمام الثبت العالم الجليل محمد بن محبوب العماني من علماء القرن الثالث للهجرة ثبت عندي أنه نزل في أبي بكر فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى الآيات قلت وفي القرآن والسنة كثير من فضائله وفواضله لا يسع حصرها وله أقوال يقال إنها خاصة به وهي سبي المرتد وإنفاذ الوصية بالرؤيا .

لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عمرو بن العاص بأعيان أهل عمان إلى المدينة ولما اجتمعوا بأبي بكر الصديق قام فيهم خطيبا فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه معاشر أهل عمان إنكم أسلمتم طوعاً لم يطأ رسول الله ساحتكم بخف ولا حافر ولا جشمتموه ما جشمه غيركم من العرب ولم ترجعوا معها بفرقة ولا تشتت، شمل فجمع الله على الخير شملكم ثم بعث إليكم عمرو بن العاص بلا جيش ولا سلاح فأجبتموه إذ دعاكم على بعد داركم وأطعتموه إذ أمركم على كثرة عددكم وعدتكم فأي فضل أبر من فضلكم وأي فعل

أشرف من فعلكم كفاكم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم شرفا إلى يوم المعاد ثم أقام فيكم عمرو ما أقام مكرما ورحل عنكم إذ رحل مسلما وقد منّ الله عليكم باسلام عبد وجيفر ابني الجلندي وأعزكم الله به وأعزه بكم وكنتم على خير حال حتى أتتكم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاظهرتم ما يضاعف فضلكم وقمتم مقاما حمدناكم فيه ومحضتم بالنصيحه وشاركتم بالنفس والمال فيثبت الله ألسنتكم ويهدي قلوبكم وللناس جولة فكونوا عند حسن ظني فيكم اهـ.

فصل خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العز بن قرط بن رباح بن عبد الله بن رزاح بن عدى بن كعب وهنا يلتقي نسبه بالنبي صلى الله عليه وسلم وكنيته أبو حفص ولقبه الفاروق ولد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث عشرة سنة وأسلم قبل الهجرة بأربع سنوات فما زال الإسلام منذ أسلم في تقدم حتى مات أحيا الله به سننا كثيرة وأمات على يديه بدعا كثيرة وفتح على يديه ما يلي جزيرة العرب من العراق والجزيرة والشام ومصر وطرابلس وفارس وكرمان استخلفه أبو بكر على الناس وكتب الاستخلاف عثمان بن عفان ورضي به جميع المهاجرين والأنصار فعدل في القضية وقسم بالسوية وتصلب عند الرزية كان أول من أمر بقيام شهر رمضان وأول من دوّن الديوان وأول من سمي بأمير المؤمنين وأول من مصر الأمصار وأول من جعل أول التاريخ بالهجرة وأول من أعال الفريضة وأول من جمع الناس على أربع تكبيرات في الصلاة على الميّت وأول من جعل الطلاق بثلاث فأكثر في لفظة واحدة ثلاثا وأول من جعل جلد السكران ثمانين وأول من قسم الفيىء

بالتفضيل وكان قسمه بالسوية وأول من اتخذ المزكين في الشهادة وأول من اتخذ بيت المال ، وله أقوال وآراء يقال إنها خاصّة به منها إسقاط خمس ذوى القربى الثابت في قوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى ومنها إسقاط حق المؤلفة قلوبهم الثابت في قوله تعالى إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ومنها إسقاط القطع عن السارق عام الرمادة الثابت في قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ومنها ترك أخذ الزكاة من الناس عام الرمادة وأخذها في العام الثاني الثابت في قوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده ومنها أنه أعتق أمهات الأولاد على أربابها وقد ثبت رقهن في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ومنها إسقاط اسم الجزيه والذلة عن نصارى تغلب الثابت في قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر إلى قوله حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون ومنها رد الأملاك والأصول من الفيىء إلى أربابها بعد أن حازتها جيوش المسلمين وأعتقهم على المسلمين بعد أن كانوا عبيداً لهم الثابت في قوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيىء فأن لله خمسه وللرسول إلى قوله كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم ومنها اجلاؤه اليهود من الحجاز والنصارى من فدك وكانوا بها زمان النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر على العهد وكل هذا منه آراء ثاقبة وأنظار صائبة ينظر إلى مصلحة أعم وفائدة أتم .

روى العلامة الشماخي في كتاب السير وهو من علماء الإباضية من ليبيا عن علي بن أبي طالب ما خلفت أحداً أحب أن ألقى الله بمثل عمله منك يخاطب عمر وهو على النعش وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما اني لواقف في قوم فدعوا الله لعمر بن الخطاب وقد وضع على سريره إذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول رحمك الله إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك لأني كثيراً مـــا كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كنتُ وأبو بكر وعمر وفعلت وأبو بكر وعمر وانطلقت وأبو بكر وعمر فإن كنت لأرجو ان يجعلك الله معهما فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب هذا وكم من الآيات العديدة النازلة على لسان عمر موافقة لما يقوله حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه إلا عمر - وتوفي لسبع بقين من ذي الحجة تمام ثلاث من طعنة أبي لؤلؤة - غلام المغيرة بن شعبة بعدما كبر لصلاة الصبح إماما للجماعة ودفن مع صاحبيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وستين سنة فكان سنه وسن أبي بكر وسن رسول الله صلى الله عليـه وسلم متفقا ومدفنهم في حجرة عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فابو بكر خلف رسول الله وعمر خلف أبي بكر فلله ذلك المثوى ولله تلك الأجساد ولله تلك الأرواح ولله ذلك الاجتماع ولله تلك المزية وكانت مدة خلافة عمر عشر سنين وثلاثة أشهر فيما قيـل .

استعمل عمر بن الخطاب على عمان عثمان بن أبي العاص الثقفي سنة خمس عشرة فكتب إليه أن يقطع البحر إلى كسرى بفارس فندب عثمان العمانيين وانتدب إليه ثلاثة آلاف من راسب وناجية وعبد القيس وأكثر أزد شنوءة فعبر بهم عثمان من جلفار (رأس الخيمة) إلى جزيرة كلوان (القسم) وكان فيها قايد الفرس فسالم عثمان وكتب يزدجرد إلى أمير كرمان أن اقطع البحر إلى جزيرة كلوان فحل بين العرب الذين بها وبين إخوانهم ففعل وسار من هرمز إلى القسم فلقيه عثمان بها فقاتله فانتصر العمانيون عليه وهزم الفرس وقتل قايدهم وكان يدعى شهرك وفي ذلك يقول شاعرهم :

باب ابن ذى الحرة اردى شهركا والخيل تجتاب العباب الارمكا

ثم ساروا بعد الظفر بشهرك حتى قدموا العراق فنزلوا توج فشاركوا في تمصير مدينة البصرة وأمرهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن يبنوا بها منازلهم كما أمر غيرهم من العرب ووفد إليه من الغزاة كعب بن سور فاستقضاه عمر على البصرة وفي هذا ما يدل أن عمر أول خليفة قطع البحر غازيا ولعله بدا له بعد ذلك المنع .

فصل خلافة عثمان بن عفان

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أميـة بن عبد شمس بن عبد مناف وهنـا يلتقي نسبه بالنبي صلى الله عليه وسلم ولد بعد النبي صلى الله عليـه وسلم بست سنين كان يلقب بذي النورين وهما رقية وأم كلثوم ابنتـــا النبي صلى الله عليه وسلم تزوجهما واحدة بعد الأخرى جعل عمر بن الخطـاب الأمر بعده شورى بين ستة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عثمان وعلي وطلحة والزبير وعبـد الرحمن بن عوف وسعـد بن أبي وقاص فجعلوا الاختيار إلى عبد الرحمن لما تنازل عن حقـه من الخلافـة فاختار عثمانَ بعد مشاورة طويلة مع الصحابة كان عثمان ألينهم وأطيبهم وأحبهم وأكرمهم وتمت البيعة له في اليوم الثالث من شهرم محرم عام أربعـة وعشرين للهجرة وكثر في النـاس الرعاف حتى سمي هذا العام بعام الرعاف وكان فالاً للمسلمين سلك عثمان مسلك صاحبيه قدماً في الجهاد وفتح الثغور فافتتح ما وراء الدروب من الشام والماهان وأذربيجان وخراسان بعـــد الري وحلوان وسجستان

وأفريقية وكانت الفتوح هكذا متوالية في أطراف الأرض حتى وقع ما وقع من الافتراق والشقاق.

قال بن الأثير والطبري وغيرهما من المؤرخين أول ما تكلم الناس في عثمان أن أتم الصلاة بمنى وعرفة فكان أول ما تكلم الناس به في عثمان ظاهرا فعاب ذلك غير واحد من الصحابة وقال له علي والله ما حدث أمر ولا قدم عهد ولقد عهدت النبي صلى الله عليه وأبا بكر وعمر يصلون ركعتين وأنت صدرا من خلافتك فما أدري ما ترجع إليه فقال رأي رأيته وبلغ الخبر عبد الرحمن بن عوف وأنكر عليه بأشد من ذلك وكذلك حكوا عن ابن مسعود واعتذر عثمان بأعذار فقال له عبد الرحمن ما في هذا لك عذر وذكر ابن الأثير أيضاً حديث الوليد وشربه الخمر وهو عامله على الكوفة وتبديله ولاة عمر بأقاربه وبني عمه وانتشار الصحابه وأهل الغيرة عليه نصحاً وتداركاً ومنهم ابن مسعود وأبو ذر وعمار بن ياسر وعبد الرحمن ابن عوف وعلي بن أبي طالب وذكر بن الأثير حديث أبي ذر وإشخاص معاوية إياه من الشام إلى المدينة وسب معاوية إياه وتهديده بالقتل وحمله إلى المدينة من الشام بغير وطاء ونفيَ عثمان له من المدينة إلى الربذة على الوجه الشنيع وهذه فقرة أنقلها من ابن الأثير وهي مطابقة لما في الطبري وغيره من كتب التاريخ المعتذرة لعثمان والمخطئة له وأكتب ما اتفقوا عليه وأترك ما اختلفوا فيه قال في هذه السنة يعني سنة أربع وثلاثين تكاتب

نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم بعضهم إلى بعض أن اقدموا فإن الجهاد عندنا وعظم الناس على عثمان ونالوا منه أقبح ما نيل من أحد وليس أحد من الصحابة ينهى ولا يذب إلا نفر منهم زيد بن ثابت وأبو أسيد الساعدي وكعب بن مالك وحسان ابن ثابت فاجتمع الناس فكلموا علي بن أبي طالب فدخل على عثمان فقال له الناس ورائي وقد كلموني فيك وما أدري ما أقول لك ولا أعرف شيئاً تجهله ولا أدلك على أمر لا تعرفه إنك لتعلم ما أعلم ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه ولا خلونا بشيء فنبلغكه وما خصصنا بامر دونك وقد رأيتَ وصحبتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت منه ونلت صهره وما ابن أبي قحافة بأولى بالعمل منك بالحق ولا ابن الخطاب بأولى بشيء من الخير منك وأنت أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رحما ولقد نلت من صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم ينالاه وما سبقاك إلى شيء فاللهَ اللهَ في نفسك فإنك والله ما تبصّر من عمى ولا تعلّم من جهالة وإن الطريق لواضح بيّن وإن أعلام الدين لقائمة اعلم يا عثمان أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هدى وهدي فاقام سنة معلومة وأمات بدعة متروكة فوالله إن كلاً لبيّن وإن السنن لقائمة لها أعلام وإن البدع لقائمة لها أعلام وإن شر الناس عند الله إمام جائر ضل وأضل فأمات سنة معلومة وأحيا بدعة متروكة وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى يوم القيامة

بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم فيدور في جهنم كما تدور الرحى ثم يرتطم في غمرة جهنم وإني أحذرك الله وسطواته ونقماته فإن عذابه شديد أليم وأحذرك أن تكون إمام هذه الأمة يقتل فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة ويلبس أمورها عليها ويتركها شيعا لا يبصرون الحق لعلو الباطل يموجون فيها موجاً ويمرجون فيها مرجاً فقال عثمان قد علمت والله ليقولن الذي قلت أما والله لو كنتَ مكاني ما عنفتك ولا أسلمتك ولا عبت عليك ولا جئت منكراً أن وصلت رحماً وسددت خلة وآويت ضائعا ووليت شبيهاً بمن كان عمر يولى أنشدك الله يا علي هل تعلم أن المغيرة بن شعبة ليس هناك قال نعم فتعلم أن عمر ولاه قال نعم قـــال فلم تلومني أن وليت بن عامر في رحمه وقرابته قال علي إن عمر كان يطأ على صماخ من ولّى إن بلغه عنه حرف جلبه ثم بلغ به أقصى العقوبة وأنت لا تفعل ضعفت ورفقت على أقربائك قال عثمان وهم أقرباؤك أيضاً قال أجل إن رحمهم لقريبة مني ولكن الفضل في غيرهم قال عثمان هل تعلم أن عمر ولى معاوية فقد وليته فقال علي أنشدك الله هل تعلم أن معاوية كان أخوف لعمر من يرفاء غلام عمر له قال نعم قال علي فإن معاوية يقتطع الأمور دونك ويقول للناس هذا أمر عثمان وأنت تعلم ذلك فلا تغير عليه ثم خرج علي من عنده وخرج عثمان على أثره فجلس على المنبر ثم قال أما بعد فان لكل شيىء آفة ولكل أمر عاهة وإن آفة هذه الأمة وعاهة

هذه النعمة عيابون طعانون يرونكم ما تحبون ويسترون عنكم ما تكرهون يقولون لكم ويقولون أمثال النعام يتبعون أول ناعق أحب مواردهم إليهم البعيد لا يشربون إلا نغصاً ولا يرَدون إلا عكرا يقوم لهم رايدٌ وقد أعيتهم الأمور ألا فقد والله عبتم عليّ ما أقررتم لابن الخطاب بمثله ولكنه وطاكم برجله وضربكم بيده وقمعكم بلسانه فدنتم له على ما أحببتم وكرهتم ولنت لكم وأوطأتكم كتفي وكففت يدي ولساني عنكم فاجترأتم علي أما والله لأنا أعز نفرا وأقرب ناصرا وأكثر عدداً وأحرى إن قلت هلم أتى إلى ولقد عددت لكم أقرانا وأفضلت عليكم فضولا وكشرت لكم عن نابي وأخرجتم مني خلقا لم أكن أحسنه ومنطقا لم أُنطق به فكفوا عني ألسنتكم وعيبكم وطعنكم علي ولقاءكم فإني كففت عنكم من لو كان هو الذي يكلمكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا ألا فما تفقدون من حقكم والله ما قصرت عن بلوغ ما بلغ من كان قبلي ولم تكونوا تختلفون عليه قال فاشتد قوله على الناس وعظم وزاد تألبهم عليه إلى أن قال بعدما ذكر شكاوى العمال من الرعايا وشكاوى الرعايا من العمال فكتب عثمان إلى اهل الأمصار أما بعد فإني آخذ عمالي بموافاتي كل موسم وقد رفع إليّ أهل المدينة أن أقواما يشتمون ويضربون فمن أدعى شيئاً من ذلك فليواف الموسم يأخذ حقه حيث كان مني أو من عمالي أو تصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين فلما قرئ في الأمصار بكى الناس ودعوا لعثمان فاستدعى عثمان العمال

في الموسم وتداولوا الحديث بينهم إلى أن قـــال بن الأثير وذكر اجتماع أهل الأمصار مصر والبصرة والكوفة وحصارهم لعثمان قال ولما رأى عثمان ذلك جاء إلى علي فدخل عليه بيته فقال له يا بن عم إن قرابتي قريبة ولي عليك حق عظيم وقد جاء مـــا ترى من هؤلاء القوم وهم مصبحي ولك عند الناس قدر وهم يسمعون منك وأحب أن تركب إليهم فـــتردهم عني فإن في دخولهم توهينا لأمري وجراءة علي فقال علي : على أيّ شيىء أردهم عنك قال على أن أصير إلى ما أشرت إليه ورأيته لي فقال علي إني قد كلمتك مرة بعد أخرى فكل ذلـــك نخرج وتقول ثم ترجع عنه وهذا من فعل مروان وابن عامر ومعاوية وعبد الله بن سعد فإنك أطعتهم وعصيتني قـــال عثمان فأنا أعصيهم وأطيعك فامر الناس فركب معه من المهاجرين والأنصار ثلاثون رجلا فيهم سعيد بن زيد وأبو جهم العدوي وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام ومروان وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ومن الأنصار أبو أسيد الساعدي وأبو حميد وزيد بن ثابت وحسان بن ثابت وكعب ابن مالك ومن العرب نيار بن مكرز فأتوا المصريين فكلموهم وكان الذي يكلمهم علي ومحمد بن مسلمة فسمعوا مقالتهما ورجعوا إلى مصر إلى أن قال وجاء مروان بكرة الغد إلى عثمان فقـــال له تكلم الناس واعلم الناس أن أهل مصر قـد رجعوا وأن ما بلغهم عن إمامهم كان باطلا قبل أن يجيء الناس إليـك من أمصارهم ويأتيك

ما لم تستطع دفعه ففعل عثمان فلما خطب الناس قال له عمرو بن العاص اتق الله يا عثمان فإنك قد ركبت أموراً وركبناها معك فتب إلى الله نتب فناداه عثمان وإنك هناك يا ابن النابغة ومضى ابن الأثير في حكايته إلى أن قال فقال علي أي عباد الله يا للمسلمين إن قعدت في بيتي قال لي تركتني وقرابتي وحقي وإن تكلمت فجاء ما يريد يلعب به مروان فصار سيقة له يسوقه حيث يشاء بعد كبر السن وصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام مغضباً حتى دخل على عثمان فقال له أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلا بتحرفك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الضعينة يقاد حيث يشاء ربه والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا نفسه وأيم الله إني لأراه يوردك ولا يصدرك وما أنا عائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك أذهبت شرفك وغلبت على رأيك قال وخرج عنه علي وأرسل عثمان إلى علي فأبا من إتيانه قال فأتاه يعني عثمان أتى علياً ليلا بمنزله وقال إني غير عائد وإني فاعل فقال له علي بعد ما تكلمت على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطيت من نفسك ثم دَخلت بيتك فخرج مروان إلى الناس يشتمهم على بابك ويؤذيهم فخرج عثان من عنده وهو يقول قطعت رحمي وخذلتني وجرأت الناس عليّ فقال علي والله إني لأكثر الناس ذبا عنك ولكني كلما جئت بشيء أظنه لك رضى جاء مروان بأخرى فسمعت قوله وتركت قولي ولم يعد علي يعمل ما

كان يعمل إلى أن منع عثمان الماء فيمضي ابن الأثير في حكايته إلى أن قـال ونذكر الآن كيف قتل وما كان بداء ذلك وابتداء الجرأة عليه قبل قتله فكان من ذلك أن إبلا من إبل الصدقة قدم بها إلى عثمان فوهبها لبعض بني الحكم فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فأخذها وقسمها بين الناس وعثمان في الدار قـال وكان أول من اجترأ على عثمان بالمنطق جبلة بن عمرو الساعدي مر به عثمان وهو في نادي قومه وبيده جامعة فسلم فرد القوم فقـال جبلة لم تردون على رجـل فعل كذا وكذا ثم قال لعثمان والله لأطرحن هذه الجامعة في عنقك أو لتتركن بطانتك هذه الخبيثة قلت جبلة هذا ممن شهد أحداً مع النبي ﷺ وهو الذي منع دفن عثمان في البقيع ودفن في حش كوكب كذا قال ابن حجر في الإصابة وقال عمار بن ياسر أراد أن يغتال ديننا فقتلناه وقال ابن الأثير أيضاً وقيل كتب جمع من أهـل المدينة من الصحابة وغيرهم إلى من بالآفاق منهم إن أردتم الجهاد فهلموا إليه فإن دين محمـد صلى الله عليه وسلم قد أفسده خليفتكم ويمضي بن الأثير فيقول أقبل الناس من الآفاق كالمصريين وعلى رأسهم عبـد الرحمن بن عديس وهو صحابي أحديّ بايـع تحت الشجرة وعنده ما بين خمسماية إلى ألف مقاتل وجاء أهل الكوفه وعلى رأسهم زيد بن صوحان العبدي والأشتر النخعي وزيد صحابي جليل وهم في عداد المصريين وجاء أهل البصرة وعلى رأسهم حرقوص ابن زهير وهو صحابي جليل

واختلفوا في هؤلاء المحاصرين فالمقلل يقول ستماية والمكثر يقول ثلاثة آلاف وذكر ابن الاثير مـــا حصل أثناء الحصار فقال إنه ما زال عثمان يبعث إلى علي والصحابة ويعدهم الوفاء ويخلفهم المرة بعد الأخرى وأخيرا حذرهم قتله وأجـــابوه وهو في الحصار وفيهم علي وطلحة والزبير وغيرهم من أعيان الصحابة بما نصه أما ماذكرت من قدمك وسلفك مع رسول الله ﷺ فقـد كنتَ كذلك وكنت أهلا للولاية ولكن أحدثت ما علمته ولا نترك إقامة الحق عليك مخافة الفتنة عاماً قابلا وأما قولك إنه لا يحل إلا قتل ثلاثة فإنا نجد في كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سميت قتل من سعى في الأرض فساداً وقتل من بغى ثم قاتل على بغيه وقتل من حال دون شيء من الحق ومنعه وقاتل دونـــه وقد بغيت ومنعت وحلت دونه وكابرت عليه ولم تقدمن نفسك ما ظلمت وقد تمسكت بالإمارة علينا فإن زعمت أنك لم تكابرنا عليها فإن الذين قاموا دونك ومنعوك منا إنما يقاتلون لتمسكك بالإمارة فلو خلعت نفسك لانصرفوا عن القتال معك فسكت عثمان وهذا آخر الحديث بينه وبين الصحابة واشتد عليه الحصار ومنع الماء والطعام أُربعين ليلة وذَكَر أن طلحـة كان يأتي المحاصرين ويؤلبهم على عثمان وكان يقول عثمان اللهم اكفني طلحة فإنه حمل عليَّ هؤلاء وألّبهم فما استحلوا قتله حتى قتل من المحاصرين رجل من الصحابة اسمه نيار بن عياض وطلبوا قاتله فامتنع عثمان من دفعه وكان

من جملة القاتلين لعثمان مباشرة محمد بن أبي بكر وقتل لثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين يوم الجمعة وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً قال وبقي عثمان ثلاثة أيام لم يدفن حتى كلم علي أن يدفن فإذن في دفنه فخرجوا به ليلا والناس يرجمونه بالحجارة ولم يشيعه أحد من الصحابة إنما خرج في جنازته ثلاثة من مواليه ومروان وابنته حتى دفن في حش كوكب قال وجاء ناس من الأنصار يمنعون من الصلاة عليه قال ولما ظهر معاوية ألحق البقيع بالموضع الذي دفن فيه وأمر بدفن الموتى حتى اتصل بقبر عثمان ويقال سنه ما بين خمس وسبعين إلى تسعين على اختلاف الروايات .

ويقال له أقوال وأفعال خاصة به منها أول من جمع بين ابنتي نبي وأول من هاجر بأهله وأول من جمع الناس على قراءة وأول من أتم في السفر وأول من اتخذ السجن وأول خليفة قتل صبراً وأول خليفة حوصر وأول خليفة أحدث القعود على المنبر في الخطبة لما كبر وأول من اتخذ صاحب شرطة وأول من باع ضالة الإبل .

وهنا وقفة مهمة قد علمت ما حكاه العلامتان المحققان الثقتان ابن جرير الطبري وابن الأثير في الكامل وغيرهما من العلماء المنحازين إلى عثمان وقد اتفق نقلهم مع الناقمين عليه على

صحة الأحداث التي نقمها عليه إخوانه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم جبلة بن عمرو الساعدي الأنصاري الأحدي ورؤساء الخارجين من الأمصار كعبد الرحمن بن عديس الأحدي الشجري وزيد بن صوحان وحرقوص بن زهير وما قاله الصحابة وفيهم علي وطلحة والزبير عن وجه استحلالهم قتله وحصره أربعين ليلة وقيل ثلاثة أشهر وقد منعوه الطعام والشراب وفي المدينة ما يزيد على مائة ألف من المهاجرين والأنصار وتقتله شرذمة أقبلت من الخارج على ما قيل ولا يدافعون عنه ويدفن في غير مقابر المسلمين وجيوش الصحابة تهزم فارس والروم ويقتل أميرهم صبراً ويقال إنهم غير راضين أو مغلوبين على قتله كل من تَجَرَّى على الصحابة وقال بغير الحقيقة وقدح في القاتلين والخارجين والمحاصرين والراضين فقد أساء الأدب في حقهم وحاول أن يغسل الغايط بالبول فالسلامة السكوت لمن لا يستطيع أن يقول الحق ويترك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أنزلهم الله فيلزم منه نسبتهم إلى الخور والمداهنة فلو حصل لرئيس يقتله أجانب وسط أهله وعشيرته وهم ينظرون لاستحقوا الذم فكيف بالصحابة الكرام فإنه لا يحل أن يعتذر لشخص في سب آخرين . بعض يقول إنهم مرتدّون وبعض يقول خوارج وبعض يقول بغاة كل هذا جراءة على الذين مدحهم الله بقوله أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين الآية وقول بعض إنه نهاهم عن الدفاع

عنه وأمرهم بالتفرق عنه فيشبه قول المسيحيين لليهود إن مشيئة عيسى اختارت القتل اللهم ثبتنـــا بالقول الثابت وارزقنا محبة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيا إخواني أترون أن الإمام علياً يقبل البيعة من المرتدّين ويدافع عنهم طــالب الحق منهم ويدافع بهم والله يقـول ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطانا . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يأوي الضالة إلا ضال .

أبو عبيدة عن جابر بن زيد قال بلغني عن عثمان بن عفان أنه جلس على المقاعد فجاء المؤذن فاذن لصلاة العصر فدعا بماء فتوضأ ثم قال والله لأحدثنكم حديثاً لولا آية في كتــاب الله ما حدثتكموه ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امرئ يتوضأ فيحسن وضوءه لصلاته ثم يصليها إلا غفر الله له ما بينها وبين الصلاة الأخرى حتى يصليها انتهى وقوله لولا آية في كتاب الله يشير إلى قوله تعالى وإذأخذ الله ميثــاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه .

قال العلامة الشماخي النفوسي الإباضي اختلف الناس في هذه الفتنة فقال بعضهم مسئلة اجتهادية المصيب مـــأجور والمخطئ معذور وقيل كل مجتهد مصيب وقال أهل الحق دينية المحق مأجور والمخطئ مأزور بل هالك بدليل فإن بغت إحداهما على الأخرى

فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ـ انتهى . وكان قتل عثمان سبب تفرق المسلمين إلى خوارج وشيعة ومرجئة إلى ثلاث وسبعين فرقة كما ورد في الحديث وهو الذي حذره الإمام علي في خطابه وقت الحصار وقد سبق ذكره ـ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ـ .

روى في العقد الفريد قيل لسعد بن أبي وقاص يا أبا إسحق من قتل عثمان ؟ قال : قتله سيف سَلَّته عائشة وشحذه طلحة وسمه علي ، قلت : فما حال الزبير ؟ قال أشار بيده وصمت بلسانه . وفيه قال زيد بن ثابت رأيت علياً مضطجعاً في المسجد فقلت أبا الحسن إن الناس يرون أنك لو شئت رددت الناس عن عثمان ، فجلس ثم قال : والله ما أمرتهم بشيء ولا دخلت في شيء من شأنهم ، قال : فأتيت عثمان فأخبرته ، فقال :

وحرّق قيس عليّ البلاد حتى إذا اضطرمت أحجما

قال في بعض السير العمانية أن أبا بكر ـ أقر جيفر وأخاه عبداً على ملكهما وجعل لهما أخذ الصدقات من أهلها وحملها إليه قال ولم يزالا في عمان متقدمين إلى أن ماتا ثم خلف من بعدهما عباد بن الجلنداني في زمن عثمان وعلي فلما وقعت الفتنة فصار الملك إلى معاوية ولم يكن لمعاوية سلطان في عمان حتى صار الملك

لعبد الملك بن مروان واستعمل الحجاج على أرض العراق وكان ذلك في زمن سليمان وسعيد ابني عباد بن عبد الجلندي فاحتل عمان ولم تزل عليها عمال بني أمية وعمال السفاح أول ملوك بني العباس حتى إمامة الجلندي بن مسعود عام ١٣٢ .

فصل خلافة علي بن ابي طالب

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب واسم أبي طالب عبد مناف ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره على ابنته فاطمة الزهراء وأبو الحسنين ابنيهما ولد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم باثنتين وثلاثين سنة عاش في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وربي منذ عقل في أنوار النبوة وأحضان السعادة ولم يتدنس بدنس الجاهلية وأوساخ الوثنيين وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع الغزوات إلا غزوة تبوك بويع له بالخلافة لخمس بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وصارعها خمس سنوات حتى قتل لسبع عشرة خلت من رمضان سنة أربعين للهجرة قال العلامة الشماخي النفوسي الإباضي بويع في اليوم الذي قتل فيه عثمان وخلافته حق باجتماع أهل العقد من المسلمين واختلفت أهل السنة فيها انتهى قلت ويدل على هذا الاختلاف ما حكاه ابن الأثير والطبري أن البيعة كانت ولم يحضرها طلحة والزبير وسعد وعبد الله بن عمر بن الخطاب وغيرهم من وجهاء الصحابة .

لم يزل الإمام علي كرم الله وجهه حريصا على الخلافة منذ

توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبويـع أبو بكر واستخلف عمر بن الخطاب وجعل الأمر شورى بين ستة هو أحدهم وبويـع عثمان وأُفضت إليه الخلافة .في هذا الوقت العصيب الذي انتشرت فيه الفتن والفوضى يحتار فيهـا الحليم ويتصدع من أجلها الكريم فبينما يعالج معاوية وأهل الشام في الدخول في الأمر إذا بالطلحتين يتسللان إلى مكة ومنها بأم المؤمنين إلى البصرة قـــال ابن الأثير والطبري وغيرهما من المؤرخين وكان على البصرة عند ـ قدومهـا يعني أم المؤمنين عثمان بن حنيف الصحابي فقال لهم ما نقمتم على صاحبكم فقالوا لم نره أولى بها منا وقد صنع ما صنع قال فإن الرجل آمّرني فاكتب إليه ما جئتم به على أن أُصلي أنا بالناس حتى يأتينا كتابه فوقفوا عنه فكتب فلم يلبث إلا يومين أو ثلاثـــة حتى وثبوا على عثمان عند مدينة الرزق فظفروا بـه وأرادوا قتله ثم خشوا غضب الأنصار فنتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه وضربوه وحبسوه بعد ما قتل من أصحابـه سبعون رجلا منهم خمسون قتلوا صبرا قال المسعودي وهؤلاء أول من قتـــل في الإسلام صبراً وظلما قلت وذكر قبل ذلك رواية نسب هذا إلى الزط والسبابجة والسبائية وأمثال هؤلاء ومن عادة بعض من المؤرخين يتحاملون على الضعفاء ومن لا رأي له ـ ويتركون أهـل الرأي والعقل قادة هؤلاء فلا يلقون عليهم لوماً كما وقع ذلـك في قتل الإمام عثمـان وفي وقعة الجمل والقول بإنصاف شأن أهل العدالة

وإلا فلماذا جاء الإمـــام علي بجيشه من المدينة بوجوه المهاجرين والأنصار وقتلة عثمان فيه وحكى ابن الأثير عن الإمام علي يقول قد خرجت مخرجي هـذا ظالما أو مظلوما وأني أذكر الله رجلا رعى حق الله إلا نفر فإن كنت مظلوما أعانني وإن كنت ظالما أخذ مني والله إن طلحة والزبير لأول من بايعني وأول من غدر. قال واجتمع معه تسعة آلاف وانضم إليهم من أهل الكوفة اثنا عشر ألف رجل وقال عن الأحنف بن قيس ناظرت طلحة والزبير وعائشة من أبايع إن قتل عثمان قالوا بايع علياً ولما قدموا البصرة ناشدتهم قولهم هذا فقالوا نعم ولكنه بدل وغيّر انتهى. ثم التقى الجمعان فانجلى الأمر عن قتل طلحة في المعركة على يد مروان ابن الحكم فيما روى ابن الأثير لأنـه يعده من قتلة عثمان وقتل الزبير خارج المعركة وأمر علي بعائشة أم المؤمنين أن تذهب إلى المدينة وتفرق الجمعـــان عن مصرع عشرة آلاف من الفريقين وتحول علي إلى الكوفة قال ابن الأثير ثم أرسل علي كتاباً إلى معاوية يدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه المسلمون وذكر له فيـه نكث طلحة والزبير وحربه إياهما فأجمع رأي معاوية وعمرو بن العاص أن يُلزموا علياً دم عثمان ويطالبوه بـه وبعد قتال وقع بينهم قام معاوية خطيبا بين رسل علي منهـــم شبث بن ربعي فقال أما بعد فإنكم دعوتم إلى الطاعة والجماعة التي دعوتم إليها فمعنا هي وأما الطاعة لصاحبكم فإنا لا نراها لأن صاحبكم قتل خليفتنا

وفرق جماعتنا وآوى ثأرنا وصاحبكم يزعم أنه لم يقتله فنحن لا نرد عليه ذلك فليدفع إلينا قتلة عثمان لنقتلهم ونحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة فقال شبث أيسرك يا معاوية أن تقتل عمار بن ياسر فقال وما يمنعني من ذلك لو تمكنت من ابن سمية لقتلته بمولى عثمان فقال شبث والذي لا إلّه غيره لا تصل إلى ذلك حتى تندر الهام عن الكواهل وتضيق الأرض الفضاء عليك وبعد ذلك خرج الإمام علي بمن معه وهم سبعون ألفا قتل منهم خمسة وعشرون ألفاً وخرج معاوية بمن معه وهم خمسة وثمانون ألفاً وقتل منهم خمسة وأربعون ألفاً بعد ما أوقعوا تسعين وقعة بالموضع المعروف بصفين منهم عدد من المهاجرين والأنصار ومن بينهم عمار بن ياسر الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتله الفئة الباغية وبعد صراع دام أشهرا وكادت تقع الهزيمة على معاوية وأصحابه رفعوا المصاحف على الرماح طالبين حكم القرآن هنالك دب الخلاف في جيش علي واختلط عليهم الحق بالباطل ووافق الإمام علي وأهل الرأي من قومه على قبوله مع أنه وهن وضعف وخور وانشقت عصى السير وخرج عدد كبير من جيشه هم أهل الشوكة والفضل والزهد والتكنات وانفصل الحكم بخلع علي والخلاف في إبقاء معاوية بعد ما أعطى علي العهد والميثاق على قبول ما يحكم به عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري قال ابن الأثير وكتب الكتاب هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان قاضى علي على أهل الكوفة ومن

معهم وقاضى معاوية على أهل الشام ومن معهم إننا ننزل عند حكم الله وكتابه وأن لا يجمع بيننا غيره وأن كتاب الله بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحيي ما أحيا ونميت ما أمات فما وجد الحكمان في كتاب الله وهما أبو موسى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عملا به وما لم يجداه في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة وأخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين من العهود والمواثيق أنهما آمنان على أنفسهما وأهليهما والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة لا يردانها في حرب **ولا** فرقة حتى يعصيا وأجل القضاء إلى رمضان وإن أحبا أن يوخرا ذلك أخراه وإن مكان قضيتهما مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام ووقع عليه كل من الطرفين ولكن الأشتر أبى من التوقيع قائلا لاصحبتني يميني ولا نفعتني بعدها شمالي إن خط لي في هذه الصحيفة اسم ولست على بينة من عدوي أولستم قد رأيتم الظفر فقال له الأشعث والله ما رأيت ظفرا هلم الينا لا رغبة بك عنا فقال بلى والله الرغبة عنك في الدنيا للدنيا وفي الآخرة للآخرة لقد سفك الله بسيفي دماء رجال ما أنت خير عندي منهم ولا أحرم دما قال فكأنما قصع الله على أنف الأشعث الحمم وخرج الأشعث بالكتاب يقرؤه على الناس حتى مر على طائفة من بني تميم فيهم عروة بن ادية أخو أبي بلال فقرأه عليهم فقال

عروة تحكمون في أمر الله الرجال لا حكم إلا لله ثم شد بسيفه فضرب به عجز دابة الأشعث. وكتب الكتاب يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبـع وثلاثين وهنا وقف القتال بين معاوية وعلي وانفصلت عنه المحكمة وهم مـا بين أربعة آلاف إلى ستة وعشرين ألفاً وبقي في صراع أعنف وأشد عليه من ذي قبل خذله قومه وقاتلوه وقتلهم ومعـاوية وقومه يحتلون ممالكه شيئاً فشيئاً قال ابن الأثير وكان علي إذا صلى الغــداة يقنت فيقول اللهم العن معاوية وعمرا وأبا الأعور وحبيبا وعبد الرحمن بن خالد والضحاك بن قيس والوليد فبلغ ذلك معاوية فكان إذا قُنت سب عليا وابن عباس والحسن والحسين والأشتر وهكذا استمر أمراء بني أمية خليفة بعد خليفة يلعنون علياً على المنابر وفي خاتمة خطبة كل جمعة حتى استخلف الإمام العادل عمر بن العزيز فأبدل اللعن بقول الله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى - وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظـكم لعلكم تذكرون وفارق علياً أخوه عقيل - وابن عمه عبدالله بن عباس وكان والياً له البصرة وكتب إليه على ما حكاه في كتاب بيـان الشرع من الكتب العمانية القديمة وهو يشتمل على اثنين وسبعين جزءاً قال أما بعد فإني قـد كنت أشركتك في أمانتي وجعلتك شعاري وبطانتي ولم يكن أحد من أهل بيتي أوثق منك في نفسي بمواساتي ومؤازرتي وأداء الأمانة إليّ فلما رأيت الزمان قلب بابن

عمك ظهر المجن فارقته مع القوم المفارقين وخذلته أسوأ خذلان الخاذلين وخنته فيمن خانه من الخائنين فلا بابن عمك انتسبت ولا أمانة الله أديت كأنك لم تكن - بجهادك تريد الله ولم تكن على بينة من ربك وكأنك إنما كنت تكيد أمة محمد صلى الله عليه وسلم عن دينهم وتتوعد بهم عن فيئهم فلما أمكنتك الشدة في خيانتك للأمة أسرعت الغدرة وعاجلت الوثبة فاختطفت ما قدرت عليه اختطاف الذئب الأزل فحملت أموالهم الى الحجاز رحيب الصدر غير متأثم منها كأنك لا أب لغيرك إنما خرجت لأهلك برأي من أبيك وأمك سبحان الله العظيم أوما تؤمن بالمعاد أوما تخاف الحساب أوما يعظم عليك أن تأكل حراما من أموال الأرامل واليتامى وتشرب حراما فاتق الله وأد إلى القوم أموالهم التي أفاء الله عليهم فإنك إن لم تفعل وأمكنني الله منك لاعذرن إلى الله فيك والله لو كان الحسن والحسين فعلا الذي فعلت ما كان لهما عندي هوادة ولا طرق عندي في رخصة إن الله لا يحب الظالمين. فكتب إليه ابن عباس أما بعد فقد جاءني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من مال البصرة ولعمري إن نصيبي فيه لأكثر مما أخذت ولعمري لأن ألقى الله بما في الأرض من ذهب وفضة أحب إليّ من أن ألقاه بدم رجل مسلم. وعن هاشم بن غيلان وهو من علماء عمان في القرن الثالث كتب علي إلى ابن عباس يؤنبه بما أخذه من البصرة من بيت المال فكتب إليه ابن

عباس قد عرفت وجه أخذي المال أنه كان بقية دون حقي بعدما أعطيت كل ذي حق حقه ولقد عملتُ أخذي المال من قبل قولي في أهل النهروان ما قلت ولو كان أخذي باطلا كان أهون من أن أشرك في دم مؤمن فكف عن القوم . وفي العقد الفريد آخر كتاب كتبه ابن عباس لعلي لإن لم تـدع عني من أساطيرك لأحملنه إلى معاوية يقاتلك به فكف عنه علي ومن جملة ما حكاه صاحب العقد الفريد مما كتبه ابن عباس لعلي وأيم الله لأن ألقى الله بما في بطن هذه الأرض من عقيانها ومخبئها وبما على ظهرها من طلاعها ذهبا أحب إليّ من أن ألقى الله وقد سفكت دماء هذه الأمة لأنال بذلك الملك والأمرة أبعث إلى عملك من أُحببت فإني ظاعن والسلام .

روى عن الإمام علي أنه قال إنما مثلي ومثل عثمان كمثل ثلاثة أثوار كانت في أجمة أبيض وأسود وأحمر ومعها أسد فكان لا يقدر منها على شيء لاجتماعهـــا عليه فقال الأسد للثور الأسود وللثور الأحمر ان لا يدل علينا في أجمتنا إلا الثور الأبيض فإنه لونه مشهور ولوني على لونكما فلو تركتماني آكله خلت لكما الأجمـــة وصفت فقالا دونك وإياه فكله فأكله ومضت مدة على ذلك ثم إن الأسد قال للثور الأحمر لوني على لونك فدعني آكل الثور الأسود فقال له شأنك به فأكله . بعد أيام قال للثور الأحمر إني آكلك لا محالة فقال دعني أُنادي ثلاثة أصوات فقال افعل فنادى

إنما أُكلت يوم أُكل الثور الأبيض قالها ثلاثا ثم قال علي إنما هنت يوم قتل عثمان يرفع بها صوته والحاصل أن الأمور تفاقمت على الإمام علي فقاتل من رضي بالتحكيم وهو معاوية وأصحابه وقاتل من أبا من التحكيم وهم أهل النهروان والأمر لله وحده وسافرد للخوارج باباً فسيحا ينظر فيه أهل النظر ويقدّر القضية بين شخصين ليسا معاوية ولا عليا بل هما من أهل زماننا وانفصلت من بينهما فاصلة ما هو القول فيها وفي الأحاديث التي رويت إلى الامام علي في الخوارج وهو يقاتلهم وهم يقاتلونه وهو يقول كما في البخاري الحرب خدعة ويقول لا تقاتلوا الخوارج فليس من طلب الحق فأخطاه كمن طلب الباطل فأصابه وما هو الفرق بينهم وبين طلحة والزبير وبين الخارجين على عثمان قال أبو الحواري من علماء القرن الخامس عن عزان بن الصقر من علماء القرن الثالث من عمان لما كان يوم الجمل فظهر علي بن أبي طالب على طلحة والزبير أخذ ما كان من جبايتهم وفرقه على أُصحابه وكانوا اثني عشر ألفا فصار إلى كل واحد منهم خمسماية درهم .

وكان قتله على يد عبد الرحمن بن ملجم المرادي وعدا بن حجر عبد الرحمن هذا من الصحابة وذكر عن الإمام الشافعي أنه لا يرى ابن ملجم مخطئا في قتله لأنه مجتهد وكل مجتهد مصيب وذكر ابن الأثير لما بلغ عائشة قتله قالت :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينـــا بالإياب المسافر

ثم قالت من قتله فقيل لها رجل من مراد فقالت :

فإن يك نائيا فلقـد نعاه نعيٌّ ليس في فيـه التراب

فقالت زينب بنت أم سلمة : أتقولين هـذا في علي فقالت إنني أنسى فإذا نسيت فذكروني ومعنى قولها ليس في فيه التراب أي لا يقال للمخبر بقتله بفيك التراب ولعلهـا ترى قتله حقاً لأن ابن ملجم فيما يروى أنه قتله قصاصاً ببعض من قتل بالنهروان وقد اختفى الموضع الذي دفن فيه [1].

كان علي آية في غزارة العلم واستنباطه للأحكام وحله المشكلات وكان عمر بن الخطاب يرجع إليه في القضايا المشكلة وفيـه يقال قضية ولا أبا حسن لها وكان يتنفس الصعداء ويقول عندي علم لم أجد له حاملا .

كان أول من أسلم من الصبيان وأول من بارز في الإسلام وأول من كفله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول من استنبط معضلات

---

(١) يقال انه حمل على بعير ليدفن بالمدينة فند به البعير حتى ادخله بجبلي طي فدفن هناك والله أعلم ويقال إن القبر الذي يزار الآن بالعراق على أنه قبر علي هو قبر المغيرة بن شعبة والله أعلم .

الأحكام وأول خليفة ترك دار الهجرة وأول البارزين يوم بدر وأول من قاتل أهل البغي من المسلمين .

ويقال إن له اقوالاً خـــاصة به منها أن كل مجتهد مصيب فيعذر عثمان ويعذر قاتله .

رويت عنه أحاديث كثيرة وفي مسند الربيع بن حبيب من رواياته أحاديث وأبواب مفردة له خاصة .

تنبيهان الأول في الخوارج وخلاصة الاحتجاج بينهم وبين ابن عباس

الخوارج يسمون المحكمة والحرورية والمارقة والشراة كل هذه الأسماء يطلقها عليهم خصمهم ومحبهم من المؤرخين وقد سبق أن قدمنا أن بعض المؤرخين يتحاملون على الضعفاء والمساكين فإن هؤلاء لم تكن لهم دولة فيحترمون من أجلها وكانت الدولة للأمويين والعلويين والعباسيين اختلف الناس في سبب تسميتهم خوارج فقيل لخروجهم عن الامام علي وقيل لخروجهم عليه وقيل لخروجهم عن الدين في رأي مخالفيهم وهو معنى تسميتهم بالمارقة وقيل لخروجهم عن ضلالة التحكيم وقيل لخروجهم جهاداً في سبيل الله أخذا من قوله تعالى ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة وهو معنى الشراة إذ شروا أنفسهم أي باعوها جهاداً في سبيل الله وأول من فتح باب الخروج المصريون ورئيسهم جبلة بن عمر والساعدي الأنصاري وهو ممن شهد أحدا وبايع تحت الشجرة والبصريون ورئيسهم حرقوص بن زهير السعدي الصحابي والكوفيون

ورئيسهم زيد بن صوحان صحابي وتبعهم طلحة والزبير وأهل النهروان ورئيسهم عبدالله بن وهب صحابي ذكره ابن حجر وغيره وأهل المدينة والحسين بن علي وكلهم صحابة وسعيد بن جبير والشعبي وفقهاء العراق إذ خرجوا على الحجاج وكلهم تابعون صالحون وتسميتهم المحكمة لقولهم لا حكم إلا لله وأول من قالها عروة بن ادية أخو أبي بلال وأبو بلال من فل النهروان ولهما أخبار ذكرها ابن الأثير وغيره من المؤرخين وأما الحرورية نسبة الى حروراء الموضع الذي نزلوا به بعد انفصالهم من جيش الإمام علي قال ابن الأثير لما رجع علي من صفين لقيه عبدالله بن وديعة الأنصاري فدنا منه وسلم عليه وسايره فقال له ما سمعت الناس يقولون في أمرنا قال منهم المعجب به ومنهم الكاره له قال فما قول ذوي الرأي قال يقولون إن علياً كان له جمع عظيم ففرّقه وكان له حصن حصين فهدمه فمتى يبني ما هدم ومتى يجمع ما فرق ولو كان مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه فقاتل حتى يظفر أو يهلك كان ذلك الحزم قال الشاعر العماني :

أبا حسن أُطلقتها لطليقها فانت بقدّ الأشعري أسير

قال ابن الأثير ولما رجع علي من صفين فارقه الخوارج وأتوا حروراء فنزل بها منهم اثنا عشر ألفاً قال العلامة الشماخي وقيل أربعة وعشرون ألفاً وهم خيار أهل الأرض يومئذ وقراؤهم

وزهادهم ممن بقي من كبار الصحابة والتابعين وفيهم من أهل بدر ومن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة كحرقوص بن زهير السعدي الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في رواية عايشة ـ أول من يدخل علينا اليوم من أهل الجنة فكان هو الداخل إلى ثلاث مرار [1] وشجرة ابن أوفا السلامى وكان بدريا ومن أراد معرفة أسمائهم فعليه بالنهروان وغيره من الكتب قلت لم أقف على هذا الكتاب وذكر العلامة البرادي في كتاب الجواهر عدداً منهم أبو الهيثم ابن التيهان وفروة بن نوفل الأشجعي وسارية بن لجام السعدي ويزيد بن قيس الأزدي وجعفر بن مالك السعدي وبشر بن جبلة العامري وشريك ابن الحكم الأزدي ومرداس أبو بلال وأخوه حيان والمستورد بن علاثة والأشعث بن بشر العبدي وميسرة بن خالد الفهري وأبو الصهبا وعبدالله بن وهب الراسبي وحمزة بن سنان وزيد بن حصن الطائي وعباد بن الحرشاء الطائي والحويرث بن ودع الأسدي وعمير بن الحارث الأنصاري ويزيد بن عاصم وأربعة إخوة معه ممن بايع تحت الشجرة وشجرة بن الحارث السلامي وعبدالله بن شجرة بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة وأربعة اخوة له وثلاثة بني أخت له والمسيب بن

---

(١) ذكر عن عائشة عن النبي ﷺ انه قال أول من يدخل علينا اليوم من أهل الجنة قالت فقلت أبو بكر عمر فلان فلان فدخل حرقوص ولحيته تقطر ماء وفي اليوم الثاني والثالث كذلك .

ضمرة الأسدي وعبدالله بن عفيف وأخوه سفيان الخزاعيان وأبو عمر بن نوفل مولى له صحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونافع مولى ترملة وترملة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من بني حنظلة وهرم بن عمرو الأنصاري من بني واقف وأبو قدامة بن لبيد من بني قيس وعيينه ابن معمر الأنصاري من بني وائل من الذين تولوا وأعينهم تفيض من الدمـــع وزياد بن شرحبيل العجلي والأشهب بن بشر الكوفي ومالك بن التيهان وحكيم بن عبد الرحمن الكناني وبايعوا عبدالله بن وهب الراسبي قال في الموسوعة الميسرة عبد الله بن وهب الراسبي من الأزد ومن أئمة الإباضية من الخوارج عرف بالعلم والرأي والفصاحة والشجاعة وله في العبادة ـ أعاجيب أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وشهد فتوح العراق مع ابن أبي وقاص وكان مع علي في حروبـه أنكر عليه التحكيم قتل في النهروان بعد أن أقره الخوارج عليهم هذا ما ذكروه عن ابن وهب ورواه ابن حجر وقبل البيعة بعد أن دفعها إلى زيـــد بن حصن الصحابي ذكره ابن حجر في عداد الصحابة وحرقوص بن زهير السعدي قال في القاموس وشرحـــه وحرقوص بن زهير السعدي كان صحابيا أمد بـه عمر رضي الله عنه المسلمين الذين نازلوا الأهواز فافتتح حرقوص سوق الأهواز وله أثر كبير في قتل الهرمزان ثم كان مـــع علي بصفين فصار خارجيا عليه فقتل انتهى. ولمّا بلغ علياً تمام بيعتهم لعبد الله بن

وهب كتب إليهم كما ذكر هذين الكتابين صاحب كتاب السير العمانية الشيخ أبو الحسن البسياني من علماء القرن الرابع للهجرة بسم الله الرحمن الرحيم من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى زيد بن حصن وعبد الله بن وهب الراسبي ومن معهما من المسلمين سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإن

ألحكمين نبذا كتاب الله وراء ظهورهما وحكما بغير ما أنزل الله فبرئ الله منهما ورسوله وأنا منهما بريء فهلموا نعطيكم الرضى ونرجع إلى الأمر الأول نقاتل عدونا وعدوكم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين وموعد ما بيننا وبينكم العسكر نجران إن شاء الله. **الجواب** : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله ابن وهب وزيد بن حصن ومن معهما من المسلمين إلى علي بن أبي طالب سلام على من اتبع الهدى فإنا نحمد الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإنا قد وصل إلينا كتابك تذكر أن الحكمين نبذا كتاب الله وحكما بغير ما أنزل الله فقد علمنا والحمد لله أن أمرهما كان مخالفاً للحق من أوله وأنت بتحكيمك إياهما أعظم جرماً منهما وذكرت أنك ترجع إلى الحق وتعطي الرضى وترجع إلى الأمر الأول فلسنا نرد عليك توبتك فإن كنت صادقاً فادخل فيما دخل فيه المسلمون من طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وإمام المسلمين عبد الله بن وهب الراسبي فقد بايعناه بعد خلعنا إياك لاستحقاقك منا أن نخلعك ولا يسعنا إلا ذلك والسلام. قال

القطب محمد بن يوسف الجزائري الإباضي أحد الأعلام المحققين فإن قلت لم لا يقبلون توبته ويردونه إماما قلت أصر على التحكيم وملاينة معاوية والأمر الباطل وأبى من التوبة وتاب ونكث كما مر واستمر على النكث واستحق الخلع بل خلع نفسه فساغ استخلاف غيره وعجلوا بذلك لئلا تبقى الأمة بلا قائم مع أنهم هم الباقون على الحق بعد أن فارقته جماعة معاوية وجماعة علي وما ادعاء التوبة إلا بعد استخلافهم عبدالله بن وهب ولا إمامين في سيرة فصحت الخلافة للثاني إذ لا تبطل عنه إلا لموجب بعد ثبوتها ولا موجب لبطلانها وأيضاً شرطوا عليه إن ترك قتال الفئة الباغية فلا بيعة له عليهم ولفظ الشرط وذلك عند البيعة بايعناك على طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والعمل بكتاب الله وسنة رسوله والأخذ بسيرة الخليفتين بعد النبي صلى الله عليه وسلم ما استطاع وعلى قتال الفئة الباغية وكل فرقة امتنعت عن الحق طاغية وكل من نقض عهد الله وغير سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وحكم بغير ما أنزل الله حتى يظهر نور الله وتطفأ كلمة الجور وتموت البدعة والفجور وتفنى على ذلك أرواحهم وأعطاهم على ذلك العهد والميثاق وعلى أنه إن خالف شيئاً من ذلك أو نقض فلا بيعة له عليهم فبايعوه على ذلك انتهى. وأرسل إليهم علي ابنَ عباس يناظرهم نقلا من شرح اللامية للقطب وأصله في كتاب السير العمانية من سيرة شبيب بن عطية من

علماء القرن الثاني للهجرة هكذا طلب ابن عباس إليهم الرجوع وقالوا له إن صاحبك ترك اسم أمير المؤمنين وطلب الحكومة وخلع سربالا ألبسه الله إياه فقال ابن عباس رضي الله عنهما أما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عاهد أهل مكة ومشركي العرب - ومشركي قريش عام الحديبيه حين صده المشركون عن المسجد الحرام إلى مضيّ المدة التي سماها لهم من ترك فيها القتال والدماء وأما ما ذكرتم من خلعه نفسه من اسم أمير المؤمنين فقد فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كتب الكتاب لقريش وأملاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا ما قاضى به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا، فقال المشركون لو علمنا أنك رسول الله ما خالفناك فكتب من محمد بن عبد الله وأما ما ذكرتم من الحكومة وأنها لا تجوز فقال عز من قائل يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة وقال عز من قائل فإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما فقالوا قد سمعنا قولك والذي أرسلت به واحتجاجك فنذكرك الله لما سمعت قولنا وفهمت حجتنا ثم كنت عدلا بيننا وبين من أرسلك قال اللهم نعم قالوا أخبرنا عمن قتل الصيد وهو محرم هل يسعه أن يحكم من يرى استحلال الصيد المحرم ويستحل قتل صيد

الحرم قال لا قالوا وكيف يسع علياً ان يحكّم في دين الله من يدين باستحلال ما حرم الله من دماء المسلمين ويحرم ما أحل الله من قتال الفئة الباغية ومن يدين بولاية من عادى الله ورسوله وبعداوة أولياء الله ويدين بخلاف ما عليه المسلمون من الحق الذي هم عليه وفارقوهم على خلافه فوالله لو كانت الحكومة حقا لكان علي ترك الحق بتحكيمه في دين الله من يدين بخلاف دين الله فيما استحل من قتل المؤمنين وسفك دما وما حرم الله من قتال الفئة الباغية مع ما يدين به من ولاية من عادى الله ورسوله وعداوة أولياء الله على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والله سبحانه وتعالى يقول ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ثم قالوا نذكرك الله يابن عباس هل تعلم أن أبا موسى كان شاكاً في قتال الفئة الباغية يحرم ما أحل الله من قتال الفئة الباغية ويخذل الناس عن القتال قال اللهم نعم قالوا إن علياً حكم فيمن قتل الصيد وهو محرم من يعتقد انه لا يحرم قتل الصيد في الحرم ولا يحرم قتل الصيد في الحلّ على المحرم أكان بتحكيمه من كان هذا أمره وصفته على هذا الوجه ضلالا إذ حكّم شاكا - مرتابا فيما حكم الله بـه من تحريم قتل الصيد في الحرم إذ كان محرما لضل بتحكيمه من هذا أمره وصفته ولو كانت الحكومة عدلاً لكان بحكومة من يستحل قتل المؤمنين ويعاديهم ويكفر بدينهم ضالا وقد أضل بحكومته

من يحرم مـا أحل الله للمؤمنين من قتال من بغى عليهم واتبع سبيلا غير سبيلهم وأبى أن يقر بحــكم القرآن فيما خالفوا فيه فنذكرك الله يابن عباس هل تعلم أن عمرو بن العاص استحل مـا حرم الله من دماء المسلمين وحرم ما أحل الله من قتال من بغى على المسلمين وتولى من عادى الله وعادى المسلمين ومن دان بدينهم وما هم عليه من الحق ومن قتال أهل البغي فقـال اللهم نعم قد خصمتم عليا بهذا وقولكم الحق ثم قالوا أما مـا ذكرت من قول الله فإن خفتم شقاق بينهما إلى قوله عز وجـل يوفق الله بينهما فأخبرنا عن رجل من المسلمين عنده يهودية أو نصرانيـة وكان بينهما اختلاف ومنازعة هل ينبغي له ولمن حضره من المسلمين أن يدعوا اليهود أو النصارى يحكّمونهم بما هم بـه كافرون من أحكام المؤمنين قال لا قالوا كيف حكّم علي عمرو بن العاص وهو يكفر بما حكمه فيه ويستحل ما حرم الله من دماء المسلمين ويدين بغير دينهم ويوالي من عادوا ويعادي من والوا فنذكرك الله هل يسع علياً هذا قال لا يجوز هذا لمن فعله ولا يسعه وقالوا أما ما ذكرت من أمر الموادعة والقضية التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين فإنها كانت منازل ونقل عنها منزلة منزلة وكل منزلة نقل الله عنها نبيه أو أمره بغيرهـا حرم عليه الإقامة عليها وحرم على المسلمين أيضاً أن يقيموا على ما نقل عنه من ذلك القبلة التي كانت بيت المقدس نقل الله نبيه والمؤمنين

عنها باستقبال البيت الحرام ومثل الخمر كانت حلالاً ثم نهى الله عنها أولاً تأديباً وحرمها بعد ذلك من نعمه وطوله ومنته على نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين وكذا مفاداة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل بدر ولا أمر ولا نهي ولا وعيد وقال تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم . وقد كان سبق من الله العفو عنهم والمغفرة لهم فيما فعلوا وقيل سبق من الله أن لا يعذب أحداً إلا بعد بيان أو سبق من الله جل جلاله أن يحل لهذه الأمة ما غنموا من عدوهم إذا حاربوا وأنزل الله عز وجل على نبيه بعد ذلك تحريم معاهدة المشركين فقال براءة من الله ورسوله إلى قوله جل وعلا إن الله غفور رحيم . وإلى قوله لا تعملون فجاءت براءة بنقض كل عهد وتحريم أمان المشركين وقتلهم حيث ما وجدوا وحصرهم والقعود لهم بكل مرصد وتحريم الجنوح إليهم ولا يقبل منهم إلا الدخول في الإسلام والإقرار به ولأهل الكتاب الجزية فما لهم إلا الإسلام أو الجزية ولم يحل الله أمان أحد منهم إلا من استجار ليسمع كلام الله فإن لم يؤمن أبلغه مأمنه . وقال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا إلى قوله بعد عامهم هذا فلا إقامة لأحد على ما نقل الله نبيه عنه ، فما حجة صاحبك علينا فيما نقل الله نبيه والمؤمنين عنه وحرم ذلك عنه وإن جوز ذلك فليرجع إلى استقبال بيت المقدس وإلى كل ما نسخ ، ثم قالوا نذكرك الله يا بن عباس هل تعلم أن الذي احتج

به صاحبك علينا منتقض غير جايز في الدين؟ قال اللهم نعم، قالوا يا بن عباس ألست تعلم أن الله عز وجل قال في كتابه الزانية والزاني - الآية - والسارق والسارقة - الآية -. قالوا اللهم نعم قالوا فهل تعلم أن قتال الفئة الباغية حد من حدود الله كالجلد والقطع، قال نعم، قالوا فاخبرنا عمن زنا أو سرق فأراد إمام المسلمين أن يقيم عليه الحد فامتنع وقامت معه طايفة تمنعه عن إقامة الحد أليس يحل قتالهم؟ قال بلى، قالوا فإن المسلمين قاتلوهم حتى قتلوا منهم قتلى ثم ابتغوا الحكومة أيسع المسلمين قبولها وتحريم القتال وتعطيله، قال اللهم لا، قالوا فكيف يسوغ لنا أن نحكّم في دين الله من يدين بتعطيل الحدود وتحريم ما أحل الله من قتال الفئة الباغية مع أنه حد من حدود الله وكل ما حكم الله فيه فلا تخيير فيه لعباده قال الله عز وجل وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك إلى قوله عز وجل لقوم يوقنون وقال أفغير الله ابتغى حكماً الخ، وقال إن الحكم إلا لله إلى لا يعلمون وما جعل الله عز وجل الحكم للرجال فليحكم فيه ذوا عدل ولا حكم في غير ذلك للرجال، قال الله جل وعلا وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة إلى قوله ضل ضلالا مبيناً، وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم إلى قوله عز وجل ويسلموا تسليما، فكيف يحكم في

دين الله من لم يحكمه الله ورسوله ووجد في نفسه حرجاً مما قضى الله ورسوله وأبى أن يسلم تسليما واستحل قتل من حكم الله ورسوله ولم يجد في نفسه حرجاً مما قضى الله ورسوله وسلم لحكمه تسليما فإن معاوية وعمرو من العاص أبيا أن يسلما لحكم الله ورسوله، قال اللهم نعم. ثم قالوا يا بن عباس إن كان معاوية وعمرو بن العاص سلما لحكم الله وما أنزل من القرآن ورجعا عما كانا عليه وفاءآ إلى أمر الله ورجعا إلى دين المسلمين فالحق علينا أن نقبل عنهما ونتولاهما لأن الله أمر بقتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله فإذا فاءوا إلى أمر الله قبل ذلك منهم ولم يسع أحداً ذلك عليهما وأما أن نحكم الرجال فيما قد فرغ الله من الحكم فيه فإن كان حكموا بنقض ما جاءنا من الله فننتقل عما نحن عليه من البينات إلى الضلال والعمى والترك لحكم الله والإيمان الذي نحن عليه حتى يستحل ما حرم الله ويحرم ما أحل الله ونوالي من كنا نعاديه بدين وفريضة ونعادي من كنا نواليه بدين الله وبحكم كتاب الله وما افترض علينا من ولاية من أقر بديننا، فمعاذ الله أن نفعل ذلك إن شاء الله حتى تذهب أنفسنا أو نظهر على عدونا، فقال ابن عباس اللهم هذا هو الحق وقالوا ألست تعلم أن في ما اشترط علي ومعاوية كل واحد منهما على صاحبه أنه أيما رجل أحدث حدثا من أصحاب علي ودخل في دين معاوية وحكمه فليس لعلي إقامة الحد عليه لدخوله في دين

معاوية وحكمه وأيما رجل أحدث حدثا من أصحاب معاوية ودخل في دين علي وحكمه فليس لمعاوية إقامة الحد عليه لدخوله في دين علي وحكمه فكيف يدخل في دين قوم قد أقروا على أنفسهم بأنه من أحدث حدثا منهم ففر من حكم الله عليه وكره إقامة الحد بأن يقول دخل في دين معاوية زال ذلك الحكم والحد عنه وكيف يدخل في دين علي وأمره كذلك وزاد بأن خلع نفسه من إمرة المؤمنين ولم يرجع ولم يستغفر مما قد أتى مما وصفناه وذكرناه من أمره فيما سوى ذلك قد استحق من أمر الله البراءة والخلع حتى يتوب من ذلك ويستغفر ربه ويرجع من ذنبه، ألست تقول إن علياً قاتل طلحة والزبير بكتاب الله وبما افترض الله عليه من قتال الفئة الباغية وعلى ذلك الأمر قاتل معاوية، قال اللهم نعم، قالوا وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قاتل عمار بن ياسر ومن معه بصفين حتى قتل عمار بن ياسر ومن معه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين بإحسان وبأمر الله وإذنه قاتلوا الفئة الباغية، قال اللهم نعم، قالوا أخبرنا عن علي حين حكم الحكمين أليس قد حرم القتال الذي أحل الله من معاوية وجنده حتى يحكم الحكمان ويأذنا به، قال اللهم نعم، قالوا فأخبرنا عن علي أحرم دماءهم بتوبة من معاوية وجنده ودخول منهم في الإسلام أم حرم دماءهم بغير توبة منهم ولا دخول في الإسلام، قال بل حرم دماءهم بالعهد الذي أعطاهم حتى يحكم الحكمين بغير توبة ولا

دخول في الإسلام ، قالوا أليس قد حرم علي منهم ما أحل الله من قتالهم من غير انتقال منهم عن الذي أحل دماءهم واستحل قتال من قتل بلا حدث فمن أقام الآن بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وبما قام به عمار ومن معه من المسلمين فقاتل من قاتله عمار واستحل من استحل عمار فهو من الكافرين عند صاحبك وكيف يكون عمار من المهتدين المؤمنين ويضل من عمل عمله واقتدى بهداه بعده فإن كان قاتلهم عمار هدى فقد اهتدى من اقتدى بهداه وإن كان ضلالاً فقد ضل علي وأتباعه بولاية عمار ومن معه من المسلمين لقتالهم معاوية وكيف يكون القتال لمعاوية ضلالاً ومعاوية على الدين الذي استحل منه عمار قتاله وقتال من معه ثم لم يتوبوا ولم يرجعوا عما هم عليه من دين المسلمين وقولهم وكيف لم يكن القتال لطلحة والزبير على البغي ضلالاً وقد كانا أفضل من معاوية ويكون القتال لمعاوية ومن معه ضلالاً فهم على الدين الذي كان عليه طلحة والزبير هذا ما نعرف من خطإ علي ورجعته عما كان عليه من الحق ورغبته عما مضى عليه خيار المسلمين وكيف يحل الله قتال قوم ويأمر به ثم يهتدي من حرمه وهم على ذلك الدين ويضل من استحله وكيف يحل الله قتال قوم ويأمر به ويأذن فيه ثم يكفر من استحله حتى يأذن فيه من يستحل تحريمه من الحكمين وذلك أن علياً حرم القتال الذي أحله الله من معاوية وجنده حتى يأذن فيه عمرو بن العاص وأبو موسى وزعم على

أنه من قام بكتاب الله جل وعلا وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ويستحل ما أحل الله من قتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله فهو من الكافرين حتى يأذن فيه من يدين بتحريم ما أحل الله من قتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله بغير كتاب من الله حدث يحرم ما أحل الله من قتالهم وحتى يأذن فيــه من يدين بتحريمه ويستحل ما حرم الله من دماء المسلمين ويحرم ما أحـل الله من قتال الفئة الباغية ويعادي أولياء الله، ويوالي أعداء الله، فنذكرك الله يا بن عباس هل يسع هذا من فعله ويهتدى به ؟ قال اللهم لا . وانصرف عنهم وهو مقر لهم ومعترف لهم أنهم قــد خصموه ونقضوا عليه مما جاء به مما احتج به عليهم فرجع ابن عباس إلى علي فلما رآه قام اليه وناجاه وكره أن يسمع أصحابـه قـولهم وحجتهم التي احتجوا بها فقــال له علي ألا تعينـني على قتالهم فقال ابن عباس لا والله لا أقاتل قوماً قد خصموني في الدنيا وإنهم يوم القيامة لي أخصم وعليّ أقوى إن لم أكن معهم لم أكن عليهم واعتزل عنه ابن ـ عباس رضي الله عنه ثم فارقه وكتب إليـه علي يؤنبه بمال أخذه من البصرة من بيت المال فقال له قد عرفت وجه أخذي المال أنه كان بقية دون حقي من بعد مـا أعطيت كل ذي حق حقه قد علمت أخذي للمال من قبل قولي في أهل النهروان ولو كان أخذي المال باطلا كان أهون من أن أشرك في دم مؤمن فاكفف عن القوم فأبى والله أعلا وأعلم انتهى

وقال السيوطي في الإتقان إن علياً قـــال لابن عباس لا تجادلهم بالقرآن ولكن بالسنة وقال الشاعر العماني أبو مسلم الرواحي :

ليت الحكومة ما قامت قيامتها ... وليتهـا من أبي السبطين لم تصر
ملعونة جعلتها الشام جنتهـــا ... من ذي الفقار وقد أشفت على خطر
عجّت بتحكيم عمرو بعدما حكمت ... همدان فيها بحكم البيض والسمر
تباً لهـا رفعت كيداً مصاحفها ... ومقتضـــاهن منبوذ على العفر
مهلاً أبا حسن إن التي عرضت ... زوراء في الدين كن منها على حذر
ضغائن اللات والعزّا رقلن بهـا ... تحت الطليق وعثمانيـــة الأشر
لا تلبسن أبا السبطين مخزية ... فذلك الثوب مطوي على غرر
لم تنتقل عبد شمس من نكارتها ... دم الكبود على أنيابهـــا القذر
فما صحيفـــة صفين التي رقمت ... إلا صحيفة بين الركن والحجر
نسيت بدراً وأحداً يا أبا حسن ... وندوة الكفر ذات المكر والغدر
ويوم جاءك بالأحزاب صخرهم ... فاندك بالريح صخر القوم والذعر
وفتح مكـــة والأعياص كاسفة ... وأنت حيدرة الإسلام كالقمر
والقوم مـــا أسلموا إلا مؤلفة ... والرأي في اللات بين السمع والبصر
متى ترى هاشم صدق الطليق بها ... وثغرة الجرح بين النجر والفقر
ما لابن هند لثار الدار من غرض ... له مرام وليـــت الدار في سقر
لقد تقاعد عنهـــا وهي محوجة ... حتى قضت فقضى ما شاء من وطر
تربص الوغـــد من عثمان قتلته ... فقام ينهق بـــين الحمر والبقر
ينوح في الشام ثكلى ناشراً لهـــم ... قميص عثمان نوح الورق بالشجر

حتى إذا لف أولاهـــا بأخرها بشبهة مـــا تغطي نقرة الظفر
أتاك يقرع طنبور الشقـــاق له روقان في الكفر من جهل ومن بطر
تعك عك نفاقـــاً خلف خطوته كأنها ذنب في عجمة الوظر
يدير بين وزيريـــه سياسته عمرو وإبليس في ورد وفي صدر
متى جهلت أبا السبطين خطته وأنت أعلم أهل الطين والوبر
حاكمته بعدما الحمتـــه جزرا بعقر سبعين ألفاً عقرة الجزر

قلت وكانت لمعاوية في دولته آثار محمودة فقد تدارك الموقف وسد الثلمة وشرع في الجهاد وحماية البلاد وركب البحر وافتتح منـــاطق مشهورة وسدد وقارب حتى نسي المسلمون أو كادوا ينسون ما وقع بينهم وسمي ذلك العام عام الجماعة وذلك بعد قتل علي وتسليم الحسن لمعاوية ولما اجتمع بسعد بن أبي وقاص قال له السلام عليك أيها الملك فقال معاوية ما ضرك لو قلت أمير المؤمنين قال سعد أتقولها وأنت تضحك ولما قدم المدينة تلقاه الناس إلا الأنصار فعاتبهم وقال أين النواضح فقـــال أبو قتادة أفنيناها في طلبك وطلب أبيك .

التنبيه الثاني في حكم الخوارج
وذكر شيء من آدابهم وأخلاقهم

سئل الإمام علي عن أهل النهروان أمشركون هم قال من الشرك فروا قيل أمنافقون هم قال المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً ولكن إخواننا بغوا علينا .

وقال لا تقاتلوا الخوارج فليس من قصد الحق فاخطأه كمن قصد الباطل فأصابه وروى عنه البخاري أحاديث قابلة للتأويل كقوله يخرج في آخر الزمان وزمانه حديث وأنت تدري أن فيهم عدداً من الصحابة فيجب احترام الصحابة وقول الحق فيهم وتحمل الأحاديث الواردة في الخوارج في الصفرية والأزارقة الذين يستحلون دماء أهل القبلة وسبي ذراريهم ونسائهم أما المروى من قتل عبدالله بن خباب وزوجته فلم يصح أنه باتفاق من جميعهم بل ثبت أن الإمام عليا يطالبهم في قتله حيث انضموا إليهم كما انضم إلى جيشه قتلة عثمان على حد قولهم قال القطب بن يوسف الإباضي فى أهل النهروان من يرى رأي الصفرية والأزارقة

واستدل بما يروى عن عبدالله بن خباب وزوجته وبقول عبدالله بن وهب ما أدري إلى الجنة أم إلى النار يقوله لرجل قتل من الخوارج فقال حبذا الروحة إلى الجنة وإذا وقع مثل هذا في جيوش الأئمة فلا تعاب لأجله ، وفي فتح مكة اغتصب عقد أخت الصديق ولقد فعل عمرو بن العاص ومعاوية بن خديج ما يشبه هذا كحرق محمد بن أبي بكر الصديق في جوف حمار وقول الإمام علي فيهم ليس بأشد مما رواه ابن الأثير أنه كان يقنت في صلاته فيلعن معاوية وعمر أو غيرهما وكان معاوية يلعن علياً والحسن والحسين ومن معهم وفي كل جمعة ومنبر وقد علمت عذرهم من جهات : أولا : أن إمامة الإمام علي لم تثبت بإجماع الصحابة حيث لم يدخل طلحة والزبير وعبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص . ثانياً : أن في خروج طلحة والزبير ومن معهما أسوة لخروج هؤلاء فكيف يحل لأولئك الخروج ويحرم على هؤلاء وكذلك القول في معاوية ومن معه . ثالثاً : ان الإمام علياً أعطى الحكمين العهد والميثاق على قبول ما يحكمان به وقد حكما بخلعه فلمن خرج عنه العذر إذا تمسك بهذا . رابعاً : ذكر الطبري أن الإمام علياً قَبِلَ التحكيم مكرهاً خوفاً على نفسه ، وعليه فقد سقطت إمامته لضعفه . خامساً : على رأي بعض المسلمين ومنهم الإمام علي أن كل مجتهد مصيب وهؤلاء اجتهدوا . سادساً : ان فيهم صحابة وللصحابة مزية ليست لغيرهم . سابعاً : لهم حرمة لا إله إلا الله . أما ما روي أنهم يكفرون

علياً أو يطلبون منه الاعتراف بالكفر فهذا الكفر إن صح كفر النعمة لا كفر الشرك وهو ثابت بالكتاب والسنة . وقد ثبت عن الحسن البصري أنه كان يقول إذا ذكر علياً لم يزل أمير المؤمنين علي رحمه الله يتعرف النصر ويساعده الظفر حتى حكَّم فلم تحكِّم والحق معك ألا تمضي قدماً لا أبا لك ، رواه المبرد في الكامل . وروي عن الإمام مالك بن أنس أنه قال وكان يذكر عثمان وعلياً وطلحة والزبير فيقول والله ما اقتتلوا إلا على الثريد الأعفر ، وهذا رأي قد استهوى جماعة من الأشراف . يروى أن المنذر بن الجارود كان يرى رأي الخوارج وكان يزيد بن أبي مسلم مولى الحجّاج بن يوسف يراه وكان صالح بن عبد الرحمن صاحب ديوان العراق يراه وكان عدة من الفقهاء ينسبون إليه منهم عكرمة مولى ابن عباس قال وكان يقال هذا في مالك بن أنس قال المبرد وكان مما حاربهم به المهلب بن أبي صفرة اختلاق الأحاديث عليهم فقد كان يصنع الحديث ليشد به إزر قومه ويضعف به من أمر الخوارج ما اشتد ويقول إن الحرب خدعة وكان حي من الأزد إذا رأوا المهلب خارجاً قالوا راح يكذب ، وفيه يقول رجل منهم :

أنت الفتى كل الفتى لو كنت تصدق ما تقول

قال ولعل هذا وأمثاله هو السر فيما ترى من أحاديث كثيرة

ملأت بها كتب التاريخ والأدب في ذم الخوارج انتهى . قلت وقد انتشرت هذه الأحاديث الصحيحة والمكذوبة فارتبك فيها فطاحل من أهل العلم تورطوا بها في سب الصحابة وشتمهم عصمنا الله من الزلل وثبتنا في القول والعمل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ومن تلك الأحاديث الصحيحة ما رواه الربيع بن حبيب محدث الإباضية عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وأعمالكم مع أعمالهم يقرؤون القرآن ولا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة إلى آخر الحديث . قال نور الدين السالمي في عنوانه ما جاء في علماء السوء وذكر في البخاري سبب هذا الحديث أن أبا سعيد الخدري قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما إذ أتاه ذو الخويصره وهو رجل من بني تميم فقال يا رسول الله اعدل ، فقال ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل ، فقال عمر يا رسول الله إيذن لي فيه فاضرب عنقه ، فقال دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ثم ساق الحديث مع زيادة في آخره واختلاف في بعض الألفاظ وذكر في آخره ان آيتهم رجل أسود احدى عضديه مثل ثدي المرأة ومثل البضعة تدردر ويخرجون على حين فرقة من الناس ، قال أبو سعيد فاشهد أني سمعت هذا

الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي بـه حتى نظرت إليه على نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذي نعته، وهذه الزيادة لم يروها جابر بن زيد وهو قد سمع الحديث من أبي سعيد أيضاً، أتراه يأخذ من أبي سعيد ويسمع منـه ذلك ثم يتـولى من كان هذا وصفه، كلا بل هو أورع من ذلك وقـد أدرك عصر الصحابة وسمع من كثير منهم، وإني لأنزه البخاري عن الكذب ولكنه يأخذ عن أهل الأهواء كالشيعة والمرجئة ثقة بهم وأن لهم أهواء لا يؤمنون معها على نقل يخالف ما هم فيه. وكيف يصح ذلك وهذا الحسن بن علي تلقّى أباه حين دخل الكوفة فقال يا أبتي أقتلت القوم؟ قال نعم، قال لا يرى قاتلهم الجنة؛ قال ليت أني أدخلها ولو حبواً. ولما فقد علي تلك الأصوات بالليل كأنها دوي النحل قال أين أسود النهار ورهبان الليل؟ قـالوا له قتلناهم يوم النهر.

وفي السير من كتاب النهروان حدثني مسعود ابن الحـكم الهمداني أن ابن عباس قال للحسن إنكم لأحق بيت في العرب أن تتيهوا كما تاهت بنو إسرائيل قمتم بكتاب الله وسنة نبيه عليه السلام فجاهدتم بهـا ثم جعلتم حكما على كتاب ربكم ثم قتلتم خيّار المسلمين وفقهاءهم وقد أفنوا المخ واللحم وأجهدوا الجلد والعظم من العبادة وبذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله: وفي السير أيضاً

عن الحصين بن نوفل عن ابن عباس قال أصاب أهل النهر السبيل أصاب أبو بلال السبيل. وفي السير أيضاً من كتاب النهروان وحدثني مسعود بن عبد الله بن شداد أنه قدم المدينة فأرسلت إليه عائشة فقالت يا عبد الله لم قتل علي أصحابه فحدثها بالقصة كلها فقالت ظلمهم قالت هل تسمى أحداً ممن قتل قال نعم حرقوص بن زهير السعدي فاسترجعت وقالت أشهد أن رسول الله ﷺ كان في منزلي قال يا عائشة أول رجل يدخل من هذا الباب من أهل الجنة فدخل حرقوص ولحيته تقطر ماء وقال ذلك في اليوم الثاني فدخل وكذلك في اليوم الثالث قالت ومن قلت زيد بن حصن الطائي فبكت وقالت والله - لو اجتمعت الأمة على الرمح الذي طعن به زيد لكان حقاً على الله ان يكبهم جميعاً في النار ولما التحم القتال في النهروان من الغداة إلى الأصيل وعليّ واقف ومعه أبو العقيصة فسمعه يقول والله إن كنتم لأصحاب الدار يوم الدار وأصحاب الجمل يوم الجمل وأصحاب صفين يوم صفين وأصحاب القرآن إذا تلي القرآن فقال له ففيم نحن إذاً فضرب فرسه فلحق بهم وقتل فيها وعن ابن عباس قال حدثني قمبر مولى علي قال تحولت أنا وعلي إلى النهر بعد القتال فانكب طويلاً يبكي فقال ما يبكيك قال ويحك صرعنا ها هنا خيار هذه الأمة وقراءها فقلت أي والله فابك وبكى طويلاً ثم قال جذعت أنفي وشفيت نفسي فاظهر الندامة على قتله إياهم وقال له رجل هؤلاء الذين يحسبون

أنهم يحسنون صنعا قال ويحك أولئك أهل التوراة والإنجيل وقال له آخر والله ما بين الطريقين طريق إن كان أمر الحكمين هدى فقد ضللت بنقضك عهدك وبراءتك منهما وإن كان ضلالة لقد ضللت بقتلك أهل النهر إذ نهوك عن الضلالة . وفي السير أيضاً من كتاب النهروان عن جابر بن زيد أن علياً أظهر الندامة للناس قيل له قتلت قوماً وأظهرت الندامة عليهم وطفقت تمدحهم وتزين أمرهم لتخلعن أو لتقتلن فلما أصبح قال ابتغوا في القتلى رجلاً فوجدوا نافعا مولى ترملة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صالحاً مجتهداً قطع الفحل يده فقال هذا هو فقال له الحسن هذا نافع مولى ترملة قال له اسكت الحرب خدعة وهذا الرجل هو الذي التبس به على القوم أمر دينهم وظنوا أنه علامة للباطل فهذه بعض الآثار الموجودة في أهل النهر رضوان الله عليهم قال والكلام في استقصائها طويل وللقوم في ذلك أدوية حملت بعضهم على وضع أحاديث في القضية وبعضهم على تأويل الصحيح على غير وجهه فالله المستعان قال القطب وترى المخالفين يروون أحاديث لم تصح عن رسول الله صلى عليه وسلم وقد يصح الحديث ويزيدون فيه وقد يصح الحديث ويؤولونه فينا وليس فينا ثم ذكر تأول علي بن أبي طالب للحديث في أهل النهر وكذا تاول أبي أمامة حديثاً رواه أيضاً وتأوله فيمن أنكر التحكيم وهذا تاويل لم يقم عليه دليل وكيف لا يحمل الحديث على عبّاد قومنا مع ما ترى

من اجتهادهم فإن أصحابهم يؤثرون عنهم أشياء من التلاوة والعبادة نحقر صلاتنا مع صلاتهم وصيامنا مع صيامهم فلعل الحديث فيهم فيكون لكل تأويله وهذا إلزام للخصم بنظير قوله وأما الحديث فهو عندنا في علماء السوء وفي كل من خالف عمله كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لحديث عبادة بن الصامت الآتي في باب الإمارة وفيه ستكون عليكم أمراء يقرأون كما تقرأون ويعملون ما تنكرون ويمكن أن يحمل على غلاة الخوارج من الأزارقة والصفرية القائلين بشرك أهل الكبائر فإنهم يجتهدون في التحرر والعبادة لئلا يقعوا في الشرك ويؤيده ما روى عن رسول الله صلى الله وسلم يقول وهوى بيده إلى العراق يخرج منه قوم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية وحمله على كل من خالف الحق في عبادته أظهر كما يدل عليه ظاهر قوله عليه السلام يخرج فيكم قوم إلى آخره فإن لفظ في تدل على أن الخروج بمعنى الوجود بعد العدم والمعنى يوجد فيكم قوم هذا وصفهم قال واعلم أن اسم الخوارج كان في الزمان الأول مدحا لأنه جمع خارجة وهي الطائفة التي تخرج للغزو في سبيل الله تعالى قال الله عز وجل ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ثم صار ذما لكثرة تأويل المخالفين أحاديث الذم فيمن اتصف بذلك آخر الزمان ثم زاد استقباحه حين استبد به الأزارقة والصفرية فهو من الأسماء التي اختفى سببها وقبحت

لغيرها فمن ثم ترى أصحابنا لا يتسمون بذلك وإنما يتسمون بأهل الاستقامة لاستقامتهم في الديانـة وعكس هذا الاسم تسمية أهـل السنة فإنه كان في الزمان الأول قبيحاً لكون المراد بالسنة التي سنها معاوية في سب علي وشتمه في المنابر فصار ذلك سنة ينشؤ عليها الصغير ويموت عليهـــا حتى غيّرها عمر بن عبدالعزيز في خلافته فأهل ذلك الحال هم أهل السنة في ذلك الزمان ثم اندرس هذا السبب واختفى وظنوا أن السنة سنة النبي صلى الله عليه وسلم فتمدحوا بذلك وجمعوا بين المتضادين في الولاية وهم يعلمون أن الحق مع فريق منهم وخالفوا سنتهم الأولى حين صارت الدولة لبني العباس من بني هاشم قلت روى هذا كله المسعودي والحاكم في تسميتهم بالسنية .

فقال أحمد أمين في ضحى الإسلام الجزء الثالث لقد كان في الخوارج كل العناصر التي تكوّن الأدب عقيدة راسخة لا تزعزعها الأحداث وتحمس شديد لها تهون بجانبه الأرواح والأموال وصراحة في القول لا تخشى بأسا ولا ترهب أحداً وديمقراطية حقة لا ترى الأمير إلا كأحدهم ولا العظيم إلا خـادمهم ورسم الطريـق الذي ينبغي أن يسلكوه رسماً مستقيما واضحاً لا عوج فيه ولا غموض يجب أن يعدل الخليفــة والأمراء وألا يقاتلوا حتى يعزلوا ويقتلوا ويجب أن يسير المسلمون حسب نصوص الكتـاب والسنة من غير أن ينحرفوا عنها قيد شعرة وألا يقاتلوا ليحل محلهم مسلمون

مخلصون طاهرون ويجب أن يسلك السبيل إلى ذلك من غير تقية ولا مجاملة ولا مواربة ويجب أن يقابل الواقع كما هو ويشخص كما هو ويعالج كما هو على طريقة عمر بن الخطاب لا على طريقة عمرو بن العاص ووراء ذلك كله نفوس بدوية غالباً فيهـا كل الاستعداد للقول وفصاحة اللسان وفيها كل ما تعهده في البدوي من قدرة على البيان وسرعة في البديهة وأداء للمعنى بأوجز عبارة وأقوى لفظ ، من هذا كله نرى الخارجي قد اجتمعت له العاطفة القوية والأداة الصالحة للتعبير عنها. وهـذا الذي ذكرنا قـد جعل لأدبهم لوناً خاصاً غير لون الأدب المعتزلي وغير لون الأدب الشيعي. أدب المعتزلة أدب فلسفي فيه عنصر المعاني أغلب وأقوى ، وأدب الشيعة أدب باكٍ أو أدب حزين على فقدان الحق أو أدب غضبان على أن الخلافة لم توضع موضعها ، أما أدب الخوارج فأدب القوة أدب الاستماتة في طلب الحق ونشره وأدب التضحية فلا تستحق الحياة البقاء بجانب العقيدة وأدب التعبير البدوي الذي لا يتفلسف ولا يشتق المعاني ويولدها كما يفعل المعتزلة ، هو في بعض الأحيان أدب غضبان ولكنه ليس غضبان من جنس غضب الشيعـة ، فالشيعة يغضبون لشخص أو أشخاص ولكن الخوارج يغضبون للعقيدة وللإسلام عامة بقطع النظر عن الأشخاص وإن نظروا للأشخاص ففي ضوء العقيدة لا كما يفعـل غيرهم من النظر إلى العقيدة في ضوء الأشخاص ، وقد يرثون ويبكون ولكنهم حتى في

رثائهم وبكائهم أقوياء يذرفون الدمع ليسفكوا الدم ويبكون الميت ليتشجعوا الحي ويونبون المفقود ليرسموا المثل الأعلى للموجود ، لا يعرفون هزلا في الحياة فلا يعرفون هزلا في الأدب ولا ـ يعرفون خمراً ولا مجوناً فلا نجد في أدبهم خمراً ولا مجوناً إنما يعرفون الجهاد والقتال والتربية المتزمتة القاسية التي تخرج رجالا أقوياء لا يحرصون على الحياة فكذلك أدبهم كالذي روى أن مروان أخا يزيد لأمه دخل وهو صغير على عبد الملك بن مروان يبكي لضرب المؤدب له فشق ذلك على عبد الملك وكان عنده أحد الخوارج فقال له الخارجي دعه يبكي فإنه أرحب لشدقه وأصح لدماغه وأذهب لصوته وأحرى ألا تابى عليه عينه إذا حضرته طاعة ربه فاستدعى عبرتها . لا يحبون الكذب ولا يحبون المعاصي فكانوا كما قال المبرد : والخوارج في جميع أصنافها تبرأ من الكاذب ومن ذي المعصية الظاهرة فكذلك أدبهم ، قال قائل :

لقد زاد الحياة إليّ حباً ... بناتي أنهن من الضعاف

فقال عمران بن حطان الخارجي :

لقد زاد الحياة إليّ بغضاً ... وحباً للخروج أبو بلال
أحاذر أن أموت على فراشي ... وأرجو الموت تحت ذرى العوالي
فمن يك همه الدنيا فإني ... لها والله رب العرش قالي

ويقول قائلهم :

ومن يخش أطراف المنايا فإننا   لبسنا لهن السابغات من الصبر
فإن كريه الموت عذب مذاقه   إذا ما مزجناه بطيب من الذكر
وما رزق الإنسان مثل منية   أراحت من الدنيا ولم تخز في القبر

إلى أن قال وروى أبيات عيسى بن فاتك :

فلما أصبحوا صلّوا وقاموا   إلى الجرد العتاق مسومينا
فلما استجمعوا حملوا عليهم   فظل ذوو الجعايل يقتلونا
بقية يومهم حتى أتاهم   سواد الليل فيه يراوغونا
يقول بصيرهم لما أتاهم   بأن القوم ولوا هاربينا
ألفا مؤمن فيما زعمتم   ويهزمهم بآسك أربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم   ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة غير شك   على الفئة الكثيرة ينصرونا
أطعتم كل جبار عنيد   وما من طاعة للظالمينا

ومن أجل هذا كان كلامهم كسهامهم وخطبهم كقلوبهم يصفهم عبدالله بن زياد فيقول لكلام هؤلاء أسرع إلى القلوب من النار إلى اليراع ويروي المبرد أن عبد الملك بن مروان أتى برجل منهم فبحثه فرأى منه ما شاء فهما وعلما ثم بحثه فرأى منه ما شاء أربا ودهيا فرغب فيه واستدعاه للخروج عن مذهبه فرآه

مستبصراً محققاً فزاده في الاستدعاء فقال له لتغنك الأولى عن الثانية وقد قلت فسمعت فاسمع أقل قال له قل فجعل يبسط من قول الخوارج ويزين له من منهبهم بلسان طلق وألفاظ بينة ومعان قريبة فقال عبد الملك لقد كاد يوقع في خاطري أن الجنة خلقت لهم وأني أولى بالجهاد منهم . لقد كانت ثقافة الخوارج بحكم غلبة البداوة عليهم ثقافة عربية خالصة لا أثر فيها لفلسفة اليونان كما هو الشأن في ثقافة المعتزلة ولا أثر فيها لثقافة الفرس كما هو الشأن في الشيعة . ثقف الخوارج ثقافة أدبية لغوية على نمط العرب في ثقافتهم وثقافة إسلامية على النمط المعهود في عصرهم من تفهم للكتاب والسنة في سهولة ويسر فإن جادلوا في الدين فاحتجاج بظواهر النصوص وتمسك بحرفيتها فكان على أدبهم هذا الطابع لقد كان مظهر أدبهم من جنس أدب العرب لا كتب تؤلف ولا بحوث تصنف ولا موضوع يحلل ولكنه شعر كثير وخطب كثيرة وحكم منثورة وقد أنتجوا في هذا نتاجاً ضاع كثيره وبقي قليله ولو لم يحفظ لنا المبرد في كتابه الكامل طائفة صالحة منه لعمي علينا أمره وقد دلنا هذا القليل المروي على الكثير الضائع كما لم يبق في أيدينا على ما أعلم من دواوينهم إلا ديوان الطرماح الشاعر انتهى المراد منه . قلت وفي ديوان الإمام إبراهيم بن قيس الحضرمي الأباضي مظاهر حية وبسالة نادرة وقال أبو بلال المرداس بن حدير يرثي عبدالله بن وهب ومن قتل معه بالنهروان :

أبعد ابن وهب ذي النزاهة والتقى
ومن خاض في تلك الحروب المهالكا
أحب بقاءً أو أرجّى سلامة
وقد قتلوا زيد بن حصن ومالكا
فيارب سلم نيتي وبصيرتي
وهبني التقى حتى ألاقي أولائكا

وذلك سنة ثمان وثلاثين للهجره وقال العلامة ابن النضر العماني:

بالنهروان وقعة لم تجهل	فكم هناك من فتى مجدّل
معفر في دمه مرَمّل	أشعث في أثوابه لم يغسل
قد كان غيثاً للعفاة النزل	ولليتامى والضعيف المرمل
يبيت في محرابه المستقبل	محكّم لربه مهلل
ينحب إشفاقاً بدمع مسبل	لقلبه في صدره كإفكل

الإفكل الرعدة

مبتهل يدعو بقلب وجل	حران في ليل التمام الأليل
منتصب لربه مبتهل	يسأله جايزة التقبل
في جزع منه وفي تنصل	لا يطعم الغمض مع التململ
بات على القرآن في تبتُّل	يهذّه بصوته المرتل

مثل الأساطين بصدر الجدل

الأساطين جمع اسطوانة وهي السارية ، والجدل القصر ، وسيأتي الباقي في ذكر أقوال الموافقين والمخالفين في المذهب الأباضي .

وللشاعر العماني أبي مسلم الرواحي :

بني هاشم عمداً ثللتم عروشكم ... وفي عبد شمس نجدة وظهور
على غير ذنب غير إنكار قسطهم ... وللجور في نفس المحق نكير
قتلتم جنوداً أحكموا الله لا سوى ... وقالوا عَليٌّ لا سواه أمير
فيا لَدماء في حروراء غودرت ... تمور وأطباق السماء تمور
وأنفس صدّيقين أزهقها الردى ... وشقت عن التقوى لهن نحور
مخردلة الأشلاء للطير في الفلا ... وهنَّ بجنّات النعيم طيور
على جنبات النهروان عقاير ... كما عقرت بالمشعرين نذور
أبيد خيار المسلمين بضحوة ... كما نحرت للميسرين جزور
يعجون بالتحكيم لله وحده ... وهامهم تحت العجاج تطير
فيا أمة المختار هل فيك غيرة ... فإن محب الله فيه غيور
ويا ظهرة الإيمان هل فيك منعة ... وهيهات عزَّت منعة وظهور
ويا لرجال الله أين محمد ... وناصره بالنهروان عقير
ولو وقعة كانت بعين محمد ... لما قر عيناً أو يزول ثبير
فمن لصدور الخيل فوق صدورهم ... ولله في تلك الصدور بحور
تطل دماء المؤمنين على الهدى ... وخيل ابن صخر في البلاد تغير
ويعصى ابن عباس إذا لمَّ شعثها ... ويسمع فيها أشعث وجرير

على أن علَت فوق الرماح مصاحف ونادوا إلى حكم الكتاب نصير
مكيدة عمرو حين رثّث حباله وكادت بجور القاسطين تغور
أبا حسن ذرها حكومة فاسق جراحات بدر في حشاه تفور
أبا حسن أقدم فأنت على هدى وأنت بغايات الغويّ بصير
أبا حسن لا تعطين دنيّة وأنت بسلطان القدير قدير
أبا حسن لا تنس أحداً وخندقاً وما جر عير قبلها ونفير
أبا حسن أين السوابق غودرت وأنت أخوه والغدير غدير
أبا حسن إن تعطها اليوم لم تزل يحل عراها فاجر ومبير
أبا حسن أطلقتها لطليقها وأنت بقدّ الأشعريّ أسير
أتحبس خيل الله عن خيل خصمه وسبعون ألفاً فوقهن هصور
أثرها رعالاً تنسف الشام نسفة بشارات عمار لهن زفير
وصك ثغور الفاسقين بفيلق له مدد من ربه فظهير
فلم يبق إلا غلوة وتحسهم ويبكي ابنَ صخر قبة وسرير
فما لك والتحكيم والحكم ظاهر وأنت عليٌّ والشآم تمور
أفي الدين شك أم هوادة عاجز تجوّزتها أم ذو الفقار كسير
يبيت قرير الجفن بالجفن لاصقاً وجفن حسام ابن اللعين سهير
فلا جبرت حدّاه إن ظل مغمداً وهنديّ هند منجد ومغير
ولا جبرت حداه يوم سللته له في رقاب المؤمنين صرير
أتغمده عن عبد شمس وحزبها ويلفح حزب الله منه سعير
فما لك والأبرار تنثر هامهم كأنك زرّاع وهنّ بذور

ذروتهم عصفاً وتبكي عليهم بلى فابكِ خطب بالبكاء جدير
فما هي إلا جذعة الأنف ما شفت غليلا وجرح لا يزال يفور
ستحصد هذا الزرع مهما تقصدت عراقك لا يلوي عليك ضمير
تنازعها سل السيوف فتلتوي وتخطب فيها والقلوب صخور
قتلت نفير الله والريح فيهم وأصبحت فذاً والنفير نفور
نشدت دويّ النحل لما فقدتهم ويعسوب ذاك النحل عنه خبير
أرقتَ دماء المؤمنين بريئة لهن بزيزاء الحمراء خرير
علياً أمير المؤمنين بقيةً كأن دماء المؤمنين خمور
سمعناك تنفي شركهم ونفاقهم فأنت على أي الذنوب نكير
وما الناس إلا مؤمن أو منافق ومنهم جحود بالإله كفور
وقد قلت ما فيهم نفاق ولا بهم جحود وهذا الحكم منك شهير
فهل أوجب الإيمان سفك دمائهم وأنت بأحكام الدماء بصير
تركتهم جزر السباع عليهم لفايف من إيمانهم وستور
مصاحفهم مصبوغة بدمائهم عليهن من كتب السهام سطور
وكنت حفياً يا بن عم محمد بحفظ دماء ما لهن خطير
وكنت حفياً أن يكونوا بقية لِنصرك حيث الدايرات تدور

* * *

أما والذي لا حكم من فوق حكمه على خلقه ورد به وصدور
لقدماً أعاروك الجماجم خشعاً عليهن من قرع الصفاح فطور
فقصعتها إذ حكمت حكم ربها فما بقيت عارية ومعير

فيا أسفاً من سيف آل محمد على المؤمنين الصالحين شهير
نبا عن رؤوس الشام في الحق وانثنى على ثفنات العابدين يجور
أحيدرة الكرار إن خيارکم وقراءکم تحت السيوف شطور
أحيدرة الكرار تابعت أشعثاً وأشعث شيطان ألدّ كفور
أعشرون ألفاً قلبهم قلب مؤمن بأوجههم نور اليقين ينور
بهاليل أفنوا في العبادة أنفساً لهم أثر في الصالحين أثير
أسود لدى الهيجا رهابين في الدجى أناجيلهم وسط الصدور سطور
وفي القوم حرقوص وزيد وفيهم أويس ومن بدر هناك بدور
ومن بيعة الرضوان فيهم بقية بأيديهم منها ندى وعبير
أكلتهم في النهر فطرة صائم فكيف أبا السبطين ساغ فطور
فيا فتنة في الدين ثار دخانها وذاك إلى يوم النشور يثور
نجونا بحمد الله منها على هدى فنحن على سير النبي نسير
بصائرنا من ربنا مستمدة إذا اشتبهت للمارقين أمور
وثقنا بأن الدين عروة أمرنا وما شذّ عنه فتنة وغرور

قال في كتاب بيان الشرع وهو من الكتب العمانية القديمة المعتبرة المعتمدة قيل لما قتل علي بن أبي طالب أهل النهروان أمر بعيابهم فجمعت فإذا مصاحف وترايس فذكروا أنه أصيب في عسكرهم أربعة آلاف مصحف إلا مصحف فبكى علي حتى كادت نفسه تخرج ويقال إنه دخل على ابنته أم كلثوم فهنأته بالظفر بهم فقال علي أصبح أبوك من أهل النار إن لم يرحمه الله.

قال ابن الأثير قيل وأخذ ما في عسكرهم من شيىء فأما السلاح والدواب وما شهدوا به عليه فقسمه بين المسلمين وأما المتاع والإماء والعبيد فإنه رده إلى أهله حين قدم وعند فقهاء الإباضية أن علياً مستحل في قتلهم وأنه تجزيه التوبة من غير عزم وهذا هو حكم المستحل إن أراد التوبة بخلاف الذي يأتي الشيىء وهو يعلم أنه حرام فهذا لا توبة له إلا برد المظالم والتخلص إلى أربابها .

والحاصل أن أهل النهروان قوم قاتلوا مع علي يوم الجمل وقاتلوا معه يوم صفين وهم حريصون على بقاء إمامته وتوفير دولته وبذل النفس والنفيس في نصرته فلما حكم أخذهم الغيظ فاعتزلوه وقتلهم وقتلوه وما أشبههم بعمر بن الخطاب إذ استنكر صلح الحديبية مع النبي صلى الله عليه وسلم لكن رده الوحي إلى الحق وهنا انقطع الوحي (وما كان لمؤمن ولا مومنة إذا قضى الله ورسوله أمراً ان يكون لهم الخيرة من أمرهم) فانقرضوا وهم للصلاة قائمون وللزكاة فاعلون وللمعروف آمرون وعن المنكر ناهون وعلى الخيرات محافظون وفيهم القراء والصحابة الأكرمون ففي النهار هم صائمون وفي الليل قائمون وللقرآن تالون فإن تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون .

وأكثر ما عيبوا به كثرة الصلاة وتلاوة القرآن والعبادة التي

هي صفات الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعا . وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً . والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً . يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أوانقص منه قليلاً أو زد عليه ـ الآيات . ولست في هذا أدافع عن الصفرية والأزارقة والنجدية الغالين ولكن عن الصحابة الأكرمين والخلفاء الراشدين الذين لو أنفق أحدنا ملء الأرض ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ولا وجه أحدنا يبلغ تراب أقدامهم إلا أني أستحسن أدب الخوارج كقول الفارعة ترثي أخاها الوليد الشيباني:

بتلّ نهاكى رسم قبر كأنه ... على جبل فوق الجبال منيف
تضمّن مجداً عدمليا وسوددا ... وهمة مقدام ورأي حصيف
فيا شجر الخابور مالك مورقاً ... كأنك لم تحزن على ابن طريف
فتىً لا يحب الزاد إلا من التقى ... ولا المال إلا من قنىً وسيوف
ولا الذخر إلا كل جرداء صلدم ... معاودة للكر بين صفوف
كأنك لم تشهد هناك ولم تقم ... مقاماً على الأعداء غير خفيف
ولم تستلم يوماً لورد كريهة ... من السرد في خضراء ذات رفيف
ولم تسع يوم الحرب والحرب لاقح ... وسمر القنا ينكزنها بأنوف
حليف الندى ماعاش يرضى به الندى ... فإن مات لا يرضى الندى بحليف
فقدناك فقدان الشباب وليتنا ... فديناك من فتياننا بألوف
وما زال حتى أزهق الموت نفسه ... شجىً لعدو أو نجا لضعيف

ألا يا لقومي للحمام وللبــلى ... وللأرض همت بعده برجوف
ألا يا لقومي للنوائب والردى ... ودهر ملــح بالكرام عنيف
وللبدر من بين الكواكب إذهوى ... وللشمس لما أزمعت بكسوف
ولليث كل الليث إذ يحملونه ... إلى حفرة ملحودة وسقيف
ألا قاتل الله الحشى حيث أضمرت ... فتى كان للمعروف غير عيوف
فإن يك أرداه يزيد بن مزيد ... فرب زحوف لفهــا بزحوف
عليه سلام الله وقفــا فإنني ... أرى الموت وقاعا بكل شريف

وقالت ايضاً :

ذكرت الوليــد وأيامه ... إذا الأرض من شخصه بلقع
فاقبلت أطلبــه في السما ... كما يبتغي أنفه الأجدع
أضاعك قومك فليطلبوا ... إفادة مثل الذي ضيعوا
ولو أن السيوف التي حدها ... تصيبك تعلم مــا تصنع
نبت عنك إذ جعلت هيبة ... وخوفاً لصولك لا تقطع

خاتمة في فضل الصحابة رضي الله عنهم ومنزلتهم

لقد أثنى الله سبحانه وتعالى عليهم في كتابه العزيز في كثير من القرآن العظيم ولو لم يكن فيهم إلا قوله جل وعلا محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سياهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما .

وقوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا . وقوله تعالى والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ـ الآيات .

وفي البخاري عن عمران بن حصين قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم خـــير أمتي قرني ثم الذين يلونهـــم ثم الذين يلونهم والأحاديث في فضلهم كثيرة عامة وخاصة ولا تكاد تجد واحداً منهم إلا وله مزية خاصة به رضي الله عنهم وجازاهم عن الإسلام وعن نبيه خيراً .

فإن قلت قد ثبت أن فيهم الزاني والسارق والقاتل والفاسق والسكران وقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم زانيهم وقطع يد سارقهم وقتل القاتل وحكم الله على حـــديث الفاسق منهم بالتبين وجلد السكران قلت هذه الآيات والأحاديث عامة واختلف العلماء في حكم العام فقالت الحنفية إن حكم العام إثبات الحكم في جميع ما يتناوله من الأفراد قطعاً ويقينا ـ وذهبت الأباضيـــة والشافعية وجمهور المتكلمين إلى أن إثبات ذلك الحكم في الأفراد ظناً لا قطعا ويقينا والدليل على القول الأخير قول الله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً فربط مغفرة ذنوبهم وثوابهم إذا قرنوا الإيمـــان بالعمل الصالح ـ قل آمنت بالله ثم استقم .

وقوله تعالى إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه فدلت أن في المبايعين تحت الشجرة من يحتمل نكثه وقوله تعالى حكاية عن الملائكة ويستغفرون لمن في الأرض قيدها بقوله ويستغفرون للذين آمنوا لأن أهل الأرض

فيهم المشرك ومن لا يستحق الاستغفار وقوله تعالى في ريح عاد ما تذر من شيىء أتت عليه إلا جعلته كالرميم وقوله تعالى في ذكر بلقيس وأوتيت من كل شيىء فإن قلت فما القول في البراءة من العاصي منهم قلت هم كغيرهم بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم برئ من الثلاثة الذين خلّفوا حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وقصتهم مشهورة مجمع عليها . وهذا هو معنى البراءة التي هي بغض العاصي وحب المطيع وهذه البراءة لا تنافي سعادتهم في الآخرة فهي نوع قطع يد السارق ورجم الزاني المحصن قال صلى الله عليه وسلم حكمي على الواحد حكمي على الجماعة وقال عمار بن ياسر لعائشة رضي الله عنها نعلم أنك زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة ولكن لا نتركك تعصين الله بين أظهرنا وكان الإمام علي يلعن معاوية وعمرا في صلاته كما قال ابن الأثير وغيره والصحابة أسوة وقدوة لكن اللعن عندنا غير مستحسن وما هو بعبادة قال رسول الله صلى عليه وسلم أذكروا الفاسق بما فيه يحذره الناس وقال الله وقولوا للناس حسناً مطيعهم وعاصيهم وفي المبرد قال عمرو ابن العاص لعائشة رضي الله عنها لوددت أنك قتلت يوم الجمل فقالت ولم لا أبالك فقال كنت تموتين بأجلك وتدخلين الجنة ونجعلك أكبر التشنيع على علي . هذا هو المذهب الوسط الذي اعتمده الإباضية عكس اعتقاد فرق الخوارج الذين يحكمون بشرك المرتكب الكبيرة وعكس

معتقد غيرهم الذين يعذرون العاصي منهم ويتولونهم وهم مع هذا كلامهم متناقض فتراهم يعذرون بعضا ويشتمون بعضاً وإذا أعيتهم الحجج والأدلة نسبوا اللوم والشتم إلى الضعفاء فالزط والسبائية وابن الكواء وغيرهم إنما يقاتلون تحت قيادة السادة الصحابة فلو أمسك أولئك واعتزلوا القتال اعتزل هؤلاء فإن قلت فما القول في عدالتهم قلت هم عدول الأمن صح منه أنه يستحل الانتهاك فقد أورث الشبهة في قوله روى الطبري وابن الأثير وغيرهم من المؤرخين حديث خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة وأنهم وردوا بليل ماء يقال له الحوأب عليه - أناس من بني كلاب فقالت عائشة ما اسم هذا المال فقال السائق الحوأب فاسترجعت وقالت ردوني إلى حرم رسول الله وذكرت أن رسول الله عليه السلام قال كلاب ماء يقال له الحوأب قدتنبح امرأة من نسائي وهي فيه راكبة معصية فقال عبدالله بن الزبير ليس هذا بالحوأب وقيل القائل الزبير وكان في ساقة الناس قال المسعودي وهو من ولد عبدالله بن مسعود فلحقاها فاقسما أنه ليس بالحوأب وشهد معهما خمسون ممن كان معهم قال وذلك أول شهادة زور في الإسلام.

وقال أحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام والمعتزلة بعد ذلك آراء سياسية في الإمامة وفي أحداث التاريخ الإسلامي وإن لم يتفقوا عليها اتفاقهم على الأصول الخمسة السابقة وهم وإن اختلفوا فيما بينهم في آرائهم فعلى قولهم جميعاً مسحة من حرية الرأي وتسريح

المسائل ووضعها موضع النقد وفي كلامهم ما يدل دلالة واضحة على أنهم وضعوا الصحابة والتابعين موضع الناس يخطئون ويصيبون ويصدر منهم ما يمدح وما يذم ولم يتحرجوا من ذلك كما تحرج غيرهم فوضعوا الصحابة وكبار التابعين في دائرة لا يستباح مهاجمتها بل قالوا إنا رأينا الصحابة أنفسهم ينقد بعضهم بعضاً فلو كانت الصحابة عند أنفسها بالمنزلة التي لا يصح فيها نقد ولا لعن لعلمت ذلك من حال نفسها لأنهم أعرف بمحلهم من عوام أهل دهرنا وهذا طلحة والزبير وعائشة ومن كان معهم وفي جانبهم لم يروا أن يمسكوا عن علي وهذا معاوية وعمرو بن العاص لم يقصروا دون ضربه وضرب أصحابه بالسيف وكالذي روى عن عمر من أنه طعن في رواية أبي هريرة وشتم خالد بن الوليد وحكم بفسقه وخوّن عمرو بن العاص – ومعاوية ونسبهما إلى سرقة مال الفيىء واقتطاعه وقل أن يكون في الصحابة من سلم من لسانه أو يده إلى كثير من أمثال ذلك مارواه التاريخ قالوا وكان التابعون يسلكون بالصحابة هذا المسلك ويقولون في العصاة منهم هذا القول وإنما اتخذهم العامة أربابا بعد ذلك والصحابة قوم من الناس لهم ما للناس وعليهم ما عليهم ، من أساء منهم ذممناه ومن أحسن منهم حمدناه وليس لهم على غيرهم كبير فضل إلا بمشاهدة الرسول ومعاصرته لا غير بل ربما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم لأنهم شاهدوا الأعلام والمعجزات فمعاصينا أخف لأننا أعذر انتهى. قلت بل روى عن

بعض أعلام أهل البيت النبوي أنـــه قال ذنوبنا أعظم من ذنوب الناس قياساً على زوجات النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال الله في شأنهن يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وفي مسند الربيع وغيره من كتب الإباضية أحاديث كثيرة عن الخلفاء الأربعة وعن الصحابة حتى عن مروان ومعاوية وهي صحيحة معمول بها وفي صحيح مسلم لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتك الأقربين دعـــا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً فاجتمعوا فعم وخص فقال يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئاً إن لكم رحما سأبلها ببلالها ومعنى سأبلهـــا ببلالها أي أصلكم في الدنيا ولا أغني عنكم من الله شيئاً وفي الترمذي من حديث ابن عمر والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة سرقت لقطعت يدهـــا فقطع يد المخزوميه في البخاري ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصيحابي وفي نسخة أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيبه عليهم وأنت على كل شيء شهيد فيقال إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على

أعقابهم منذ فارقتهم ورواه الربيع بن حبيب مطولا قال القطب وأفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر ويقطع لهما بالجنة ولم يثبت مع علماء الأباضية أحاديث القطع بالجنة للعشرة المبشرين بالجنة وهي على كل حال آحادية رضي الله عن الصحابة أجمعين وعن التابعين وتابعي التابعين إلى يوم الدين .

باب في التابعين وإنشاء المذهب الأباضي

فصل جابر بن زيد قال ابن القيم في أعلام الموقعين عن رب العالمين بعدما ذكر المفتين من الصحابة ذكر التابعين وابتدأ بأهل المدينة وفقهائها وثنى بمكة المكرمة وفقهائها وثلث بالبصرة الغراء وذكر من فقهائها المفتين الموقعين عن رب العالمين أبا الشعثاء - جابر بن زيد قلت هو ثقة بإجماع المحدثين والفقهاء وأحاديثه في البخاري ومسلم وأبي داود وله المدونة الكبرى ذكرها في كشف الظنون قال القطب وقر بعير وقيل وقر عشرة أبعرة كانت بالمكتبة الكبرى في بغداد وأخذ منها بعض علماء نفوسة نسخة في زمان الإمام أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن الفارسي من أئمة القرن الثاني والثالث للهجرة ولكنها ضاعت ولم نجدها .

ولد جابر سنة واحد وعشرين وقيل سنة اثنتين وعشرين وقيل سنة ثماني عشرة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتوفي عام ثلاثة وتسعين على ما رواه الإمام أحمد وقيل سنة ثلاث ومائة على ما رواه ابن سعد وقيل سنة ستة وتسعين - والصحيح

الأول وهو رواية أبي عبيدة مسلم أحد تلامذته الكبـــار وكانت وفاته في الأسبوع والسنة التي مات فيها أنس بن مالك الصحابي الجليل .

قال العلامة الشماخي جابر بحر العلم وسراج الدين أصل المذهب وأسه الذي قامت عليه آطامه ، خرج جابر في شبابه من وطنه فرق من أعمال نزوى عاصمة عمان الثانية فسكن البصرة طالباً للعلم وأصله من ولد عمرو بن اليحمد الأزدي ويكنى أبا الشعثاء بابنته الشعثاء المشهور قبرها الآن ببلدة فرق وعاش بالبصرة متردداً إلى المدينة المنورة فاجتمع بعدد كبير من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال جابر أدركت سبعين من أهل بدر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فحويت ما عندهم إلا البحر يعني ابن عباس وليس ابن عباس من أهل بدر فالاستثناء منقطع وقال أيضاً أدركت جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسألتهم عما إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يمسح على خفيه فقالوا لا ، وقال في باب العلم من المسند أدركت ناساً من الصحابة أكثر فتيـــاهم حديث النبي صلى الله عليه وسلم وقـــال في صلاة خوف حدثني جملة عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء هم شيوخه الذين أخذ العلم عنهم فروايته في المسند عن ابن عباس وعائشة أم المؤمنين وابن عمر وأبي هريرة وأنس بن مالك وأبي سعيد الخدري ومعاوية وعلي بن أبي طالب ومروان بن الحكم وغيرهم بعضهم بالمشافهـــة وبعضهم بالبلاغ من طريق الثقات وقـال في كتاب رحمة الأمـة كان

ابن عباس يستخلف جابر بن زيد في الفتيا روى الإمام الكدمي العماني أحد الأعلام في القرن الرابع صاحب كتاب الاستقامة وكتاب المعتبر قال في الجامع المفيد من جواباته إن آمنة زوج جابر بن زيد اكتوت لعلةٍ بها فغضب عليها جابر وهجرها وفي حجة لهما وعمرة وزيارة اشتكت به مع شيخه ابن عباس هجرانه لها فقال إنها لم تتوكل على الله والله يقول ومن يتوكل على الله فهو حسبه فقال له ابن عباس أفلا تكمل الآية يا جابر يعني قوله تعالى قد جعل الله لكل شيىء قدرا فرضي عنها قال أبو طالب مكي وهو أندلسي الأصل في كتابه قوت القلوب إن ابن عباس قال اسالوا جابر بن زيد فلو ساله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه .

وقال ابن عباس رضي الله عنه عجباً لأهل العراق كيف يحتاجون إلينا ومعهم جابر بن زيد ورأى جابر بن زيد رجلا يصلي على ظهر الكعبة فقال من المصلي لا قبلة له فسمعه ابن عباس وكان في المسجد فقال إن يكن في البلاد جابر بن زيد فهذا من قوله وقال ابن عباس رضي الله عنه جابر بن زيد أعلم الناس بالطلاق .

كان لجابر بن زيد المكانة العليا مع ابن عباس وعائشة أم المؤمنين وهما أغلب من أخذ عنهم وكانت عائشة تقدم له وسادة إذا دخل معها وكان يسألها عما دق وجل ودخل عليها هو وأبو بلال مرداس بن حدير فذكرا لها حديث خروجها على الإمام علي فتابت من ذلك واستغفرت .

دخل جابر المسجد الحرام ورأى الناس متحيرين وذلك زمان هدم الحجاج الكعبة فطاف بالناس وهو يتلو إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها فتبعه الناس ، قال في الطبقات قال إياس بن معاوية رأيت البصرة وما فيها مفت غير جابر ابن زيد وقال محمد بن محبوب العالم العماني من علماء القرن الثالث للهجرة جابر أعلم من الحسن البصري ولكن كان جابر لقوم والحسن للعامة يعني إنه يعظهم وأما الفتوى فكانت لجابر خاصه ، قال الربيع ابن حبيب عن ابنة مطرف قالت أتيت جابراً فيما يبلى به الناس فما أعلم أني كلمت فقيها ولا عالماً ولا أميرا قط أعلم ولا أعقل منه وسألته امرأة أخرى عن حر يخطب جاريتها فقال لا تزوجيه ثم راجعته بأن قال الخاطب إن لم تزوجيني زنيت بها فقال الآن زوجيه فهذا هو العنت كان غاية في الأخلاق والجود والكرم خرجت زوجته آمنة إلى الحج ولما رجعت شكت إليه سوء معاملة الجمّال فخرج إليه وأدخله داره واشترى لإبله علفاً وعولج له طعام واشترى ثوبين كساه بهما ودفع له ما كان مع آمنة من قربة وأداوة وغير ذلك فقالت أخبرتك بسوء العشرة ففعلت ما أرى فقال افنكافيه مثل فعله فنكون مثله بل نكافيه بالإساءة إحسانا وبالسوء خيراً وأهدت إليه امرأة جزوراً فأمر أحد تلامذته بنحرها وتجزأتها على الجيران فاكثر جزء أبي الشعثاء فقال أكل جيراننا أصاب مثل هذا قال لا قال واسوتاه ساو بيننا وبين جيراننا واطلع

أبو الشعثا فإذا برجل من الاكادين يبكي ويمسح دموعه قال مالك ويحك قال صبيان دربكم هذا نزعوا مني قنوين جئت بهما إلى صاحب الأرض فإني أخاف أن لا يصدقني فبعث جابر إلى بعض أصحابه له نخل فأخذ قنوين فبعث بهما إليه .

وخرج يوماً يريد الجمعة فتلقاه الناس منصرفين فشق عليه ذلك وقال اللهم لك عليّ أن لا أعود وكان يصليها خلف زياد وولده عبيد الله وخلف الحجاج وكان من تلامذته حبيب أبو الربيع المحدث صاحب المسند وعتب عليه حضور الصلاة خلف الحجاج فقال جابر إنها صلاة جامعة وسنة متبعة .

وقيل إن جابراً صلى بالإيماء يوم الجمعة والحجاج يخطب إلى أن فات الوقت وقال جابر بن زيد اليوم نفع كل ذي علم علمه قيل فات وقت الظهر ودخل وقت العصر فخشى جابر فواته أيضاً وقد فهم الحجاج أن جابراً صلى بالإيماء فقال الحجاج قد عرفنا من صلى ومن لم يصل وكتب أهل عمان لجابر يسالونه هل يأت الجمعة من لا يسمع النداء فكتب إليهم جابر لو لم يأت إلا من يسمع النداء لاقل الله أهلها تؤتى من رأس فرسخين وثلاثة وفي رواية وقدر أن ياوي إلى منزله قبل الليل فعليه الجمعة لقد امتلأت الكتب العمانية والمغربية بفتاوى جابر ورواياته في الحديث لو حاولنا جمعها لما كانت دون ما يروى عن مدونته المشهورة قال

أبو سفيان محبوب بن الرحيل القرشي إن أبا الحر علي بن الحصين العنبري قال لأبي عبيدة مسلم أبي كريمة التميمي بالولاء أُقم للناس خمسة أيام بعد الموسم فأبى فقيل له عليك بضمام بن السائب وكان الندب من عمان فقال أوعنده من العلم ما يكتفي به الناس قالوا وفوق ذلك فأتاه وقام للناس وكثر عليه السؤال وكان جوابه سألت جابراً وسئل جابر وسمعت جابراً وقال جابر ومن قواعده المشهورة ليس للعالم أن يقول للجاهل أعلم مثل علمي وإلا قطعت عذرك وليس للجاهل أن يقول للعالم أرجع إلى جهلي وضعفي وإلا قطعت عذرك وإذا قال العالم ذلك قطع الله عذر العالم وإذا قال الجاهل ذلك قطع الله عذر الجاهل وقال ضمام كان جابر يأتي الخوارج الذين استحلوا أموال أهل القبلة وسبي ذراريهم ونسا هم فيقول لهم أليس قد حرم الله دماء المسلمين بدين فيقولون نعم وحرم الله البراءة منهم بدين فيقولون نعم فيقول أوليس قد أحل الله دماء أهل الحرب بدين بعد تحريمها بدين فيقولون بلى فيقول وحرم الله ولايتهم بدين بعد الأمر بها بدين فيقولون نعم فيقول هل أحل ما بعد هذا بدين فيسكتون قيل وكتب الحجاج إلى يزيد بن أبي مسلم كاتبه لقد وقع في نفسي شيىء من القدر فالتمس لي عالما فكتب يزيد إلى جابر وكان صديقاً له فأجابه قل للأمير يتدبر خطبته فإن فيها بيان ما سئل عنه فرددها مراراً كل ذلك لم ينتبه ثم بعد ذلك انتبه فقال من يهدى الله فهو

المهتدى ومن يضلل فلا هادي له قال ويحك يا يزيد مـــا أعلم
صاحبك وروى أنه كان في سجن الحجاج فعرضت مسئلة الخنثى
فلم يوجد لها مفتيا فقيل للحجاج عليك بجابر فأتي به في أصفاده
فقال أتستفتوني وفي رجليّ قيودكم قالوا نعم قـال اعتبروا المبال
قيل لسعيد بن المسيب قال صدق وإن بال منهما فالحكم للأغلب لقد
حبس نفسه للحج ويقال إنه حج أربعين حجة ومنعه ذات سنة
أمير البصرة لحاجة الناس إليه فلما كان غرة ذي الحجة جاءه الناس
فقالوا أصلحك الله قد هل هلال ذي الحجة قـال فأرسله فخرج
من السجن فأتى منزله وناقته حوله في الدار قد كان هيأها للخروج
فاخذ يشد عليها الرحل ويتلو ما يفتح الله للناس من رحمة فلا
ممسك لها يا آمنة أعندك شيىء قالت نعم فهيأته في جرابين فقال
من سألك فلا تخبريه بسيري يومي هذا فخرج من ليلته وانتهى
إلى عرفات والناس في الموقف فضربت بجرانها الأرض وتجلجت
فقال الناس ذكها قال حقيق لناقـــة رأت هلال ذي الحجة
بالبصرة أن لا يفعل بها هذا ثم سلمها الله تعالى وقد كان سافر
عليها أربعا وعشرين مرة بين حج وعمرة ودخل ثابت البناني على
جابر حين احتضر فقـال هل تشتهي شيئاً قـال إني لأشتهي أن
ألق الحسن البصري قبل أن أموت فخرج ثابت فأعلمه بقول جابر
وكان مستخفياً من الحجاج فركب بغل ثابت على السرج وركب
خلفه ثابت بطيلسانه فلما دخل على أبي الشعثا وهو مضطجع انكب

عليه الحسن وهو يقول قل لا إله إلا الله فرفع جابر عينيه وهو يقول أعوذ بالله من غدو أو رواح إلى النار فقال قل لا إله إلا الله فقال أعوذ بالله من غدو أو رواح إلى النار ثم قال يا أبا سعيد يوم يأتي بعض آيات ربك . لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ، فقال الحسن هذا والله الفقيه العالم ثم قال يا أبا سعيد أخبرني عن حديث ترويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المؤمن إذا حضرته الوفاة فقال عليه السلام إن المؤمن إذا حضرته الوفاة وجد على كبده برداً فقال جابر الله أكبر اللهم إني أجد برداً على كبدي ثم قبض رحمة الله عليه كان يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج صديقاً بجابر فوفد إليه مرة فأدخله على الحجاج فقال أتقرأ قال نعم قال أتفرض قال نعم فعجب به فقال لا ينبغي أن نؤثر عنك أحداً نجعلك قاضياً للمسلمين قال جابر أنا أضعف من ذلك قال وما بلغ من ضعفك قال يقع بين المرأة وخادمها شر فما أحسن أن أصلح بينهما فقال إن هذا لهو الضعف قال فهل لك من حاجة قال نعم وما هي قال تعطيني عطائي وتدفع عني المكروه قال الحجاج هذا لا يستقيم أن نعطيك من بيت مال المسلمين ولا نستعملك لهم فقال يزيد هنا خصلة تخف على الشيخ وفيه عون للمسلمين تجعله في أعوان صاحب ديوان البصرة قال كذلك فلما خرجا قال جابر ما صنعت شيئاً أتراني أكون عونا لصاحب الديوان فقال يزيد أكتب لصاحب

الديوان أن لا يكلفك مؤنة ويعطيك عطاءك كاملاً وكان عطاءه سبعمائة أو ستمائة وكان في ديوان المقابلة وكان يزيد شديد الحب لجابر فخرج إليه ذات مرة إلى واسط في يوم جمعة فلما تغديا دعا يزيد بجارية له فجاءت بغاليه فغلت بها رأس جابر ولحيته فقال اسرج على البرذون لأبي الشعثا قال أعفني من البرذون قال فالبغلة قال نعم فخرج فقال للغلام قف لي على باب المسجد بموضع سماه وأخذ على دجلة ونزل وغسل رأسه ولحيته ودلكها دلكا شديداً يقول اللهم لا تجعل حظي منك منزلتي عند هؤلاء القوم ثم جاء إلى المسجد فلما حضر خروج جابر تنافست امرأتا يزيد في زاده فصنعتا له شيئاً كثيراً وكان معه عمارة بن حيان أحد تلامذته فلما ركبا السفينة قال لعمارة لا تدع أحداً من أهل المركب يفتح زاده فلما انتهى إلى البصرة قال بقي جرابان أحملها إلى الصبيان قال صبها على ظهر السفينة وأطعم ملاحيك وادفع اليهم ما بقي وكتب يزيد يوماً من الأيام لجابر أن التمس لي مملوكا قد صلى لأعتقه فاشتراه جابر وأرسله إلى يزيد فأعتقه فلما رجع التمس أحسن جدي فشواه وأهداه لجابر فرده إليه فالتمس أحسن منه ظناً منه أن جابراً لم يكفه فزجره وقال من سعى في مثل هذا فلا تحل له الهدية .

وفي كتاب السير من رواية أبي سفيان محبوب بن الرحيل قال أتى شاب أبا الشعثا فقال أي الجهاد أفضل ؟ قال قتل خردلة ،

والشاب لا يعرفه فأراه إياه في المسجد ووضع يـــده عليه لئلا يخطئه فضربه بين كتفيه ضربة بخنجر قد سمه فأخذ القاتل وقال له الوالي قد علمت أنك لم تفعل هـــذا من نفسك وإنما أمرت فدلني على من أمرك ، فقال دع عنك هـذا ، فقتله . وكان خردلة سعى بجماعة من المسلمين فقتلوا وخرج ابن لجابر وهـو قاعد على باب داره فقبله ومسح على رأسه وقال لجلسائه أتروني أحبه ؟ قالوا أجل ، قال صدقتم والله إني لأحبه وما من نازل ينزل بـــه أحبّ إليّ من الموت ينزل به وبإخوتـــه ثم ينزل بي ثم بآمنة ، قالوا فآمنة أعز عليك من ولدك ، قـال ما هي بأعز عليّ منهم ولكن لا أحب أن أبقى في الدنيا يوماً واحـداً عازباً . وكان كما تمنى . وقال أبو سفيان نفى الحجّاج جابراً وهبيرة جد أبي سفيان إلى عمان وكانه عاد إلى البصرة لأنه توفي بها . وقال جابر سألت ربي امرأة مؤمنة وراحلة صالحة ورزقاً كفافاً فأعطانيهن . وأفتى جابر بصوم الحي عن الحي ثم رجع عن هذا الإفتاء إلى الإطعام وله أقوال يعمل بغيرها في المذهب الإباضي منهـــا تحريمه نكاح الصبيان وهو تزويج الصبي بالصبيـة أو تزويج البالغ بالصبية أو تزويج الصبي بالبالغة ويرى فعل النبي صلى الله عليه وسلم خاصاً به ومنها جعله الخلع فسخاً للنكاح لا طلاقا وهذا القول محكي عن ابن عباس واحتج له نور الدين السالمي ، ومنها كراهته الجمع بين بنات العم خوف القطيعة ، وعند أكثر العلماء أنها كراهة تنزيه

لا كراهة تحريم ، ومنها إيجابه الزكاة في الزيتون وهو قول لابن عباس والزهري ، ومنها تكرار العمرة في السنة أكثر من مرة فعنده أنها ممنوعة . أخذ عنه العلم عدد كبير من التابعين منهم قتادة ومنهم عمرو بن دينار ومنهم عبد الله بن اباض ومرداس بن حدير وإن كانوا في طبقته وسنه لكنهم يأخذون منه ، ومنهم أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة وضمام بن السائب وأبو نوح صالح الدهان وحيان الأعرج وسلمة بن سعد الذي ذهب إلى المغرب يدعو إلى الله فكان من جرا انتشار المذهب الإباضي هنالك إذ جاء عدد من طلبة العلم فانضموا إلى أبي عبيدة أكبر تلاميذه ، ومنهم أبو فقاس وكان من رفقائه الذين يصحبونه إلى ابن عباس وافتقده ابن عباس في يوم من الأيام فسأل ابن عباس جابراً عنه فقال أين صاحبك ؟ قال أخذه ابن زياد ، قال ابن عباس لجابر وإنه لمتهم ، قال نعم أوَ ما أنت متهم ، قال اللهم بلى . والحاصل أن مدرسته أخرجت عدداً كبيراً من رجال العلم والفضل بعضهم من من عمان وبعضهم من خراسان وبعضهم من حضرموت وبعضهم من نفس البصرة أشهرهم على الإطلاق ثلاثة مرداس بن حدير وعبد الله بن اباض ومسلم بن أبي كريمة وأما أبو بلال فخرج مجاهداً حتى قتل ، وأما عبد الله بن اباض فقام مجادلا ومتظاهراً بالحج ، وأما أبو عبيدة مسلم فحمل عنه العلم واختفى به معلما ، وتوفي جابر سنة ثلاث وتسعين على الصحيح في البصرة ولما بلغ موته

أنس بن مالـك الصحابي قـال مات أعلم من على ظهـر الأرض أو قال مات خير أهل الأرض . وكان موتـــه أعني أنساً في ذلك الأسبوع ولما مات أتى قتادة قبره وهو أعمى إذ ذاك فقال ادنوني من قبره فوضع يده على قبره وقال اليوم مات عـــالم العرب وكان هو وصحار يفترقان بعد العشاء ويلتقيان في السحر فيقول كل منهما للآخر طال شوقي إليك . وقال أبو سفيان دخل أبو نوح على عاتكة بنت المهلب وكانت من المسلمات فقال كأني أرى مجلس رجل قالت الآن خرج من عندي الأحول تعني جـــابراً قال فهل ظفرت منه بشيء قالت سألته عن لباس الخفين قال إن كنت تلبسينهما من حر الأرض وبردها وخشونتها فلا بأس فلا تبالين وإن انكشفا وإن لبستهما لغير ذلك فلا تبديهما وعن حلي لبنات أخي يستعار مني فيقوم بمال فقال إن أعرته فاضمني فأنت ضامنة وعن عبد كان من أنفس مال عندي وأوثقه فأعتقته ثم استخلفته على ضيعتي قال لا أخرجيـــه من ذلك ولا تدخليه في شيء من منافعك قال في الإيضاح عن ضمام بن السائب قيل لجابر بن زيد أرأيت رجلاً يكون وقاعاً في الناس فأقع فيه أله غيبة قال لا قيل له ومن هو الذي تحرم غيبته قال رجل خفيف الظهر من دماء المسلمين خفيف بطنه من أموالهم أخرس اللسان عن أعراضهم فهذا الذي تحرم غيبته ومن سواه فلا حرمة له ولا غيبة فيه قال

ضمام قلت له يا أبا الشعثاء ما تقول في الرجـل يعرف بالكذب أله غيبة قال لا قلت والغاش لأمة محمد ﷺ قال لا غيبة له ولا حرمة قلت والصانع بيده يغش في عمله أله غيبة قال لا قلت ولم قال من أكل الحرام فلا غيبة له ولا حرن وهو مهتوك الستر ألا لا غيبة لكل مهتوك ولا حرمة له عند رب العالمين فكيف عند الخلق قلت فإنه يكذب أحيانــاً ويتوب أحياناً ويغش أحياناً ويتوب أحياناً من أي صنف هذا من الناس قــال هذا رجل مستخف بالله مستهزئ بالأمة .

فصل مرداس بن حدير

مرداس بن حدير أحد بني ربيعـة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وادية جدته من محارب وقيل أمه وقيل جدير بالجيم شهد صفين هو وأخوه عروة وأنكرا التحكيم على الإمـام علي وفارقه مع أهل النهروان وكان من جملة الذين نجوا من القتل لزم جابر بن زيد في غالب أوقاتـه ودخل هو وأبو الشعثاء على عائشة وذكر لها حديث خروجها على الإمام علي يوم الجمل فتابت واستغفرت وذكر في كتاب بيان الشرع من الكتب القديمـة عن أبي عبيدة مسلم قال لقد كان أبو بلال رحمـه الله يبكي في جوف الليل حتى ما يطيق أن يقوم ولقد كان من تشوقه إلى إخوانـه أنه يخرج من عند أبي الشعثا جابر بن زيد بعد العتمة ثم يأتيه قبل الصبح فيصلي معه فيقول له جابر يا أخي أشققت على نفسك فيقول والله ولقد طال ما هبت نفسي بلقاك شوقـاً إليك حتى أتيتك وإن كان من رحمته ليتبع المملوك ويدعـوه إلى الإسلام

ويبين له حق الإسلام حتى إذا دنا المملوك من بيت أربابه رجع أبو بلال .

ولا يفطر قط حتى يعزل من فطره شيئاً للسائل يسأل مسكينا أو يتيما من قومه أو من كان ثم قال يوم قتل يا ليت لي نفسين نفس تقاتل في سبيل الله ونفس تقوم على أمر المسلمين ولقد كان يقول إذا أصبح هل أجاب الله اليوم من أحـــد فيقال له نعم فيقول إيتوني بأنصار الله على حقه فيقول لهم أنعم الله بكم عينا إلى الله تحولتم – وملائكته وكتبه ورسله وأوليـــاءه أحببتم ألم تسمعوا أن الله يقول في كتابه لا تجد قوماً يؤمنون بالله يوادون من حاد الله ورسوله فيقرأ عليهم الآية كلها ثم يقول لهـم خير لكم من آبائـكم وأبنا كم وإخوانكم وعشيرتـكم ألا تسمعون أن الله يقول يا أهل الكتاب لستم على شيىء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل اليكم من ربكم فيقرأ الآية كلهـا عليهم ثم يقول لهم ألا ترون أنهم يقولون أنا على الإيمان ولا يقيمون الكتـاب والله يقول لستم على شيىء ثم لقد ذهب اللحم والجلد إذا أقبل إليه أو إن أثر السجود لفي وجه عظم وجهـه وكان يقول ما أتيت على آية فيها ذكر خطيئة عملت بها إلا استغفرت الله منهـــا وإني لأحفظ كل شيىء تكلمت به مذ أصبحت مخافـة أن أخطئ . ولما سجن عبيد الله بن زياد الأحرار والموالي وفتن بعضهم بعضاً حتى قتل الأحرار الموالي جاء طواف بن المعلّى وبعض أصحابه وهو

أحد أعمام كرزم إلى مجلس فيه أبو عبيدة مسلم - ومرداس وهم يبكون أسفاً على ما وقع منهم فطردوهم ومات شاب منهم .

قال أبو عبيدة وهو يرفع رأسه أرجو أن لا يعذبك الله وقال له مرداس اخرج بسيفك على هذا الطاغية فخرج طواف على ابن زياد فلما قتلوا إلى جنب جدار قال مرداس إني لأرجو أن يكون طواف قد سن فينا سنة حسنة باقية وفي ذلك يقول بعض الخوارج :

ما كان في دين طواف وصحبته أهل الجدار احتراث الحب والعنب
النـــافذين على منهاج أولهم من الخوارج قبل الغل والشغب

وقال آخر :

يا رب هب لي الشرا والصدق في ثقة واكف المهم فانت الرازق الـكافي
حتى أبيع الذي يفنى بآخرة تبقى على هدي مرداس وطوّاف
وكهمس وأبي الشعثا إذا نفروا وابن المنيح وجوّاب وزحاف
ما راقهم باطل الدنيا ولذتهـــا ولا الترفل في خز وأفواف
كم فيهم من غلام العلم ذي ثقة ومن خطيب لدين الله وصاف
أولئك البـــايعون الله أنفسهم بجنة الخلد والمنقوصَ بالوافي

قال ابن الأثير في الكامل كان مرداس عـــابداً مجتهداً عظيم القدر في الخوارج وشهد صفين مع علي فأنـــكر التحكيم وشهد النهروان مع الخوارج وكانت الخوارج كلها تتولاه ورأى علي بن

عامر قباء أنكره فقال هذا لباس الفساق فقـــال أبو بكرة لا تقل هذا للسلطان فإن من أبغض السلطان أبغضه الله قـــال وكان لا يدين بالاستعراض ويحرم خروج النساء ويقول لا نقاتل إلا من قاتلنا ولا نجبي إلا من حمينا وكانت البثجاء امرأة من بني يربوع تحرض على ابن زياد وتذكر تجبره وسوء سيرته وكانت من المجتهدات فذكرها بن زياد فقال لها أبو بلال إن التقية لا بأس بها فتغيبي فإن هذا الجبار قد ذكرك قالت أخشى أن يلقى أحد بسببي مكروها فأخذها ابن زياد وقطع يديها ورجليها فمر بهـــا أبو بلال في السوق فعض على لحيته وقال أهذه أطيب نفساً بالموت منك يا مرداس ما ميتة أموتها أحب إليّ من ميتة البثجـاء زاد العلامة الشماخي قال فخرج أبو بلال في جنازتها وقال لو أعلم أني أبعث على ما تبعث عليه لعلمت أني أبعث سويا على صراط مستقيم قال ابن الأثير ومر أبو بلال ببعير قد طلي بقطران فغشي عليه ثم أفاق وتلا سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار . قال ثم إن ابن زياد ألح في طلب الخوارج فملأ منهم السجن وأخذ الناس بسببهم وحبس أبا بلال قبل أن يقتل أخاه عروة فرأى السجان عبادته وأذن له كل ليلة في إتيان أهله فكان يأتيهم ليلاً ويعود مع الصبح وكان صديق لمرداس يسامر ابن زياد تذكر ابن زياد الخوارج ليـــلة فعزم على قتلهم إذا أصبح فانطلق صديق مرداس إليه فأعلمه الخبر وبات السجان بليلة سوء خوفا أن يعلم

مرداس فلا يرجع فلما كان الوقت الذي يعود فيه إذا به قد أتى فقال له السجان أما بلغك ما عزم عليه الأمير قال بلى قال ثم جئت قال نعم لم يكن جزاءك مني مع إحسانك إليّ أن تعاقب وأصبح عبيد الله فقتل الخوارج فلما أحضر مرداس قام السجان وكان ضئيرا لعبيدالله فشفع فيه وقص عليه قصته فوهبه له وخلى سبيله ثم إنه خاف ابن زياد فخرج في أربعين رجلا إلى الأهواز فكان إذا اجتاز به مال لبيت المال أخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه ثم يرد الباقي فلما سمع ابن زياد خبرهم بعث إليهم جيشاً عليهم أسلم بن زرعة الكلابي سنة ستين وقيل أبو الحصين التميمي وكان الجيش ألفي رجل فلما وصلوا إلى أبي بلال أنشدهم الله أن لا يقاتلوه فلم يفعلوا ودعاهم أسلم إلى معاودة الجماعة فقالوا أتردوننا إلى زياد الفاسق فرمي أصحاب أسلم رجلا من أصحاب أبي بلال فقتلوه فقال أبو بلال قد بدأوكم بالقتال فشد الخوارج على أسلم وأصحابه شدة رجل واحد فهزموهم فقدموا البصرة فلام ابن زياد أسلم فقال هزموكم أربعون وأنت في ألفين لا خير فيك فقال لأن تلومني وأنا حي خير من أن تثني عليّ وانا ميت فكان الصبيان إذا رأوا صاحوا به أما أبو بلال وراءك فشكا ذلك إلى ابن زياد فنهاهم فانتهوا وقال رجل من الخوارج:

أألفا مؤمن فيما زعمتم ... ويقتلهم بآسك أربعونا

كذبتم ليس ذاك كما زعمتم ولكن الخوارج مؤمنونا
هي الفئة القليلة قد علمتم على الفئة الكثيرة ينصرونا

ونسب المبرد الأبيات لعيسى بن فاتك من بني تيم اللات بن ثعلبه وزاد قبلها .

فلما أصبحوا صلوا وقاموا إلى الجرد العتاق مسومينا
فلما استجمعوا حملوا عليهم فظل ذوو الجعايل يقتلونا
بقية يومهم حتى أتاهم سواد الليل فيه يراوغونا
يقول بصيرهم لما أتاهم بأن القوم ولّوا هاربينا

وكان مرداس مجتهداً كثير الصواب في لفظه فلقيه غيلان بن خرشة الضبي فقال يا أبا بلال إني سمعت الامير البارحة يذكر البلجا وأحسبها ستوخذ فمضى إليها أبو بلال فقال لها إن الله قد وسع على المؤمنين في التقية فاستتري فإن هذا المسرف على نفسه الجبار العنيد قد ذكرك قالت أن يأخذني فهو أشقى بي فاما أنا فما أحب أن يعنت إنسان بسببي وذكر ما ذكره ابن الأثير وقال بعد أن ذكر حبس أبي بلال المذكور فلما خرج من حبس بن زياد ورأى جد ابن زياد في طلب الشراة عزم على الخروج فقال لأصحابه إنه والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين تجري علينا أحكامهم مجانبين للعدل مفارقين للفضل والله إن الصبر على هذا لعظيم وإن تجريد السيف وإخافة السبيل لعظيم ولكننا ننتبذ

عنهم ولا نجرد سيفاً ولا نقاتل إلا من قاتلنا فاجتمع إليه أصحابه زهاء ثلاثين رجلاً منهم حريث بن حجل وكهمس بن طلق الصريمي فارادوا أن يولوا أمرهم حريثاً فأبى فولوا أمرهم مرداساً فلما مضى بأصحابه لقيهم عبدالله بن رباح الأنصاري وكان صديقاً له فقال له أين تريد قال أريد أن أهرب بديني وأديان أصحابي من أحكام هؤلاء الجورة فقال له أعلم بكم أحد قال لا قال فارجع قال أو تخاف علي مكروهاً قال نعم وأن يؤتى بك قال فلا تخف فإني لا أجرد سيفاً ولا أخيف أحداً ولا أقاتل إلا من قاتلني ثم مضى حتى نزل آسك وذكر أنه لما أخذ عطاءه وأعطيات أصحابه وترك الباقي قال له بعض أصحابه فعلام ندع الباقي فقال إنهم يقسمون هذا الفيء كما يقيمون الصلاة. قال ويروى أن رجلاً من أصحاب ابن زياد قال خرجنا في جيش نريد خراسان فمررنا بآسك فإذا نحن بهم ستة وثلاثين رجلا فصاح بنا أبو بلال أقاصدون لقتالنا أنتم وكنت أنا وأخي قد دخلنا زرباً فوقف أخي ببابه فقال السلام عليكم فقال مرداس وعليكم السلام فقال لأخي أجئتم لقتالنا فقال له لا إنما نريد خراسان قال فأبلغوا من لقيكم أنا لم نخرج لنفسد في الأرض ولا لنروّع أحداً ولكن هرباً من الظلم ولسنا نقاتل إلا من يقاتلنا ولا نأخذ من الفيء إلا أعطياتنا ثم قال اندب الينا أحد قلنا نعم أسلم بن زرعة الكلابي قال فمتى ترونه يصل إلينا قلنا يوم كذا وكذا فقال أبو بلال حسبنا الله ونعم الوكيل

وجهز عبيدالله أسلم بن زرعة في أسرع وقت ووجهه إليهم في ألفين وقد تتامّ أصحاب مرداس أربعين رجلا فلما صار إليهم أسلم صاح به أبو بلال اتق الله يا أسلم فإنا لا نريد قتالاً ولا نحتجن فيئا فما الذي تريد قال أريد أن أردكم إلى ابن زياد قال مرداس إذا يقتلنا قال وإن قتلكم قال تشركه في دمائنا قال إني أدين بأنه محق وأنكم مبطلون فصاح به حريث بن حجل أهو محق وهو يطيع الفجرة وهو أحدهم ويقتل بالظن ويخص بالفيء ويجور في الحكم أما علمت أنه قتل بابن سعاد أربعة برآء وأنا أحد قتلته ولقد وضعت في بطنه دراهم كانت معه ثم حملوا عليه حملة رجل واحد فانهزم هو وأصحابه من غير قتال وكان معبد أحد الخوارج قد كاد يأخذه فلما ورد على ابن زياد غضب عليه غضباً شديداً وقال ويلك أتمضي في ألفين فتنهزم في حملة أربعين وذكر تمام القصة والأبيات المذكورة ثم قال ثم ندب لهم عبيدالله ابن زياد الناس فاختار عباد بن أخضر وليس هو بابن أخضر هو عباد بن علقمة المازني وكان أخضر زوج أمه فغلب عليه فوجهه في أربعة الآف فنهد لهم إلى أن قال وكان التقاؤهم في يوم جمعة فناداه أبو بلال اخرج إليّ يا عباد فإني أريد أن أحاورك فخرج إليه فقال ما الذي تبغي قال أن آخذ باقفائكم فأردكم إلى الأمير عبيدالله بن زياد قال أو غير ذلك قال وما هو قال أن ترجع فإنا لا نخيف سبيلا ولا نذعر مسلماً ولا نحارب إلا من حاربنا

ولا نجبي إلا ما حمينا فقال له عباد الأمر كما قلت لك فقال له حريث بن حجل أتحاول أن ترد فئة من المسلمين إلى جبار عنيد قال لهم أنتم أولى بالضلال منه وما من ذاك بد وقدم القعقاع بن عطية الباهلي من خراسان يريد الحج فلما رأى الجمعين قال ما هذا قالوا الشراة فحمل عليهم ونشبت الحرب فأخـــذ القعقاع أسيراً فاتى به أبو بلال فقال ما أنت قال لست من أعدائكم وإنما قدمت للحج فجهلت وغررت فأطلقه فرجع إلى عباد فأصلح من شانه ثم حمل عليهم ثانية وهو يقول :

أقاتلهم وليس عليّ بعث	نشاطاً ليس هذا بالنشاط
أكر على الحروريين مهري	لأحملهم على وضح الصراط

فحمل عليه حريث بن حجل السدوسي وكهمس بن طلق الصريمي فأسراه وقتلاه ولم ياتيا به أبا بلال فلم يزل القوم يجتلدون حتى جاء وقت الصلاة صلاة الجمعة فناداهم أبو بـــلال يا قوم هـــذا وقت الصلاة فوادعونا حتى نصلي وتصلوا قالوا لك ذاك فرمى القوم أجمعون أسلحتهم وعمدوا للصلاة فأسرع عباد ومن معه والحرورية مبطئون فهم بين راكع وساجد وقائم وقاعد حتى مال عليهم عباد ومن معه فقتلوهم جميعـــاً وأتى برأس أبي بلال وتروى الشراة أن أبا بلال لما عقد على أصحابه وعزم على الخروج رفع يديه وقال اللهم إن كان ما نحن فيه حقاً فأرنا آية فرجف البيت وقال آخرون فارتفع السقف قلت قد روى أبو سفيان

محبوب بن الرحيل قال أخبرني أبو العلاء بن الشهيد رجل من حجبة البيت عن بعض آبائه. قال إني لفي الطواف في ليلة صاحية قمراء فإذا برجل تحت الميزاب يدعو الله ويرغب إليه فبينما هو كذلك إذا لح فقال اللهم حاجتي فكرر فسمعه أهل الطواف فقالوا اللهم اقض حاجته فقال اللهم إن كنت رضيت ما أريد فأرني من ذلك علما قال فقطرت عليه من الميزاب قطرات فلما أحس بالماء انساب في الناس فإذا هو أبو بلال وقال أبو سفيان لما حضر خروجه اجتمع هو وأصحابه في بيت لبني تميم قال فدعوا الله ورغبوا إليه أن يجعل لهم علامة أن رضى خروجهم قال فانشق سقف البيت حتى نظروا إلى السماء وروى أبو سفيان عن قرة بن عمران أتى بني تميم يسال عن البيت فإذا هو مشهور فيهم فرأيته قال وكثيراً ما يخرج إلى ساحة الدار بليل ويتلو ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ويقول لأصحابه عرضت نفسي على الله فلم أره يقبلني وقال عيسى بن فاتك يرثيه وأصحابه:

ألا في الله لا في الناس شالت بداوود وإخوته الجذوع
مضوا قتلا وتمزيقاً وصلبا تحوم عليهم طير وقوع
إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوع

وقال عمر بن حطان :

يا عين بكيّ لمرداس ومصرعه ... يا رب مرداس اجعلني كمرداس
تركتني هـــائماً أبكي لمرزأتي ... في منزل موحش من بعد إيناس
أنكرت بعدك ما قد كنت أعرفه ... ما الناس بعدك يا مرداس بالناس
أما شربت بكأس دار أولهـــا ... على القرون فذاقوا جرعة الكاس
فكل من لم يذقها شارب عجلا ... منها بأنفاس ورد بعد أنفاس
وإخوة لهم طـــابت نفوسهم ... بالموت عند التفاف الناس بالناس
والله ما تركوا من منبع لهدى ... ولا رضوا بالهوينا يوم ميجاس

وقال ايضاً :

لقد زاد الحيـــاة إليّ بغضاً ... وحبا للخروج أبو بلال
ولو أُني علمت بأن حتفي ... كحتف أبي بـــلال لم أُبالي

ومن شعر مرداس رضي الله عنه :

ماذا نبالي إذا أرواحنا خرجت ... ماذا فعلتم بأُجسادي وأوصالي
نرجو الجنان إذا طارت جماجمنا ... تحت العجاج كمثل الحنظل البالي
إني امرؤ باعني ربي لموعـــده ... إذ القلوب هوت من خوف أوجالي
وأدت الأرض منا مثل ما أخذت ... وقربت لحساب القسط أعمالي
نفسي ظنون ولست الدهر آمنها ... من بعد كعب وطواف وعسالي
من كان من أهل هذا الدين كان له ... ودي وشاركته في تالد المـال

الله يعـــلم أني لا أحبهم ـ إلا لوجهك دون العم والخال

ومن شعره أيضاً :

إني وزنت الذي يبقي ليعدله ما ليس يبقى فلا والله ما اتزنا
من كان يرجو بقاء لا نفاد له فلا يكن حبه الدنيا له شجنا
تقوى الإله وخوف النار أخرجني وبيع نفسي بما ليست له ثمنا

ويروى أن غيلان بن خرشة ذكر أصحابه عند ابن زياد فلما خرج لقيه فقال قد بلغني ما كان منك يا غيلان ما يؤمنك أن يلقاك رجل أحرص والله على الموت منك على الحيـــاة فينفذك برمحه فقال لن يبلغك أني ذكرتهم بعـــد الليلة ومر على فرسه ينادي قومه فوقف وسلم فقال شاب منهم فرسك حروري قال وددت والله لو أوطأته بطنك في سبيل الله فمضى وقـال الفتى لأصحابه إني مقتول فمشوا إليه بالفتى فقالوا اصفح عنـه وقال إذا كنت في مجلس فأحسن حملان رأسك وكان هو وأصحابه يبيعون حلى سيوفهم من الحاجة وقال المبرد ومرداس تنتحله جماعة لقشفه وبصيرته وصحة عبادته وظهور ديانته وبيانه تنتحله المعتزلة وتزعم أنه خرج منكراً لجور السلطان داعياً إلى الحق وتحتج له بقوله لزياد حيث قال على المنبر والله لآخذن المحسن منكم بالمسيء والحاضر منكم بالغائب والصحيح بالسقيم والمطيع بالعاصي فقام إليه

مرداس فقال قد سمعنا ما قلت أيها الإنسان وما هكذا ذكر الله عز وجل عن نبيه إبراهيم عليه السلام إذ يقول وإبراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى وأنت تزعم أنك تاخذ المطيع بالعاصي ثم خرج في عقب هـذا اليوم والشيع تنتحله وتزعم أنه كتب إلى الحسين بن علي صلوات الله عليه أمـا أني لست أرى رأي الخوارج وما أنا إلا على دين أبيك قال العلامة أحمد بن عبدالله بن أحمد بن أبي بكر بن عثمان الرقيشي العماني من علماء عمان القدامى في شرحه على اللامية وقد بلغنا أن أبا بلال مرداس بن حدير رحمه الله وغيره من أئمـة المسلمين لم يكونوا يخرجون إلا بأمر إمامهم في دينهم جابر بن زيد العماني رحمه الله ومشورته ويحبون ستره عن الحرب لئلا تموت دعوتهم وليكون ردأ لهم أي عوينا وظهيرا رحمه الله ورحمهم جميعاً وقال أيضاً إن أبا بلال رحمه الله لما عطف عليهم عباد قال لأصحابه من كان خرج إلى الدنيا فليذهب إلى الدنيا ومن أراد الآخرة فقد سيق لذلك وتلى هذه الآية من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب ثم انثنى ونزل معه أصحـابه فمشوا إليهم يقدمهم كهمش التي كانت أمه تصب عليه الدرع وتقول اللهم إني أتقرب اليك به فلا ترد قرباني فقاتل حتى قتل رحمه الله فمر عليـه مرداس

فانكب عليه وقبله وبكا ثم شد يميناً وجعل يضرب يميناً وشمالاً حتى طعنه رجل منهم فمشى إليه في الرمح حتى ضرب طاعنه فقتله وانضجعا ميتين جميعاً وهذه الرواية تخالف ما رواه غيره أنهم قتلوا في الصلاة بين راكع وساجد وروى أيضاً أن أبا بلال كتب إلى القعد أما بعد فقد لقينا قوماً فهزم الله كثرتهم لقلتنا وكنا نحن الفئة القليلة فغلبنا الفئة الكثيرة بإذن الله والله مـع الصابرين ألا وإني قاطع البحر فخارج إلى عمان فآتي مكة فاقيم بها إقامة سهم بن غالب فأدعوهم إلى ما دعاهم إليه فمن أراد أن يلحق بنا فليوافنا مكة فوجه إليـه عبيدالله بن زياد عباد بن الأخضر في ثلاثة الآف فارس ويوجد في موضع أربعـة آلاف فارس فبينما أبو بلال وأصحابه بعد صلاة العصر إذا هم بالرايات قد رفعت وأعلام البيض تتلألأ وكتائب عباد وأصحابه وكان حريث بن جهم من أحسن الناس صوتاً بالقرآن فنادى أصحابه فقرأ فرقفوا ثم رجع صوته هذه أبواب الجنة قد فتحت لكم من ورائكم ثم قرأ ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا مـا وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً وجعل لا يدع آية فيها ذكر القتال إلاحرض المؤمنين .

فصل عبدالله بن اباض

قال العلامة أحمد بن عبدالله الرقيشي من قدماء علماء عمان في شرح اللامية الإباضيون منسوبون إلى إمامهم في الدين عبدالله بن اباض بن تيم الات بن ثعلبة التميمي من بني مرة بن عبيد رهط الأحنف بن قيس وهو الني فارق جميع الفرق الضالة عن الحق وهم المعتزلة والقدرية والصفانية والجهمية والخوارج والروافض والشيع وهو أول من بين مذاهبهم ونقض فساد اعتقاداتهم بالحجج القاهرات والآيات المحكمات النيرات والروايات النيرات الشاهرات نشأ في زمان معاوية بن أبي سفيان وعاش إلى زمان عبد الملك ابن مروان وكتب إليه بالسيرة المشهورة والنصائح المعروفة المذكورة انتهى كلامه وقال العلامة الشماخي عبدالله بن إباض المري التميمي إمام أهل التحقيق والعمدة عند شغب أولى التفريق سلك بأصحابه محجة العدل وفارق سبل الضلالة والجهل وكان رحمه الله على ما حفظت ممن خرج إلى مكة لمنع حرم الله من مسلم عامل يزيد الملقب بمسرف وكان كثيرا ما يبدي النصائح لعبد الملك بن مروان وفي حفظي أنه يصدر في أمره عن رأي جابر بن زيد وله مناظرات مع الخوارج وغيرهم انتهى وكذا قال العلامة أبو جابر من قدماء العلماء العمانيين ذكر نسبة أهل المذهب الإباضي إلى عبدالله بن اباض وهذا مجمع عليه مع الأباضية ومخالفيهم قال العلامة البرادي صاحب كتاب الجواهر عبدالله بن أباض رضي الله عنه النسبة اليه أباضي بفتح الهمزة وقال القطب في شرح العقيدة

بتثليث الهمزة وفي القاموس بالكسر فقط قال البرادي إن المسلمين بعد قتل أبي بلال اجتمعوا بجامع البصرة وعزموا على الخروج وفيهم عبدالله بن أباض ونافع بن الأزرق ووجوه المسلمين فلما جن الليل سمع عبدالله دوي القرّاء ورنين المؤذنين وحنين المسبحين فقال لأصحابه أعن لاء أخرج معهم فرجع وكتم أمره واختفى قال وفي النسبة الى أباض يعنى الاباضية إمامهم عبدالله ونسبوا إلى أبيه اباض لأنه أعرف من عبد الله وأشهر منه قلت ولم أقف على شيىء من أمره وخبره قال العلامة نور الدين السالمي رضي‌الله عنه

فـما الأباضيون إلا علما ... لخلفاء الحق منـا فاعلما
وأصله أن فتى أباض ... كان محامياً لنـا وماضي
ونسبوا من كان في طريقته ... إليه لاشتهار حسن سيرته
من ذاك لا تلقى له في المذهب ... مسئلة نرسمها في الكتب
فناخـذ الحق متى نراه ... لو كان مبغض لنا أتاه
إن المخالفين قـد سمونا ... بذاك غير أننـا رضينا
مدافعا أعداءنا بالحجـة ... وحامياً لإخواننا بالشوكة
ونحن الأولون لم يشرع لنا ... نجل أباض مذهباً يحملنا
ونحن في الأصل وفي الفروع ... على طريق السلف الرفيع
والباطل المردود عندنا ولو ... أتى به الخل الذي له اصطفوا

وذكر ابن الأثير والمبرد خروج الخوارج إلى مكة المكرمـة لمنعها من أهل الشام وفيهم عبدالله بن أباض وذكرا بعد ذلـك افتراقهم فيما بينهم وأنـه كتب نافع بن الأزرق إلى ابن الصفار

وعبدالله بن أباض يدعوهما ومن معهما إلى معتقده الفاسد قال فقرأ ابن الصفار الكتاب ولم يقرأه على أصحابـــه خشية أن يتفرقوا ويختلفوا فأخذه ابن أباض فقرأه فقال قاتله الله أي رأي رآى صدق نافع لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأياً وكانت سيرته كسيرته في المسلمين ولكنه قد كذب فيما يقول إن القوم برآء من الشرك ولكنهم كفار بالنعم والأحكام ولا يحل انا إلا دماؤهم وما سوى ذلك فهو حرام علينا وهذه رسالته التي وجهها إلى عبدالملك ابن مروان من شرح العقيدة وأصلها في كتاب السير العمانية القديمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد من عبدالله بن أباض الى عبد الملك بن مروان سلام عليك فإني أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو وأوصيك بتقوى الله فإن العاقبة للتقوى والمرد إلى الله وأعلم أنه إنما يتقبل الله من المتقين أما بعد جاءني كتابك مع سنان بن عاصم وأنك كتبت إلي أن أكتب إليك بكتاب فكتبت به إليك فمنه ما تعرف ومنه ما تنكر زعمت أنما عرفت منه ما ذكرت به من كتاب الله وحظظت عليه من طاعة الله واتباع أمره وسنة نبيه وأما الذي أنكرت منه فهو عند الله غير منكر وأما مـا ذكرت من عثمان والذي عرضت بـه من شان الأئمة فإن الله ليس ينكر على أحد شهادته في كتابه ما أنزله على رسوله أنه من لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون والكافرون والفاسقون ثم إني لم أذكر لك شيئاً من شان عثمان والأئمة إلا والله

يعلمه أنه الحق وسأنزع لك من ذلك البينة من كتاب الله الذي أنزله على رسوله وسأكتب لك في الذي كتبت به وأخبرك من خبر عثمان والذي طعنا عليه فيه وأبين شأنه والذي أتى عثمان لقد كان ما ذكرتَ من قدم في الإسلام وعمل به ولكن الله لم يجر العباد من الفتنة والردء عن الإسلام وأن الله بعث محمداً بالحق ﷺ وأنزل الكتاب فيه بينات كل شيىء يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه هدى ورحمة لقوم يوقنون فأحل الله في كتابه حلالا وحرم حراماً وفرض فيه فرايض وحكم فيه حكما - وفصل بين قضا وبين حدوده وقال تلك حدود الله فلا تقربوها وقال ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون وأقسم ربنا قسما وليس لعباده فيه الخيرة ثم أمر نبيه باتباع كتابه فقال للنبي صلى الله عليه وسلم اتبع ما أوحي اليك من ربك وقال فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه فعمل محمد صلى الله عليه وسلم بأمر ربه ومعه عثمان ومن شاء الله من أصحابه لا يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعدى حداً ولا يبدل فريضة ولا حكماً ولا يستحل شيئاً حرمه الله ولا يحرم شيئاً أحله الله ولا يحكم بين الناس إلا بما أنزل الله وكان يقول إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم فعمّر صلى الله عليه وسلم ما شاء الله تابعاً لما أمر الله يبلغ ما جاءه من الله والمؤمنون معه يعلمهم وينظرون إلى عمله حتى توفاه الله عليه الصلاة والسلام وهم عنه راضون فنسأل الله سبيله

وعملا بسنته ثم أورث الله عباده الكتاب الذي جاء به محمد وهداه ولا يهتدي من اهتدى من الناس بتركه ثم قام من بعده أبو بكر على الناس فأخذ بكتاب الله وعمل بسنة نبيه ولم يفارقه أحد من المسلمين ولم يعب عليه أحد في حكم حكمه ولا في قسم قسمه حتى فارق الدنيا وأهـــل الإسلام عنه راضون وله مجامعون ثم قام من بعده عمر بن الخطاب قويا في الأمر شديداً على أهل النفاق يهتدي بمن كان قبله من المؤمنين يحكم بكتاب الله وابتلاه الله بفتوح من الدنيا ما لم يبتل بها صاحبيه وفارق الدنيا والدين ظاهر وكلمة الإسلام جامعه وشهادتهم قائمة والمؤمنون شهـــداء الله في الأرض كذلك قال الله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وبعد موته تشاور المؤمنون فولوا عثمان فعمل ما شاء الله بما يعرف أهل الإسلام حتى بسطت له الدنيا وفتح له من خزاين الأرض ما شاء الله ثم أحدث أموراً لم يعمل بها صاحباه قبله وعهد النـاس يومئذ بنبيهم حديث فلما رأى المؤمنون ما أحدث أتوه فكلموه وذكروه بكتاب الله وسنة من كان قبله من المؤمنين وقال الله ومن أظلم ممن ذكّـر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون فسفه عليهم أن ذكّـروه بآيات الله وأخذهم بالجبروت وظـلم منهم من شاء الله وسجن من شاء الله منهم ونفاهم في أطراف الأرض نفياً وإني أبين لك يا عبد الملك بن مروان الذي أنكر المؤمنون على عثمان وفارقناه عليه فيما

استحل من المعاصي عسى أن تكون جاهلاً عنه غافلا وأنت على دينه وهواه لا يحملنك يا عبد الملك هوى عثمان أن تجحد بآيات الله وتكذب بها فإن عثمان لا يغنى عنك من الله شيئـاً فالله الله يا عبد الملك بن مروان قبل التناوش من مكان بعيد وقبل أن يكون لزاماً وأجلا مسمى وأنه كان مما طعن المؤمنون عليه وفارقوه وفارقنا فيه أن الله قال ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم فكان عثمان أول من منع مساجد الله أن يقضى فيها بكتاب الله ومما نقمناه عليه وفارقناه عليه أن الله قال لمحمد صلى الله عليه وسلم لا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة - والعشى يريدون وجهه ما عليك من من حسابهم من شيىء وما من حسابك عليهم من شيىء فتطردهم فتكون من الظالمين فكان أول رجل من هـذه الأمة طردهم ونفاهم وكان ممن نفاهم من المدينـة أبو ذر الغفاري ومسلم الجهني ونافع بن الحطام ونفى من الكوفـة كعب بن أبي الحنكة إلى الرجان[1] وجندب بن زهـير وجندب هو الذي قتل الساحر الذي كان يلعب به الوليد بن عقبة ونفى عمر بن زرارة وزيد ابن صوحان وأسود بن ذريح ويزيد بن قيس الهمداني وكردوس

---

(١) في ابن الأثير نفاه من الكوفة إلى الشام

ابن الحضرمي في أناس كثير من أهل الكوفة ونفى من أهل البصرة عامر بن عبدالله القسري ومذعور العنبري ولا أستطيع لك عدّ من نفاهم من المؤمنين ومما نقمنا عليه أنه امّر أخاه الوليد بن عقبة على المؤمنين وكان يلعب بالسحرة ويصلي بالناس سكرانا فاسق في دين الله أمّره من أجل قرابته على المؤمنين المهاجرين والأنصار وإنما عهدهم حديث بعهد الله ورسوله والمؤمنين ومما نقمناه عليه تأميره قرابته على عباد الله وجعل المال دولة بين الأغنياء وقال الله كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم وبدل كلام الله وبدل القول واتبع الهواء ومما نقمناه عليه أنه انطلق إلى الأرض يحميها لنفسه وأهله حمى حتى منع قطر السماء والرزق الذي أنزله الله لعباده لأنفسهم ولأنعامهم وقد قال الله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ومما نقمنا عليه أنه أول من تعدى في الصدقات وقد قال الله إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم وقال الله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينا الذي أحدثه عثمان منعه

فرايض كان فرضها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رحمة الله عليه وأنقصَ أصحاب بدر ألفاً ألفاً من عطاياهم وكنز الذهب والفضة ولم ينفقها في سبيل الله وقال الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله إلى قوله فذوقوا ما كنتم تكنزون ومما نقمنا عليه أنه كان يضم كل ضالة إلى إبله ولا يردها ولا يعرّفها وكان يأخذها من الإبل والغنم إذا وجدها عند أحد من الناس وإن كانوا قد أسلموا عليها وكان لهم في حكم الله أُن لهم ما أسلموا عليه وقال ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين .

وقال ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا ومما نقمنا عليه أنه اخذ خمس الله لنفسه ويعطيه أقاربه ويجعل منهم عمالا على أصحابه وكان ذلك تبديلا لفرايض الله وقد فرض الله الخمس لله ولرسوله ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل قال إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير . ومما نقمنا عليه أنه منع أهل البحرين وأهل عمان أن يبيعوا شيئاً من طعامهم حتى يباع طعام الإمارة وكان ذلك تحريماً لما أحل الله وأحل الله البيع وحرم الربا فلو أردنا أن نخبر بكثير من مظالم عثمان لم

نحصيها إلا ما شاء الله ، وكل ما عددت عليك من عمل عثمان يكفر الرجل أن يعمل[1] ببعض هذا وكان من عمل عثمان أنه كان يحكم بغير ما أنزل الله وخالف سنة نبي الله والخليفتين الصالحين أبي بكر وعمر ، وقد قال الله ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا . وقال ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون . وقال ألا لعنة الله على الظالمين ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً . وقال لا ينال عهدي الظالمين . وقال ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من من أولياء ثم لا تنصرون . وقال ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون . وقال وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون . كل هذه الآيات تشهد على عثمان وإنما شهدنا عليه بما شهدت عليه هذه الآيات والله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا . وقال فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون . فلما رأى المؤمنون الذي نزل به عثمان من معصية الله تبرأوا منه ، والمؤمنون شهداء الله ناظرون أعمال الناس . وكذلك قال الله وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم

(١) هذا هو كفر النعمة المقرر لا كفر الشرك كي لا يخفى .

تعملون . وترك خصومة الخصمين في الحق والباطل وأوقع ما أوعده الله من الفتن وقال الله الٓمٓ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ؛ فعلم المؤمنون أن طاعة عثمان على ذلك طاعة إبليس فساروا إلى عثمان من أطراف الأرض واجتمعوا في ملأ من المهاجرين والأنصار وعامة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فاتوه فذكروه الله وأخبروه الذي أتى من معاصي الله فزعم أنه يعرف الذي يقولون وأنه يتوب إلى الله ويراجع الحق فقبلوا منه الذي أتاهم به من اعتراف بالذنب والتوبة والرجوع إلى أمر الله فجامعوه وقبلوا منه وكان حقاً على أهل الإسلام إذا أوتوا بالحق أن يقبلوه ـ ويجامعوه ما استقام على الحق فلما تفرق الناس على ما اتقاهم به من الحق نكث عن الذي عاهدهم عليه وعاد فيما تاب عنه فكتب في أدبارهم أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف فلما ظهر المؤمنون على كتابه ونكثه العهد الذي عاهدهم عليه رجعوا فقتلوه بحكم الله ، وقال الله وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون فجامع أهل الإسلام ما شاء الله وعمل بالحق وقد يعمل الإنسان بالإسلام زمانا ثم يرتد عنه . وقال الله إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم فلما استحل معصية الله وترك سنة من كان قبله من المؤمنين علم

المؤمنون أن الجهاد في سبيل الله أولى وأن الطاعـــة في مجاهدة عثمان على أحكامه . فهذا من خبر عثمان والذي فارقناه فيه وطعن عليه المؤمنون قبلنا وذكرت أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه فقد كان علي بن أبي طـالب أقرب إلى رسول الله وأحب إليه منه وكان ختنه ومن أهل الإسلام وأنت تشهد عليه بذلك وإنا بعدُ على ذلك فكيف تكون قرابتـــه من محمد صلى الله عليه وسلم نجاة إذا ترك الحق وتعاطى كفراً ، واعـــلم أنما علامة كفر هذه ـ الأمة كفرها بالحكم بغير ما أنزل الله ذلك بأن الله قـال ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون فلا أصدق من الله قيلا وقال فبأي حديث بعد الله وآياتـــه يؤمنون فلا يغرنك يا عبد الملك بن مروان عثمان عن نفسك ولا تسند دينك إلى رجال يتمنون ويريدون ويستدرجون من حيث لا يعلمون فإن أملك الأعمال بخواتمها وكتاب الله جديد ينطق بالحق أجارنا الله باتباعه أن نضل أو نبغ فاعتصم بالله وإنه من يعتصم بالله يهده صراطاً مستقيما وكتاب الله هو حبل الله الذي أمر المؤمنين أن يعتصموا به ولا يتفرقوا وليس حبل الرجال من أنهم ينهبون ويطعنون فاذكرك الله لما أن تدبرت القرآن فإنه حق وقال الله أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها فكن تابعا لما جاء من الله به تهتدى وبه تخاصم من خاصمك من الناس وإليه تدعو وبه تحتج فإنه من يكن القرآن حجته يوم القيامة به يخاصم من خاصمه.

ويفلح في الدنيا والآخرة فإن الناس قد اختصموا وهم يوم القيامة عند ربهم يختصمون فتعمل لما بعد الموت ولا يغرنك بالله الغرور.

وأما قولك في شان معاوية بن أبي سفيان أن الله قام معه وعجل نصره وأفلج حجته وأظهره على عدوه بطلب دم عثمان فإن يكن يعتبر الدين من جهة الدولة أن يظهر الناس بعضهم على بعض في الدنيا فإنا لا نعتبر الدين بالدولة فقد ظهر المسلمون على الكفار لينظر كيف يعملون وقد ظهر الكفار على المسلمين ليبلو المسلمين بذلك ويكون عقابا على الكافرين وقال وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين فإن كان الدين إذا ظهر الناس بعضهم على بعض فقد سمعت الذي أصاب المشركون من المسلمين يوم أحد وقد ظهر الذين قتلوا ابن عفان عليه وعلى شيعته يوم الدار - وظهروا أيضاً على أهل البصرة وهم شيعة عثمان وظهر المختار علي ابن زياد وأصحابه وهم شيعتهم وظهر مصعب الخبيث على المختار وظهر ابن السجف على أخنس بن دجلة وأصحابه وظهر أهل الشام على أهل المدينة وظهر ابن الزبير على أهل الشام بمكة يوم استفتحوا منها ما حرم الله عليكم وهم شيعتكم فإن كان لاء على الدين فلا يعتبر الدين من قبل الدولة فقد يظهر الناس بعضهم على بعض ويعطي الله رجلاً كافراً ملكا

في الدنيا فقد أعطى فرعون ملكا ظهر في الأرض وقد أعطى الذي حاج إبراهيم في ربه ثم إن معاوية إنما اشترى الإمارة من الحسن بن علي ثم لم يف له بالذي عاهده عليه وقال الله أوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه ـ تختلفون فلا تسأل عن معاوية ولا عن عمله ولا عن صنيعه غير أنا قد أدركناه ورأينا عمله وسيرته في الناس ولا نعلم أحداً أترك للقسمة التي قسم الله ولا لحكم حكمه الله ولا أسفك لدم حرام منه فلو لم يصب من الدماء إلا دم ابن سمية لكان في ذلك ما يكفره[1] ثم استخلف ابنه يزيد فاسقا من الناس لعينا يشرب الخمر المكفر فيكفيه من السوء وكان يتبع هواه بغير هدى من الله وقال الله ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين فلا يخف عمل معاوية ويزيد على كل ذي عقل من الناس فاتق الله يا عبد الملك ولا تخادع نفسك في معاوية فقد أدركنا أهل بيتكم يطعنون في معاوية ويزيد ويعيبون عليهما كثيراً مما يصنعون فمن يتول عثمان ومن معه فإنا ـ نشهد

---

(١) روى في صحيح مسلم عن النبي ﷺ لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فهو يشير إلى الحديث وإلى الآية التي احتج بها قبل ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون .

الله وملائكته وكتبه ورسله بأنا منهم برآء ولهم أعداء بأيدينـــا وألسنتنا وقلوبنا نعيش على ذلك مـا عشنا ونموت عليه إذا متنا ونبعث عليه إذا بعثنا نحاسب بذلك عند الله[1] وكتبت إلي تحذرني الغلو في الدين وإني أعوذ بالله من الغلو في الدين وسأبين لك ما الغلو في الدين إذا جهلته فإنه ما كان يقال على الله غير الحق ويعمل بغير كتابه الذي بين لنا وسنة نبيه التي سن وقـال الله تعالى يا أهـل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق كما فعل عثمان والأئمة من بعده وأنت على طاعتهم وتجامعهـــم على معصية الله وتتبعهم وقد اتبعوا أهوا واتبعتهم أنت عليها وقال الله عز وجل ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا عن سواء السبيل فهؤلاء أهل الغلو في الدين فليس من دعا إلى الله وإلى كتابه ورضى وغضب لله حين عصى أمره وأخـــذ بحكمه حين ضيع وتركت سنة نبيه وكتبت إلي تعرض بالخوارج تزعم أنهم يغلون في دينهم ويفارقون أهل الاسلام وتزعم أنهم يتبعون غير

---

(١) قال النور السالمي وما مضى قبلك لو بساعة فدعه ليس ابحث عنه طاعه ومن رأى أبي عبيدة الكف عن فتن الصحابة وللأوائل أقوالهم وأعمالهم التي شاهدوها وحكموا فيها إنما هم صحابة وتابعون ونحن نسمع ونكف ولا نصوب باطلا ولا نبطل حقاً تلك أمة خلت لها ما كسبت وعليها ما أكتسبت ولا تسألون عما كانوا يعملون .

سبيل المؤمنين وإنني أبين لك سبيلهم أنهم أصحاب عثمان الذين أنكروا عليه مـــا أحدث من تغيير السنة وفارقوه حين أحدث وترك حكم الله وفارقوه حين عصى ربه وهم أصحاب علي بن أبي طـالب حتى حكمّ عمرو بن العـاص وترك حكم الله وأنكروه عليه وفارقوه فيه وأبوا أن يقروا الحكم لبشر دون حكم كتاب الله فهم لمن بعدهم أشد عداوة وأشد مفارقـة كانوا يتولون في دينهم وسنتهم رسول الله صلى عليـــه وسلم وأبا بكر وعمر بن الخطاب ويدعون إلى سبيلهم ويرضون بسنتهم على ذلـــك كانوا يخرجون وإليه يدعون وعليه يتفارقون وقد علم من عرفهم من النـــاس ورأى من علمهـــم أنهم كانوا أحسن النـــاس عمـــلا وأشد قتالا في سبيل الله وقال الله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مـع المتقين فهذا خبر الخوارج نشهد الله والملائكة أنا لمن عاداهم أعداء وأنا لمن والاهم أولياء بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا على ذلـك نعيش مـا عشنا ونموت على ذلك إذا متنا غـــير أنا نبرأ إلى الله من ابن الأزرق وأتباعه من الناس لقد كانوا خرجوا حين خرجوا على الإسلام فيما ظهر ولكنهم ارتدوا عنه وكفروا بعد إيمانهم فنبرأ إلى الله منهم.

أما بعد فإنك كتبت إليّ أن أكتب بجواب كتابك وأجتهد لك في النصيحة وإني أبين لك فإني قد بينت لك بجهد نفسي وأخبرتك خبر الأمة وكان حقاً عليّ أن أنصح لك وأبين لك ما قد علمت.

إن الله يقول إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من

بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التوّاب الرحيم، فإن الله لم يتخذني عبداً لأكفر به ولا أخادع الناس بشيء ليس في نفسي وأخالف إلى ما أنهي عنه. أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لتحلوا حلاله وتحرموا حرامه ولترضوا بحكمه وتنيبوا إلى ربكم وتراجعوا كتاب الله وأدعوكم إلى كتاب الله ليحكم بيني وبينكم في الذي اختلفنا فيه ونحرم ما حرم الله ونقسم بما قسم الله ونحكم بما حكم الله ونبرأ ممن برأ الله منه ورسوله ونتولى من تولاه الله ونطيع من أحل لنا طاعته في كتابه ونعصي من أمر الله بمعصيته أن نطيعه فهذا الذي أدركنا عليه نبينا صلى الله عليه وسلم وإن هذه الأمة لم تحرم حراماً ولم تسفك دماً إلا حين تركوا كتاب ربهم الذي أمرهم أن يعتصموا به ويأمنوا عليه وإنهم لا يزالون مفترقين مختلفين حتى يراجعوا كتاب الله وسنة نبيه وينصحوا كتاب الله على أنفسهم ويحكموه إلى ما اختلفوا فيه، فإن الله يقول وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب وإن هذا هو السبيل الواضح لا يشبه به شيء من السبل وهو الذي هدى الله من قبلنا محمداً صلى الله عليه وسلم والخليفتين الصالحين من بعده فلا يضل من اتبعه ولا يهتدي من تركه. وقال وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم

وصاكم به لعلكم تتقون واحـذر أن تفرق بكم السبل عن سبيله ويزين لك الضلالة باتباعك هواك فيما جمعت إليـه الرجال فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً إنما هي الأهواء إنمـا يتبع الناس في الدنيا والآخرة إمامين: إمام هدى وإمام ضلالة. أمـا إمام هدى فهو يحكم بما أنزل الله ويقسم بقسمته ويتبع كتاب الله وهم الذين قال الله وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنـا يوقنون، وهؤلاء أولياء المؤمنين الذين أمر الله بطاعتهم ونهى عن معصيتهم. وأما إمام الضلالة فهو الذي يحكم بغير مـا أنزل الله ويقسم بغير مـا قسم الله ويتبع هواه بغير سنة من الله فذلك كفر، كما سمى الله ونهى عن طاعتهم وأمر بجهـادهم وقال ولا تطعهم وجاهدهم بـه جهاداً كبيراً فإنه حق أنزله بالحق وينطق به وليس بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون. ولا تضربن الذكر عنك صفحاً ولا تشكن في كتاب الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإنه من لم ينفعه كتاب الله لم ينفعه غيره وكتبت إليَّ أن أكتب اليك برجوع كتابك فإني قد كتبت إليـك وأنا أذكرك بالله العظيم لما قرأت كتابي وتدبرتـه واكتب إليَّ إن استطعت بجواب كتابي إذا كتبت إليك بما أتنازع فيـه أنا وأنت انزع عليه بينة من كتاب الله أصدق فيه قولك فـلا تعرض لي بالدنيا فإني لا رغبة لي في الدنيا وليست من حاجتي ولكن لتكن نصيحتك لي في الدين ولما بعد الموت فإن ذلك أفضل النصيحة،

فإن الله قادر أن يجمع بيننا وبينك على الطاعـــة فإنه لا خير فيمن لم يكن على طاعة الله وبالله التوفيق وفيـــه الرضى والسلام عليك . انتهى كتابه . ولم أطلع على تاريخ ولادته ولا وفاتـه ويدل بعض كلامه كأنه أدرك النبي صلى الله عليه وسلم (فهـــذا الذي أدركنا عليه نبينا) وهو ممكن ، فخلافـــة عبد الملك كانت سنة خمس وستين .

فصل أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة

هذا هو ثالث الأركان وحامل لواء العلم والإمامة للمذهب الإباضي للمغرب وحضرموت وعمان، حبس نفسه في التعليم أربعين سنة، تارة يعلم في غار وتارة خارج الغار. قال العلامة الشماخي في كتاب السير: أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي كان مولى فيهم وكان أعور وشهر بالقفاف، توفي في ولاية أبي جعفر المنصور بعد وفاة حاجب رضى الله عنهما تعلم العلوم وعلمها ورتب روايات الحديث وأحكمها وهو الذي يشار اليه بالأصابع بين أقرانه ويزدحم لاستماع ما يقرع الأسماع من زواجر وعظه وقد اعترف له بحوز قصب السبق في العلوم انتهى كلامه فقد ثبت وجوده عام ثمانية وخمسين للهجرة وموته في خلافة أبي جعفر المنصور سنة خمس وثلاثين ومائة وروى أنه أدرك من أدركه جابر بن زيد من الصحابة ولعله أدرك بعضاً منهم أخذ العلم من جابر بن زيد وزملاء جابر وتلامذته كضمام بن السائب العبدي العماني وجعفر ابن السماك العبدي ويقال إنه أخذ من هذين أكثر مما أخذه من

جابر وأخذ أيضاً من صحار بن العباس وكان صحابياً قال رضي الله عنه من لم يكن له أستاذ من الصحابة فليس هو على شيىء من الدين وقد منّ الله علينا بعبدالله بن عباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبدالله بن مسعود وعبد الله بن سلام وهم الراسخون في العلم وعلى آثارهم اقتفينا وبقولهم اقتدينا وعلى سيرتهم اعتمدنا وعلى منهاجهم سلكنا وقال أيضاً رضي الله عنه ، لا يؤخذ العلم من أربعة رجل مبتدع يدعو إلى بدعته ولا من سيفه يدعو إلى سيفه ولا ممن يكذب وإن كان يصدق في فتواه ولا ممن يعزز مذهبه عن مذهب غيره قيل له يرحمك الله أرأيت من لا يحفظ الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ثقة أيؤخذ عنه العلم قال سبحان الله وكل الناس يحفظون الحديث بل يؤخذ العلم عن الثقات وإن كانوا لا يعلمون حديثاً واحداً قيل له يرحمك الله يا أبا عبيدة أتعمل به إذا كان إنما رواه عن الصحابة قال إن عرفت عملت به وإلا فلا وقال أبو عبيدة كل صاحب - حديث ليس له إمام في الفقه فهو ضال فلولا أن الله تعالى منّ علينا بجابر بن زيـد رضي الله عنه لضللنا وفي كتاب المصنّف وهو من الكتب القديمة يبلغ واحداً وأربعين جزءاً توفى مؤلفه عام ٥٥٨ هـ بلغنا أن حتات بن كاتب وجعفر بن السماك سارا مع حبيب بن المهلب إلى أن قتلا معه فتكلم في ذلك فاظهر أبو عبيدة ولايتهما ، وهذا في قتال الخوارج

دفاعاً عن البصرة وكثير من ولد المهلب يرجعون إلى جابر ابن زيد وكلهم من أهل عمان ، قال المبرد وثبت المغيرة في جمـــع أكثرهم من أهـــل عمـان وذكر في قتال الأزارقة قال أبو سعيد الكدي من علماء عمان القدامى روي لنـــا أن الحتات ابن الكاتب المشهور بالفقه من فقهاء المسلمين وقيل إنه كان من توأم وكان فيما قيل إنه كان ينزل بسمد نزوى من عمـــان وتوأم هي واحة البريمي وقبيلة حتات من بني هميم كان أبو عبيدة رضي الله عنه وقافا وكان يضعف أمر الشفعة ويقـــول لا تحبس على يتيم ولا غائب ، فابتلي بها رجل من أصحابه فجاءه يسأله فقال اذهب فسال أشياخ البصرة هل لجابر فيها ذكر ؟ فاخبر أن جـــابراً يوجبها فاخذ بقول جابر . قـال أبو سفيان بعث عبد الله بن الحسن إلى أبي عبيدة وإلى جماعة المسلمين حين أراد الخروج فتشاوروا فتكلم كل برأيه فاتفق رأيهم أن يبعثوا اليه صالح بن كثير وقد قال لهم صالح إني على دينكم وكان من متكلمي المسلمين إلا أنه أحدث أشياء قلاه المسلمون عليها ، فقال أبو عبيدة إن هذا ليس برأي أترون رجلا يخـــاف على نفسه ويطلب الملك ألا يعطيكم كل ما سألتموه وإذا طاوعكم على ما تدعونه إليه قـال أنا مقر بدعوتـكم ولكن الناس إليّ أسرع وأنا أحق ، فما عسى تقول يا صالح وقد صدق فان أراد الدين كما يزعم فليلحق صاحبنا بحضرموت عبدالله ابن يحيى فليقاتل بين يديه حتى يموت ، ففرق جماعتهم وأفسد

رأيهم. وقال أبو سفيان قيل لأبي عبيدة ما يمنعك من الخروج، ولو خرجت ما تخلف عنك أحد؟ قال ما أحب ذلك ولو أني فعلت ما أحببت ولا أحب أن أقيم ما بين الظهر والعصر مخافة الأحكام.

قدم أبو عبيدة مكة ومعه امرأة من المهلبيات وهي جدة سعيدة أو عمتها فلما فرغا من حجهما قالت له أريد المقام بمكة، قال لها الخروج أفضل. قال الراوي فقلت وأنا أخرج معكم قال أنت فاقم، فقلت تامر هذه بالخروج وتامرني بالإقامة، قال لأنك قريب من مكة ونحن بعيد منها أنتم قريب من خيرها يعني الطواف وبعيد من شر أهلها كانه يكره المقام فيها للتجارة. شهد رجلان على شهادة أبي عبيدة عند قاضي البصرة، قال المشهود عليه أصلحك الله إنما شهدا عليَّ بشهادة فلان، قال ويحك أنا به عارف ولو جاز لي أن أحكم بشهادة رجل واحد لحكمت بشهادته. وأتى حمزة الكوفي أبا عبيدة ليذاكره في أمر القدر فخرجنا إلى منزل حاجب فتناظرا كثيراً، وآخر ما سمع من أبي عبيدة: يا حمزة على هذا فارقت غيلان فخرج فكلمه حاجب وكان هيبته من حاجب أعظم من هيبته من أبي عبيدة فقال حمزة إنما أخذت هذا القول عن المسلمين فقال له حاجب لم تدرك أحداً إلا وقد أدركته إلا جابراً فعن من أخذته، فقال عنك، فقال حاجب إني أرجع عنه فارجع عنه كما رجعت عنه، فقال ارفق بي

واقبل ما أقول ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك فالحسنة من الله والسيئة من العباد وأقول لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، فقال له أما هذه الكلمة فمقبولة من غيرك أما منك فأنا أعرف مذهبك فيها أولا، فخرج فسأل عنه حاجب فقال ارفقوا بحمزة ثم بلغهم بعد مدة أنه مشى إلى النساء والضعفاء فكلمهم قال فأمر أبو عبيدة حاجباً فجمع له الناس قال فتكلم المتكلمون ثم تكلم حاجب فحمد الله وأثنى عليه وقال إن حمزة وعطية أحدثا علينا أحداثا فمن آواهم أو أنزلهم أو جالسهم فهو عندنا الخائن المتهم، فتفرق الناس وطردا من المجلس وهجره أبو عبيدة وأمر بهجرانه لقوله بشيء من القدر فقال يا عجباً لأبي عبيدة قد أمر بهجراني وهؤلاء الفتيان يقولون أراد وشاء وأحب ورضي عنهم وهو يدنيهم ولا يقول بمثل قولهم، فقال أبو عبيدة هؤلاء أرادوا إثبات القدر فغلوا فيه وحمزة يريد إزالته وليس مثبته كمزيله. قيل لأبي عبيدة هل يستطيع الكافر الإيمان ؟ فقال من يستطيع أن ياتي بحزمة حطب من حل إلى حرم يستطيع أن يصلي ركعتين ولا يقول يستطيع ذلك إلا بتوفيق الله. وسأل عمن كان على دين عيسى ولم يبلغه أمر النبي عليه السلام فدعا رجلا من المجوس فأجابه فانظر فيها قال فما تقولون قال الداعي مسلم والمجيب كافر قال فهل يدعو إلى طاعة الله ودينه قالوا نعم قال وكيف يكون

الداعي إلى طاعة مسلما والمجيب كافراً ، فرادده الجواب فبرأ منهم فخرجوا من عنده منكسرين فأتوا حاجباً فقالوا أغثنا قد عجل علينا بالبراءة إنما أردنا أن نستفهمه ، فأخبره بتوبتهم فقال فليأتوا الربيع وعبد السلام بن عبد القدوس فليخبراهما بتوبتهم قال ففعلوا وأمر بهم وأدخلوا المجالس .

قال أبو سفيان اجتمع ابن أبي الشيخ البصري وأبو عبيدة بمنى فقال لأبي عبيدة هل أجبر الله أحداً على طاعة أو معصية فقال لا ولو قلت ذلك لكان تخويفه لهم وترهيبه إياهم عبثاً قال فالعلم هو الذي أقاد العباد إلى ما عملوا قال لا ولكن سولت لهم أنفسهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فكان منهم ما علم الله روى أن واصل ابن عطاء كان يتمنى لقاء أبي عبيدة وكانا أعميين فقال قايد واصل هذا أبو عبيدة ، فقال واصل لأبي عبيدة أنت الذي يقول إن الله يعذب على القدر فقال لا ولكني أقول إن الله يعذب على المقدور أأنت الذي تزعم أن الله يعصي باستكراه فانقطع واصل ، ثم قيل له سالته فتخلص وسالك فوقفت فقال بنيت له بنياناً منذ ثلاثين سنة فهدمه وهو واقف قال أبو عبيدة عن جابر بن زيد لما احترق بيت الله الحرام من أجل شرارة طارت بها الريح قال بعض الناس قدر الله هذا وقال آخرون لم يقدر الله أن يحترق بيته فمن ثم وقع الخلاف الأول في القدر قال أبو عبيدة وكان احتراقه يوم السبت لست ليال خلون من ربيع الأول سنة أربع

وستين وكان يصف أمر القدر ويقول والله ما من نكاح ذات بعل وانتحال هجرة ولا حكم بغير ما أنزل الله وإنما هو شيء أحدثه الناس فيما بينهم فمن أقر أن الله عالم بالأشياء قبل أن تكون فقد أقر بالقدر قيل له إن حمزة قال يخلق قال وما ذلك الخلق قيل يزعم أنه إذا حرك المروحة كان منها ريح قال ليس لذلك الريح خالق إلا حركني قال برأى قوله قال نعم قال فلو قاله بدين لهلك قال فإذا قال برأى قال إن الرأي عجز لا يكون كمن يدين به سال أبو عبيدة عن نساء تهامة ونحوها اللاتي لا يتسترن ويتبرجن فقال هن مثل الإماء فقيل ذلك لبشير فقال لا لعمري الإماء مال وأما الحراير غض ما استطعت وساله رجل عن شيىء لم يصح السائل مسئلته فقال فرج عني فإني مغموم فقال له أبو عبيدة أنت أحق بذلك مني تخلطون ثم تطلبون منا الصحيح قيل لأبي عبيدة إن أهل عمان يفتون بالرأي قال ما سلموا من الدماء والفروج .

سجن الحجاج ضماماً وأبا عبيدة وربما ضاق ضمام فيقول له أبو عبيدة على من تضيق وكانا ينفضان القليل من لحاهما ويقصان شواربهما بأسنانهما وسال الحجاج مجوسياً بم يعذبهم قال باطعام الزيت والكراث فأطعم أهل السجن بهما قال ضمام فسمنا بهما فقيل للمجوسي لم أشرت بذلك فقال لعلهم يحيون ويموت قبلهم فيخرجون ومات الحجاج وهم بالحبس ويروى أنهم اشتهوا اللحم فاتفقوا مع

السجان فاشترى لهم لحماً فبينما هم يتناولونـــه إذا بصوت على باب السجن فرموا بـه في الكنيف فلم يظهر لهم أحـــد قال فكان حزننـــا على اللحم أشد علينا من قرمنا قال وايـــل بن أيوب الحضرمي في الخبا مشايخ من أهل حضرموت فقهاء علماء فسألتهم عن رجل اكترى دابـة إلى موضع فجاوز الموضع فتلفت الدابـة قال فأجمعوا كلهم أنه ضامن للدابة قال قلت لهم مـــا تقولون في الكراء قالوا ما نرى عليه الكرا إذا ضمناه ثمن الدابـة قال وكان أبو عبيدة غائباً أو نائماً فاستيقظ قال وقال لي حاجب يا حضرمي سل الشيخ عن المسئلة قال فسألته قال يضمن عن الدابة والكراء جميعاً قال فقال له محمد بن سلمة من أين يا أبا عبيدة يضمن الكرا قال من حيث لا تعلم قال المليح بن حسان دخلت أنا وعبد الملك الطويل على أبي عبيدة فسألناه عن رجل أدخل يده تحت امرأة فأنكرت إنكاراً تاماً ونهضت له أن يتزوجها فقال أبو عبيدة إنها فروج يا أبا نوح قال صدقت ولكن أفتى بها جابر فقال إنها الفروج فقال نعم ثم قال أبو نوح ألم أنهكم يا معشر الفتيان أن تسألوني إذا كان أبو عبيدة حاضراً وأبو نوح هذا من أهل عمان قال أبو سفيان وقع غلام كان لحاجب عند أبي جعفر المنصور فسأله لمن كان فقال لحاجب وكان عالماً بـه وبأبي عبيدة فدخل عليه يوماً فرآه حزيناً فسأله فقـال مولاي الذي كنت له مات يعني حاجبا فرجّع أبو جعفر فقال رحم الله حاجبا ، ثم دخل عليه بعد ذلك فرآه حزينا

فقال مالي أراك حزينا فقال مات صديق لمولاي يقال له أبو عبيدة الأعور قال وإنه قد مات قال نعم فرّجع وقال ذهبت الأباضية.

والحاصل أن مناقبه وصفاته لا يحصيها كتاب فقد عاش زماناً طويلاً مختفياً في غار خوفاً على نفسه وعلى الدين أن يذهب وكان طلبة العلم يتهافتون عليه في ذلك الغار كالنحل فقد أقبل بعضهم من القيروان وبعضهم من عمان وبعضهم من مصر وبعضهم من خراسان وبعضهم من المدينة كمحمد بن سلمة ومحمد بن حبيب وبعضهم من حضرموت فهذا صادر وهذا وارد على رأس الحضرميين وايل بن أيوب والإمام عبدالله بن يحيى بن عمر بن الأسود بن عبدالله بن الحارث بن معاوية بن الحارث الكندي وعلى رأس المغاربة الإمام عبد الرحمن بن رستم الفارسي ومن عنده من حملة العلم ومن عمان عدد كبير على رأسهم المحدث الشهير صاحب المسند الربيع بن حبيب الفراهيدي وأبو حمزة المختار بن عوف بن سليمان بن مالك بن فهر الأزدي أحد بني سليمة من مجز الباطنة وبلج بن عقبة الفراهيدي من مجز أيضاً وقد اتخذوا على الغار سلسلة فإذا أقبل أحد يخافون منه حركت فيسكتون ويشتغلون بصناعة القفاف وإذا أمنوا اشتغلوا بالقراءة قال أبو سفيان في وصفهم حدثني وايل بن أيوب الحضرمي قال لقد أدركت رجالا إن كان الرجل منهم لو ولّي على الدنيا لاحتمل ذلك في عقله وحلمه وفهمه وورعه وقال أبو عبيدة رضي الله عنه عجبت لتقصيرنا في بقية عمرنا ألا ترون

أن من نعمة الله علينا وعليكم أنا نرجو أن تصل مودتنا إلى أصحاب الكهف وأصحاب الأخدود إلى أنبياء الله الأولين القدامى فكيف تقصر مودتنا في إخواننا وشركائنا في حب الله وأعواننا على ذكره بالبر والتقوى ولو تعلموا ما سبق به أولكم إن كنتم صادقين لحزنتم طويلاً ولجهدتم بالليل كثيراً ولبكيتم كما بكى الذين من قبلكم من المسلمين قال في بيان الشرع باض الدين بمكة وفرخ بالمدينة وطار إلى البصرة ونهض إلى عمان وقال أبو سعيد الكدي كان رجل من المسلمين يقال له خيار من أهل سمايل من عمان من طي وهو خيار بن سالم قيل له أوص فقال بماذا أوصي ما عليَّ درهم ولا لي على أحد درهم وكان يضرب به المثل موتة كموتة خيار وكان رجلاً فاضلاً وكان يقول لأبي عبيدة في بعض كلامه إذا جاوزت نهر البصرة فأنا أفقه منك لو كنت نبياً ما أجابك أحد أنت شديد على الناس فضحك أبو عبيدة رحمهما الله تعالى كنى أبو عبيدة بابنته عبيدة ولها آثار وأخبار فيما يتعلق بالنساء ولأبي عبيدة مسائل وأقوال العمل على غيرها في المذهب الاباضي منها جواز الفصل بين الصلاتين لمن جمع ومنها أن أكثر الحيض سبعة عشر يوماً ومنها أن حد الحيازة عشرون سنة ومنها أن الموالاة والترتيب في الوضوء غير واجبين والممنوع مخالفة السنة روى موسى على عن أبيه عن جده أن أبا عبيدة أذن فنسى أن يقول حي على الصلاة فلما فرغ قيل له يا أبا عبيدة إنك لم تقل حي على الصلاة فقال حي على الصلاة .

تنبيهان: الأول في التعريف بالربيع بن حبيب

أبو عمرو الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي الطود الأشم والبحر الخضم، أصله من فراهيد من غضفان ونزل البصرة في محلة يقال لها الحربية، لم يتحقق معنا مولده ولا موته في أي شهر وفي أي سنة إلا أن الثابت وجوده في زمان جابر بن زيد المتوفي عام ثلاثة وتسعين هجرية إذ أدركه والربيع شاب وروى عنه في المسند حديثاً وصلى عليه موسى بن أبي جابر المتوفي عام واحد وثمانين بعد المائة، فهو ما بين هذين التاريخين وشيوخه كثير يبلغ عددهم خمسة وعشرين شيخاً ومن الممكن أن يقال إنه من التابعين حيث أدرك جابراً الذي مات هو وأنس بن مالك الصحابي في جمعة واحدة. وغالب رواياته عن ضمام بن السائب العماني وأبي عبيدة مسلم فقد روى عن أبي عبيدة، ففي المسند الذي هو عمدة المذهب الاباضي من رواية الربيع عن أبي عبيدة ثمانية وثمانون حديثا وجملة ما في الجزأين الأولين من المسند ستماية وأربعة وخمسون حديثا منها مائة وخمسون حديثا لابن عباس وحديث أبي سعيد الخدري ستون حديثا وحديث أبي هريرة اثنان وسبعون حديثا

غير الذي رواه عن عائشة أم المؤمنين وهي ثمانيـة وستون حديثا وروى مراسيل جابر بن زيد التي تبلغ أربعا وثمانين ومائة حديث وهذا كله غير ما رواه عن أبي أيوب وعبـادة بن الصامت وأبي مسعود وعلي بن أبي طالب ، هـذا جميع ما في المسند المتداول بأيدي رجال المذهب الاباضي وفي المجموع روايات ضمها إلى المسند العلامة المغربي أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني أحاديث وآثار احتج بها الربيع على مخالفيه في مسائل الاعتقاد وغيرها قال نور الدين السّالمي وهي أحاديث صحاح يعترف الخصم بصحتها - وجعلها المرتب أبو يعقوب في الجزء الثالث من الكتاب ثم إنه ضم إلى ذلك روايات محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيرة القرشي عن الربيع وروايات الإمام أفلح بن عبد الوهـاب بن عبد الرحمن الرستمي عن أبي غانم بشر بن غـانم الخراساني ومراسيل جابر وجعل الجميع في الجزء الرابع من الكتاب فكانت أجزاء الكتاب أربعة ، الأولان في أحكام الشريعة من أولهـا إلى آخرها بالسند العالي . ويروي الربيع أيضا عن أبي نوح صالح بن نوح الدهان البصري العماني وأصله من طي . ويروي عن ضمام بن السائب حسبما ذكرنا ، لكن روايته عن ضمام قد اعتنى بجمعها الشيخ أبو صفرة عبد الملك بن صفرة -

كان أبوه حبيب بن عمرو أحد تلامذة جابر بن زيد . قال العلامة الشماخي صحب الربيع أبا عبيدة فنال وأفلح وتصدر بعده

على الأفاضل فأنجح . قال أبو سفيان لما أصاب أبا عبيـــدة الفالج وحضر خروج النـــاس الى الموسم مضى إلى أبي عبيدة حاجب بعبدالله بن عبدالعزيز ليرسله مع الربيع فقال لا أفعل ، قال له فالمثنى قال نعم ، فارسلوا إلى المثنى فحضر فقال أشير عليكم ألا تفعلوا فيقال ما وجدوا من يبعثوا مع الربيع في سنه وفضله إلا هذا الغلام ، فازداد محبة بقوله في نفس أبي عبيـــدة وازداد عندهم رضى فخرج الربيع وحده • قال أبو سفيان ذكر الربيع عند أبي عبيدة فقال تقينا وأميننا وثقتنا . قال أبو سفيان اجتمع وايل والمعتمر بن عمارة وجماعة إلى الربيع فسألوه أن يخرج إلى الموسم فقال ما عندي ما أتحمل به ، فمشوا إلى النظر بن ميمون وكان من خيار المسلمين ومن تجار الصين فاعلموه بقوله فاتاه باربعين ديناراً فقال له حج بها قال فلم يقبلها وكان به خاصاً فاتاه وايل والمعتمر فقالا تعلم يا أبا عمرو حاجة الناس إليـــك فابيت أن تقبل من النظر ، قال لهما قال لي خذها على أن تحج بها ولست أقبلهـــا على شرط ، فرجعا إلى النظر ، قال خذاها وادفعاهـــا إليه ولست أظن أنه يكره ذلـــك ، ففعلا ، فأبا أن يقبلهـا . قال أبو سفيان استحلف أبو جعفر رجلا من أهل الموصل بالطلاق على رجل اتهم أن عنده ماله فحلف فرجع الرجل إلى داره فوجـــد نعله فكتب بالمسالة إلى الربيع فقال لا بد أن يحضر الحالف ، فلما حضر جمع العلماء والأشياخ فاتفق رأيهم على أن الملوك لا

يستحلفون على النعال وما أشبهها والربيع ساكت فقال الرجل ما تقول يا أبا عمرو فقال أرى فراقها ، فقال شعيب إن الملوك لا يستحلفون على النعل ، قال صدقت ولكن صاحبنا قال ما له عندي قليل ولا كثير ولا تخلو النعل أن تكون من القليل أو الكثير قال أبو العباس إن يمينه انعقدت على علمه ولا علم له بالنعل وأيضاً فإن لفظة عندي لا تلزمه ما ألزمه لأن فيه تخصيصاً لا يقتضي قصر الحلف ولعله أخذ بالأحوط ، انتهى .

قال أبو سفيان ويرى التغليظ على من قال عليّ عهد الله – وميثاقه أو كافر أو يهودي أو نصراني جاء نصر أبو محمد الأزدي إلى أبي عبيدة يساله عن مسالة فأجابه ثم قال إيت الربيع فلما حضر ساله فأجاب بغير جواب أبي عبيدة فراجعه أبو عبيدة فيه وقال الذي حفظت عنك كذا قال أوقد حفظت قال نعم قال للرجل أنظر ما قال الربيع فخذ به فإنه عني حفظ وكان أبو عبيدة في وقته ذلك في شكاية وكان الربيع إذا سئل عن مسئلة أجاب عنها قيل ويقال له إذا أجاب عنها عمن أخذتها فيقول حفظت الفقه عن ثلاثة أبي عبيدة وضمام وأبي نوح هذا قول أحدهم ولم يخف عليه قول واحد منهم وسئل عن رجل مشتمل من البرد فيضع كساءه تحت قدميه ويسجد ويداه على الطيلسان قال هذا صنيعي إلا أن يرى أبو المضا غير ذلك وكان أبو المضا من السند قد أدرك أهل النخيلة قال أبو المضا القول قولك ودخل

عليه أبرهة بن عطية فقال يا أبا عمرو رجل من إخوانك من أهل الشام فكان يختلف عليه ويسأله عن الفقه زمـــانا فحضر بعض المسلمين مجلسه فقال سلم على أخينا فسلّم عليه فقال من أي البلاد قال من الشام قال من أي الشام قال من أهل الجزيرة قال لعلك بن عطية قال نعم : قال أبا عمرو هذا الذي أهلك أهل خراسان وأبوه قبله فلا يدخلن عليك قال الربيع أسرعت على الرجـــل فخرج فأتى وائل والمعتمر وعبد الملك وجماعة من أصحابنـــا فأعلمهم فأتوا الربيـع فقالوا قذفت بن عطية فقال لا يحمل بمثلي أن أرد من يأتيني مع أن الرجل لم يسألني عن شيء أكرهه قالوا فلا يدخلن عليك فأتى فاستأذن فحجبه فقال مـــا ظننت الربيع في فضله وعلمه وورعه وحلمه يرد مثلي وإنما أسأله عما ينتفع الناس به من أمر دينهم فبكى وانصرف وارتحل من جواره وفي أيامه خالف عبدالله بن عبد العزيز وأبو المؤرج وشعيب وأصحابهم في الجمعة والمرأة التي تؤتى فيما دون وأن أهل القبلة المتأولين في الدين الذي ورد ما يوهم التشبيه مشركون ورد الربيع مقالتهم وبرئ منهم وقد كانوا تكلموا بذلك في أيام أبي عبيدة فأنكرها عليهم وطردهم من المجلس وأتوا حاجبا والربيـع فتابوا وأعادهم إلى المجلس ثم أظهروها في أيام الربيع وتمادوا عليها ـ مات أبو عبيدة وعلماء الإباضية في المغرب وحَضرموت وعمان والبصرة وخراسان والسند ومصر وكلهم يرجعون إلى الربيع بعده في مهماتهم جمع أبو

غانم بشر بن غانم الخراساني كتاباً جليلاً سماه المدونة عن سبعة من تلامذة الربيع وغالب ما فيها فتاوى الربيع رتبها القطب بن يوسف وجعلها في جزءين ضخمين وحمل عنه العلم إلى عمان عدد كبير أشهرهم على الإطلاق خمسة محبوب بن الرحيل وهو ربيبه وموسى ابن أبي جابر الازكوي من بني ضبة المتوفى ليلة أحد عشر من محرم سنة إحدى وثمانين ومائة - سنة وعمره أربع وتسعون سنة وأشهر والثالث بشير بن المنذر النزواني العقري جد بني زياد من سامة بن لؤي بن غالب المتوفى سنة ثمان وسبعين ومائة في الربيع والرابع محمد بن المعلى الفشحي الكندي .

والخامس المنير بن النيّر الريامي الجعلاني من قضاعة بن مالك بن حمير وفي وفاته اختلاف فيه بعض التناقض .

ولما وقع الاختلاف بين الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي والذين أنكروا إمامته رضي الفريقان الربيع حاكماً بينهم وذلك في العقد الثامن بعد المائة فكتب إليهم ما نصه بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين أما بعد فقد بلغنا يا إخواننا ما كان قبلكم وفهمنا ما كاتبتمونا به أما ما كتبتم به من أمر الشرط فليس من سيرة المسلمين أن يجعلوا الشرط في الإمامة أن لا يقضي أمراً دون جماعة . ولو صح في الإمامة شرط لما أقيم لله حق ولا حد ولعطلت الحدود وبطلت الأحكام

وضاع الحق على أن الإمام إذا قدم إليه سارق فلا يصيب أن يقيم عليه حداً فيقطع يده حتى تحضر الجماعة التي ذكرنا أو زنى أحد فلا يرجم ولا يجلد حتى تحضر أيضاً ولا يجاهد الإمام عدواً ولا ينهى عن فساد إلا بحضرة الجماعة المعلومة والجماعة يتعذر اتفاقها فالإمامة صحيحة والشرط باطل .

وأما ما ذكرتم من تولية رجل من المسلمين إذا كان فيهم من هو أعلم منه فذلك جائز إذا كان الثاني من القنـــاعة والفضل بمنزلة حسنة فقـــد ولى أبو بكر الصديق رضي الله عنـــه وزيد بن ثابت أفرض منه وعلي بن أبي طالب أقضى منه ومعاذ ابن جبل أعلم منه وهذا ليس فيه اختلاف لقول رسول الله ﷺ أفرضكم زيد وأقضاكم علي واقرؤكم أبي وأعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل وقوله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل سيد العلماء سيحشر غداً يوم القيامة أمام العلماء وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته لقد كان في البصرة بمنزلة إمام البيعة مع الإباضية فلا يقدمون ولا يؤخرون إلا بمشورته وكانوا يؤدون إليه زكاة أموالهم ليضعها حيث يشاء ، قال أبو سفيان وكان ربيبه كتب إلى الربيع أن آتيه ولا أصوم في اليوم الذي آتيه فيـــه فاتيته فأعطاني حماراً وقال اركب هذا الحمار في أحياء البصرة فطف واكتب لي من كان من المسلمين قال محبوب فركبت الحمار وجعلت استخرج من على رأي المسلمين في أحياء البصرة وكتبهم حتى بلغوا

ثمانمائة وألف ووجدت نساء من المسلمين قد تزوجن برجال من قومنا قد ماتوا وخلفوا أيتاماً معهن ولم يكن الربيع أمرني فيهم بشيء فكتبتهم وميزتهم ليرى رأيه فيهم فلما رجعت إليه وعرفته أعطى أولئك اليتامى الذين من أولاد قومنا رحمة لأمهاتهم هذا وأخباره وآثاره مشحونة بها الكتب العمانية والمغربية وقد شرح المسند الشيخ أبو ستة من علماء جربة بالجمهورية التونسية ولا تزال بها إلى اليوم بقية صالحة من رجال المذهب وشرحه أخيراً نور الدين السالمي وكانت له أقوال العمل على غيرها في المذهب الأباضي منها عدم تحريمه نكاح المتعة والصحيح معهم نسخها ومنها قوله إن الصلاة لا يقطعها شيء ومنها أنه ينزل الأم منزلة الأب عند عدمه ومنها أنه يرى أن المكاتب عبد ما بقي عليه شيء مما كوتب عليه ومنها أنه لا يرى الاستنجاء بالماء واجباً .

التنبيه الثاني : في أصول الخلاف
بين الناس وافتراق الأمة

لا يخفى أن الأصول التي يرجع إليها جميع المسلمين على أنواع الاختلافات بينهم هي الكتاب والسنة والإجماع ، ولكن الخلاف معهم في الإجماع والقياس وهما الثالث والرابع من الأركان عند جمهور المسلمين المعتبرة أقوالهم وأفعالهم . قال بعض الفقهاء : عرض الاختلاف لأهل ملتنا من ثمانية أوجه كل ضرب من الخلاف متولد منها ومتفرع عنها . الأول : اشتراك الألفاظ والمعاني . الثاني : الحقيقة والمجاز . الثالث : الإفراد والتركيب . الرابع : الخصوص والعموم . الخامس : الرواية والنقل . السادس : الاجتهاد فيما لا نص فيه . السابع : الناسخ والمنسوخ . الثامن : الإباحة والتوسيع . وقال غيره : الاختلافات بين أهل المذاهب والأديان على أربع مراتب ؛ الأولى : الخلاف بين أهل الأديان النبوية وبين الخارجين عنها من الثنوية والدهرية وذلك في حدوث العالم وفي الصانع تعالى وفي التوحيد . والثانية : الخلاف بين أهل الأديان النبوية بعضهم مع بعض وذلك في الأنبياء كاختلاف المسلمين والنصارى واليهود .

والثالثة : الاختلاف المختص في أهل الدين الواحد بعضهم مع بعض في الأصول التي يقع فيها التبديع والتفجير كالاختلاف في شيء من صفات الله تعالى وفي القدور كاختلاف المجسمة. الرابعة : الاختلاف المختص بأهل المقالات في فروع المسائل كاختلاف الشافعية والحنفية . فالاختلاف الأول يجري مجرى متنافيين في مسلكيه لآخذ طريق المشرق وآخذ طريق المغرب أو آخذ طريق ناحية الشمال وآخذ طريق ناحية الجنوب ، والثاني يجري مجرى الآخذ نحو المشرق وآخذ يمنة أو يسرة ، فهو وإن كان أقرب من الأول فليس يخرج أحدهما أن يكون ضالاً ضلالا بعيداً ، والثالث يجري مجرى آخذ جهة واحدة ولكن أحدهما سالك المنهج والآخر تارك المنهج ، والرابع جارٍ مجرى جماعة سلكوا منهجاً واحداً لكن أخذ كل واحد شعبة غير شعبة الآخر وهذا هو الاختلاف المحمود لقوله صلى الله عليه وسلم : الاختلاف في هذه الأمة رحمة للناس . ونحوه نظير من قال : كل مجتهد في الفروع مصيب . ولأجل الفرق الثلاث أمرنا أن نستعيذ بالله ونتضرع اليه بقوله اهدنا الصراط المستقيم ، وقال : وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، انتهى كلامه .

أما أصول فرق المسلمين فثلاث : الخوارج والشيعة والمرجئة ، وأما فروعهم فكثيرة جداً لا يحصرها الثلاثة والسبعون الواردة في الحديث ، ولا تكاد تجد فرقة إلا وأهلها مفترقون قولاً وعملا وربما

يفضي بهم الحال الى القتال بعد الجدال . قال الأستاذ أحمد أمين وأحيانا يحكي القول من أقوال الفرق المختلفة على أنه مذهب ديني بحت ومسئلة عقيدة صرفة مع أنا لو دققنا النظر في أصلها لوجدناه سياسياً كمسئلة مرتكب الكبيرة أكافر أم مؤمن ؛ فالظاهر أن بحثها لم يكن بحثا لاهوتياً بحتاً وإنما منشؤها حكم الأحزاب السياسية بعضها على بعض ، فالخوارج أثاروا المسئلة من ناحية من اتبع علياً أكافر أم مؤمن ومن اتبع معاوية أكافر أم مؤمن كما نتساءل نحن اليوم ما حكم من اتبع مذهب كذا السياسي أخائن لوطنه أم غير خائن ؟ إلى أن قال : أضف إلى ذلك أنه كان في كل حزب مكرة مهرة رأوا أن الناس في ذلك العصر لا يستهويهم القول بالصالح العام في دفاعهم إنما يدافعون عن الدين ويجردون السيف باسم الدين فغرقت الأحزاب كلها في هذا البحر واستعملت هذا السيف وأثارت العواطف من هذا الباب واستغلت عقول العلماء ليمدوها بما لديهم من علم في هذه السبل وانضم إليهم من لا يخافون الله فإذا لم يجدوا في الدين شيئاً وضعوا له الحديث والأخبار الدينية وبذلك كله كان الخلاف السياسي سبباً كبيراً من أسباب الخلاف الديني وسبباً في العقايد والفرق ، انتهى . قلت : ويدل على ذلك ما رواه المبرد أن المهلب بن أبي صفرة كان يضع الأحاديث ضد الخوارج وقال الإمام علي الحرب خدعة كما رواه البخاري عنه والله ولي التوفيق وقد ابتلي كثير من الناس بالقدح في أعراض بعضهم بعض فتجد

الشافعي يتكلم على الحنفي والحنفي يسب الشافعي حتى يفضي بهم القول إلى تحريم المناكحة بينهم. وروى ابن عبد البر أن ابن أبي ذيب تكلم في الإمام مالك بن أنس بكلام غاية في الشناعة كما تكلم عليه إبراهيم بن سعد والشافعي وبعض أصحاب أبي حنيفة ولا تجد مذهباً يخلو من قادح، الله المستعان قل اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون. ولا تكاد تجد عالماً أو مذهباً إلا وله قادح وعائب. قال الزمخشري:

فإن سئلوا عن مذهبي لم أبح به ... وأكتمه كتمانه لي أسلم
فإن حنفيا قلت قالوا بأنني ... أبيح الطلا وهو الشراب المحرم
وإن مالكيا قلت قالوا بأنني ... أبيح لهم أكل الكلاب وهم هم
وإن شافعيا قلت قالوا بأنني ... أبيح نكاح البنت والبنت تحرم
وإن حنبليا قلت قالوا بأنني ... ثقيل حلولي بغيض مجسم
وإن قلت من أهل الحديث وحزبه ... يقولون تيس ليس يدري ويفهم
تعجبت من هذا الزمان وأهله ... فلا أحد من ألسن الناس يسلم

غيره:

الشافعي يقول وهو إمامنا ... اللعب بالشطرنج غير حرام
وأبو حنيفة قال وهو مصدق ... في كل ما يأتي من الأحكام
شرب المعتقة السلافة جائز ... فاشرب على نغم من الأنغام
والشيخ أحمد قال إن إلهنا ... جسم يحل كسائر الأجسام

والشيخ مالك للكلاب محلل وهم دعائم قبة الإسلام
فاشرب وقامر بالجد وأطعم ميتة واحتج في كل بقول إمام

واختلف العلماء في أمة النبي صلى الله عليه وسلم فقيل المسلم والكافر وقيل المسلم فقط أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهن إلى النار ما خلا واحدة ناجية" وكلهم يدعي تلك الواحدة قال نور الدين السالمي رضي الله عنه وهي التي تثبت على كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وسنة الخلفاء المهديين عملاً بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن أبي نجيح العرباض بن سارية قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال أوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجد وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح ولا يخفى أن السيرة التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر اختلفت في آخر خلافة عثمان وأن المنكرين عليه إنما طالبوه بتلك السيرة فما زال يماطلهم والأحكام مضيعة ثم طلبوا منه أن يعدل أو يعتزل فأبى عليهم وكلهم يد واحدة عليه إلا من كان من خاصته

وخدمه فحاصروه طويلاً ثم قتلوه ولا منكر ثم قدموا علي بن أبي طالب إماماً على السيرة الغرّاء فخرج معاوية عن طاعته خوفاً على ولايته أن تسلب ووازره عمرو على ذلك بعد أن اشترط عليه ما اشترط ولبّسوا على الناس أنهم يطلبون بدم عثمان ثم نكث طلحة والزبير بيعة علي فكانت وقعة الجمل ثم سار إلى معاوية والمسلمون له مؤازرون ومناصرون فكانت وقعة صفين ثم خدعوه بطلب التحكيم وأعطى على ذلك العهود والمواثيق وإمامته واضحة نيرة فطلبوا منه الثبات على تلك السيرة الواضحة والتمسك بقوله تعالى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيىء إلى أمر الله فأبى عليهم وخاصموه في المسئلة فخصموه فلم يرجع فتركوه وقدموا عبد الله بن وهب الراسبي وكان من أمر الحكمين ما كان من اتفاقهما على عزله واختلافهما في معاوية فلم يرض بحكومتهما فاين ما أعطى من العهد وا ق إن كان التحكيم حقاً وإن كان باطلا فعلامَ يلام ويقاتل من لم يرض به فإن قيل إنما قاتلهم لأجل الخروج - عنه لا لإنكار الحكومة قلنا إنما خرجوا بعد أن خلع الإمامة من عنقه وجعلها إلى الحكمين يحكمان فيها كيف شاءا مع أنه لا طاعة لمن لم يطع الله عز وجل فعن أنس أن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال يا رسول الله أرأيت إن كان علينا أمراء لا - يستنون بسنتك ولا يأخذون بأمرك فما تأمر في أمرهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمن لم يطع الله عز وجل الحديث في مسند أحمد وفي جامع

الترمذي . وفي مسند احمد ايضاً عن حذيفة رضي الله عنه قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم جلوساً فقال إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم فاقتدوا ـ بالذين من بعدي وأشار إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وتمسكوا بعهد عمار فنص رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر عمره على من يقتدي به من بعده وعلى من يهتدي بهديه وعلى من يسمع قوله قال والأصحاب يعنى الأباضية رحمهم الله تعالى اقتدوا بأبي بكر واهتدوا بهدى عمار وسمعوا قول ابن مسعود فهم على وصية نبيهم عليه الصلاة والسلام فهذا دليل أن الصواب ما عليه الأصحاب وقد روت القوم أحاديث تقتضي سعادة عثمان من أهل الأحداث المخصوصين ولأن صحت تلك الأحاديث فلا يضرنا ورحمة الله واسعة والأصحاب رحمهم الله تعالى قد حكموا في ذلك بحكم الله تعالى ولا تناقض بين سعادتهم وحكم الله فيهم في هذه الدنيا فكم محدود على الزنا والخمر هو في علم الله تعالى يموت تائباً ظهرت توبته للناس وانسترت ويؤيّد ذلك ما في البخاري في فضل عائشة عن الحكم سمعت أبا وايل قال لما بعث علي عماراً والحسن إلى الكوفة ليستنفرهم خطب عمار فقال إني لاعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة ـ ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أوإياها وذلك يوم الجمل أنتهى كلامه .

خاتمة في ذكر أقوال العلماء المخالفين والموافقين في المذهب الاباضي

فمن المتقدمين المبرد ، قال في الكامل : قــول ابن اباض أقرب الأقاويل إلى السنة . وابن حزم حسبما حكاه عنه ابن حجر في فتح الباري قال أسوأ الخوارج حالا الغلاة وأقربهم إلى قول أهل الحق الأباضية .

ومن المتأخرين العلامة الجليل حسن السندوبي محقق البيـــان والتبيين للجاحظ ، قال في حاشية الجزء الثاني ـ المذهب الاباضي ـ وأهل هـــذا المذهب من أفاضل القبلة وممن ينفرون من البـدع التي ليست من الدين في شيء ومن هنـــا يتهمهم بعض المسلمين بالتشدد وبعدم مسايرتهم للتقدم بل يرمونهم بما هم منـه براء وقد كنت خدعت بقول خصومهم فيهم فرددت مجمل ما يتهمونهم به في بعض هوامش الجزء الأول ثم تبين لي اليقـــين فيهم فعلمت أنهم من خيار المسلمين وممن يرجعـــون في كل أمورهم من عبادة ومعاملة إلى الكتاب والسنة ولا يرعك تنديد الجـــاحظ بهم فإنهم

كانوا فيما سلف خصوماً للمعتزلة رضي الله تعالى عن المسلمين كافة ، انتهى كلامه . وقال في الموسوعة العربية الميسرة ـ اباضية ـ فرقة من معتدلي الخوارج في البصرة والكوفة تنسب إلى عبد الله بن اباض الذي عرف في النصف الثاني من القرن الأول الهجري وعاصر عبد الملك بن مروان ، قام على أمرها من بعده أئمة متلاحقون ، عمرت طويلا وانتشرت في أرجاء مختلفة وهناك اباضيون حتى اليوم في عمان والجزائر وزنجبار ، والاباضية لا تقول بكفر غير الخوارج ولا بشركهم وتبيح الزواج منهم ، ترى ضرورة الإمامة بناء على اختيار الشيوخ وأهل الرأي وليس بلازم ظهورها دائماً فقد يبقى اختيار الإمام في طيّ الكتمان ، تسلم بأصول الفقه التي قال بها أهل السنة فيما عدا الإجماع . انتهى . وقوله فيما عدا الإجماع غلط ، فان الإجماع ركن من أركان الدين مع الاباضية ورابعه القياس بعد الكتاب والسنة .

قال عز الدين التنوخي عضو المجمع العلمي بدمشق في مقدمته على مسند الربيع وشرح نور الدين السالمي عليه قال وإذا اطلع المنصف على هذا الشرح وجد الشارح واسع الاطلاع وألفى شرحه واضحاً مبيناً وتعابيره صحيحة فصيحة أسلوبها المساواة فلا هي مسهبة مملة ولا مفرطة مخلة الإيجاز وأما أبحاثه فيها فإنها تدل على اعتدال في التحقيق وبعد عن التعصب فكثيراً ما ينقل عن العلماء المخالفين كالحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة ويستشهد بأحاديث

الشيخين وأئمة الحديث كأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والدارقطني والطبراني والبيهقي وغيرهم من أهل السنة والجماعة مما يدل على أن الاباضية في المشرق والمغرب مذهب قريب من مذاهب السنة والناظر في شرح النور السالمي عالم عمان يمتلىء طمأنينة بما ذكرته وقلما رأينا من رجال غير المذاهب السنية من يستشهد برجال الحديث والفقه من أهل السنة إلا استشهاد نقد ورد وما آثرت تخريج أحاديث المسند والشرح ولا سيما ما رواه الشيخان إلا لتطمئن قلوب لإخواني أبناء السنة بأن مسند الربيع الذي بني عليه المذهب الاباضي هو صحيح الأحاديث وأكثرها مما جاء في الصحيحين وجابر بن زيد ممن روى عنهم البخاري وغيره لكيلا يقع فيما وقع خصوم الاباضية أو من لم يعرف حقيقة مذهبهم وعقيدتهم فيظنهم من الخوارج الغلاة كالأزارقة والنجدية والصفرية المانعين لموارثة ومناكحة مخالفيهم ، انتهى كلامه .

وقال السيد مصطفى بن اسماعيل المصري : إن مذهب الاباضية نسبة إلى الإمام عبدالله بن اباض هو أقدم المذاهب تاريخاً وأوثقها مصدراً وأصحها تأويلا وأحفظها للباب طهارة الدين الحنيف ونقاوته وسماحته وزكاوته وعلى ذلك فليس ثمت مراء في أنه هو الطريق الحق الذي كان يمضي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة معه وتلقاه عن جبريل عن ميكائيل عن إسرافيل في اللوح المحفوظ عن الله عز وجل وأنه هو الصراط المستقيم الذي دعانا الله

إلى اتباعه في قوله تعالى وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون وأن أصحابه العاملين بما فيه هم المؤمنون حقا أهل الفرقة الناجية التي عناها رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الصحيح بلوت اليهود فوجدتهم قد كذبوا على أخي موسى فافترقوا على إحدى وسبعين فرقة كلها هالكة ما خلا واحدة ناجية وهي التي ذكرها الله تعالى في كتابه فقال عز من قائل ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون وبلوت النصارى فوجدتهم قد كذبوا على أخي عيسى فافترقوا على اثنتين وسبعين فرقة كلها هالكة ماخلا واحدة ناجية وهي التي ذكرها الله في كتابه بقوله تعالى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون وستفترق أمتي علي ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة ماخلا واحدة ناجية وكلهم يدعي تلك الواحدة أو كما قال صلوات الله عليه قال ولقد شهد بهذا الحق جميع الفلاسفة الفرنساويين الباحثين في الأديان الذين وقفوا بكياسة أبحاثهم وسلامة قياسهم على أن نقاوة الدين الإسلامي لا تنحصر إلا في مذهب انباع ابن اباض قلت وحديث الافتراق رواه ابن حبان والحاكم في صحيحها وقال الحاكم إنه حديث كبير في الأصول وهذا الشيخ مصطفى المصري كان على مذهب الأشعرية فرجع إلى مذهب الاباضية وقالوا في تفصيل الفرق عشرون منها في المرجئة واربع وعشرون في الشيعة واثنتا عشرة في المعتزلة وسبع عشرة في المحكمة.

قال العلامة أبو الحسن علي بن محمد البسياني من علماء القرن الرابع بعمان فحصت الأديان ظهرا وبطنا فلم أجد دينا أصفى من ديننا ولو علمنا غيره خيراً منه لما سمحنا لجهنم - بأنفسنا فعلينا في عصرنا وبعد زماننا أن نعتصم بحبل الله القرآن وما نقلته إلينا علماؤنا رحمهم الله فهم الصادقون فقد صدقناهم وقبلنا منهم وتوكلنا على الله في تصديقنا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجتمع أمتي على خطأ فخصّ بقوله أهل هـذه الشريعة وهم الشهداء على كل مذهب لأنا رأينا الزاني والسارق وشارب الخمر والظالم في جميـــع المذاهب يسمون مؤمنين ورأيت هذا المذهب لا يفعل من هـذه الأفعال القذرة قليلا ولا كثيراً ورأينا مذهبنا منزهاً عن القاذورات فعلمنا أنه هو الدين الذي لا يرضى الله إلا به لأنه مذهب منزه صريح صحيح واضح من طريق الشريعة لا من طريق اللغة والله أعلم وقوله لأن الزاني والسارق وشارب الخمر والظـالم في جميـع المذاهب يسمون مؤمنين يشير إلى قوله صلى الله عليـــه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن رواه البخاري وفي الجامع عن البخاري وغيره من زنا خرج منه الإيمان فان تاب تاب الله عليه وفي رواية أخرى من زنا أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان فـكان على رأسه كالظلة فإن أقلع رجع إليه وفي رواية نزع

الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه والمعنى على هذا كله مع الأباضية أن مرتكب الكبيرة ينتقل من الإيمان إلى كفر النعمة كما هو ثابت مقرر ومعنى قوله فهم الصادقون يشير إلى قوله تعالى وكونوا مع الصادقين فكل من يتحرج من فعل الصغاير ويهرب من ارتكاب الكباير فهو المؤمن حقاً والصادق عند الله وعند الخلق صدقاً وهو الثقة في نقله والأمين على قوله وفعله ولا يزهد في المذهب الاباضى قلة رجاله فهذا مما يشرف الكرام فقد ركب نبي الله نوح سفينته ولم ينسج غيرها من أهل الأرض وهاجر إبراهيم وما عنده إلا لوط عليه السلام وقال الله حكاية عن الملايكة الذين جاؤا إلى لوط وما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وقال فرعون في موسى وأصحابه إن هؤلاء لشرذمة قليلون وانظر إلى حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلة أصحابه بالنسبة إلى أهل زمانه وحالة الصالحين من أصحابه والتابعين وهكذا قال الله تعالى وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا اكثرهم لفاسقين وقال إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وقال وقليل من عبادي الشكور .

قال القطب بن يوسف وقد أقر لي علماء الحرم أن دين الاباضية الوهبية خالٍ من البدعة قال وإذا كانت الاباضية الوهبية مع عملهم بتلك الطاعات وتركهم تلك المعاصي في ضلال فمن يكون إذاً على صواب أهؤلاء الذين يبولون على أعقابهم ولا

يستجمرون وتنجس ثيابهم ويصلون بها وبلا استنجاء ولا غسل جنابة ويشربون الدخان والخمـــر وأنواع المسكرات والمفترات ويعتقدون الروية التي توجب أن لله لوناً وحلولاً في مكان وجهات ويطففون الكيل والميزان ويسرقون المال ويستعملون الربا وتنكشف نساؤهم ولا يصونونهن ويحكمون بالجور ويأخذون الرشا ويقارفون تلك المعاصي كلهـــا غير الشرك ويتركون الفرايض والطاعات غير التوحيد فمن فعل ذلك منا أو منهم ومات غير تايب فهو في النار قال نور الدين السالمي على أثره ومعناه أنهم يتركون الواجبات غير التوحيد ويفعلون المعاصي كلها وهم مع ذلك لا يقطعون بالخلود على ذلك الفاعل بل يقولون إنه يدخل الجنة قطعاً لحديث من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنا وإن سرق وجوابهم نحن نقول لا إله إلا الله ولا نزني ولا نسرق فيلزمكم أن تقطعوا لنا بالجنة وإذا قطعتم لنا بالجنة فعلى ما الطعن في مذهبنا هذا على تسليم ما قالوه من ظاهر الحديث وهو عندنا إن صح متأول بأن من قالها دخل الجنة وإن زنا وإن سرق قبلهـا لأن الإسلام جب لما قبله وهذا فيمن قالها واتبع العمل أو مات قبل أن يجب عليه العمل لقوله عز من قايل إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وقوله إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات في كثير من الآيات وقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فـــإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً ولولا القطع بتعذيب التارك للفرض أو الفاعل

للكبيرة إن لم يتب لما صحت الفرايض ولا اجتنبت المحرمات فإنه يلزم عليه أن يكون فعل ذلك وتركه عليه سواء وقد قال تعالى أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون أم حسب الذين اجترحوا السيآت أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وقال السالمي أيضا والله - الذي لا إله إلا هو لئن الحق لمع هذه العصابة وقال في الجوهر ومن هنا القطع بهذا المذهب بأنه الأصل الذي عن النبي وعنده أن الحالف بهذا لا يحنث لأنه على يقين .

قال العلامـــة الرباني المبارك جاعد بن خميس بن مبـــارك الخروصي إني لأقسم بالله - قسمَ من برّ في يمينه فلا حنث إن من مات على الدين الأباضي الصحيح غير ناكث لما عاهد الله عليه من قبل ولا مغير حقيقته كلا ولا مبدل طريقته أنه من السعداء ومن أهل الجنة مع الأنبيـاء والأولياء وإن مات على خلافه فليس له في الآخرة إلا النار وبيس المصير لأنه الحق وماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون على هذا إن شاء الله أحيا وأموت عليه وعليه ألقى الله رب العالمين ولما توفى هذا الشيـخ رضي الله عنه وضع نعشه منحرفاً عن القبلة قبـل أن يصلى عليـه فاستدار إلى القبلة كرامة له .

والكلام في هذا الموضوع كثير عن السلف والخلف وقال العلامة ابن النظر من علماء عمان وشعرائها في القرن الخامس يذكر بعض رجال المذهب وصفاتهم :

من الإباضيين أهل الوجل — والخوف لله وصدق العمل
(رهط ابن وهب وابن حصن الافضل — ومنهم حرقوص وابن نوفل)

شريح بن نوفل .

عاطاهم الانزع كأس حنضل — وسهم حين للحياة مشكل
(وهل كعمار ليوم فشل — ذاك خدين المصطفى المنتخل)

بالحاء والخاء :

وهل كمثل جابر من رجل — وهل له من خطل أو زلل
أوفي أصيل رأيه من خلل — وهل كمرداس لخطب معظل
أو كقريب عند هول مهول — والثالث الزحاف يوم المحفل
ووقعة النخلة ذات الشكل — ويوم طواف الشهيد البطل
ذاك أمرؤ شار زكي العمل — وهل كاصحاب الجدار النبل
(من مشبه تحت عجاج القصطل — او كالجلندا ابن مسعود الولي

أول إمام بعمان عام ١٣٢ .

ووارث ذاك الذي لم يخمل

(وهل كغسان فحسبي بجَلي   وابن حميد ذي الأناة الجدل)

بجلي وحسبي : سواء في المعنى .

المحسن البر الكريم المجمل   أو المهنا عند هول مهول
(يفتر عن ناب زبون أعصل   والصلت باب فتنة لم تقفل

أعصل : أعوج .

دبّوا إليه في لهام جحفل   وفي لفيف من رعاع رذَّل
ليسوا أولى دين ولا تعقل   بلا احتجاج لا ولا تأول
فاجمع الصلت على التحول   وهو إمام لهم يعزل
لم يقترف كفراً ولم يبدل   أتاه ما ليس له من معدل
(من قدر الله ولا من مزحل   وهل كمحبوب ليوم معضل)

زحل : تنحى .

(ليوم عوصاء ويوم النضل   وابنيه ما إن لهما من مثل)

الشديدة الرمي .

(واذكر ربيعاً وضماماً وارحل   إلى الإمام الحضرمي العبهل)

أحمد بن سليمان الحضرمي .

(وأين في الناس كموسى بن علي)

بن الحصين أبي الحر التميمي جده مالك بن الخشخاش صحابي توفي في ربيع الأول عام ٢٣١ وسنه ثلاثون سنة .

(وابن أبي جابر ذي الرأي الجلي)

موسى بن أبي جابر ، سبق تاريخ موته : أحـــد حملة العلم إلى عمان .

(وهاشم في السهل أو في الجبل)

من أهل سيجاء هاشم بن غيلان من حملة العلم إلى عمان .

(أو كالمنير في الليالي الطفل)

كذلك من حملة العلم ريامي سبق ذكره .

(وابـــك على أبره والمفضل   وطالب الحق بن يحيى المسبل)

أبرهة بن الصباح الحضرمي.

(إمام صدق ليس بالسبهلل)

السبهلل : الباطل والضلال .

(ولا بدهدن ولا بفهلل)

وكذلك الدهدن والفهلل في معنى السبهلل ، وفي نسخة ثهلل .

(يهتز للعرف اهتزاز المنصل)

المنصل : السيف .

(قايده المختـــار ذو التبدل)

التنقل ، وهو المختار بن عوف الخطيب المشهور العماني .

ذاك أبو حمزة ذو التخيـــل   في الحرب والساحب عقد الأذيل
يوم قديد أي يوم محفـــل   ومبهـــج للمسلمين مجـــذل

(حين تولوا كالجهام الجحفل)

الجهام : السحاب ، وفي نسخة كالنعام .

(أو كالحبارى نفرت عن أجدل   صكهم الشاري بكـل هيكل)

والهيكل : الفرس .

(وكل وشواش الذراع عيطل   فلم يزل مجتهداً لا يـــأتلي)

الوشواش : الخفيف ، العيطل : الطويل .

حتى مضى على السبيل الأفضل   أمّ به الرحمن خـــير السبل
(أولاك أنواء السماك الأعزل   وهم سحاب في الجناب الممحل)

الجناب : الفنا والرحل والناحية .

(أقمار دجن نورها لم يأفـــل أحبار ليل كالحـــنيّ الذبل)

الحني : القسي .

أنضاء صوم كالشنان النحل بيض الوجوه كالنجوم النصّل
(شم الأنوف كالسيوف القصّل ذوو ابتسام وذوو تهلـــل)

القصل : القواطع .

مثـل ابتسام العارض المستقبل هم المنار في المنار الأطول
والأفضلون في الخيار الأفضل فاسأل فما العالم من لم يسأل
أنا على قصد الصراط الأعدل لسنا كما أن سيم خسفا يدلل
(في دينه وإن يكاثر يقلل نأخذ عن أصل قديم عدمل)

العدمل القديم .

(ليس بمعيوب ولا مستدخل بابن أم عبد وحذيف نعتلي)

ابن مسعود وحذيفة بن اليماني .

(وبابن صوحان رؤوس القلل)

زيد بن صوحان قتل يوم الجمل مع الإمام علي .

(وابني بديل فهما عزّ علي)

محمد وعبدالله ابنا بديل الخزاعيان .

نحن الاباضيين أسد الغيطل ... أسد عرين زأرت لأشبـــل
تنازل الأبطـال تحت الأسل ... وتحت قصطال الخميس الغيطل
أبناء كل قاتـــل مقتّـل ... أجدائهم أُضحت بكل منزل
حواصل الطير وبطن الفرعل ... لا يفزعون من دنو الأجـل
الموت أحلى عندهم من عسل ... شيب لعطشان بمـــاء سلسل
(بيض مخابيت قصارى الأمل ... رضوا من الدنيا بقوت الأكل)

الإخبات الخشوع .

وفارقوا الغيد ذواتِ الكلل ... لم تختلبهم بالعيون النجـــل
(ولا بفضفاض نعيم دَعفل ... ولا سماع غنـــاء زجل)

الدعفل الواسع الخصب .

(صم عن اللهو وقول الهزل ... قد ألفوا كل علندى أفتل)

العلندى الغليظ البعيد ما بين المرفقين .

(عالي التليل أرحبي عنسل)

الأرحبي نسبة إلى قبيله والعنسل الخفيف .

(يُغشونه كل نجاد جرول)

يصعدونه كل مرتفع خشن .

(وكل مطموس الصوى من الفل)

ممحو الطريق من الفيافي .

في طلب العلم وفي التفضل وعز دين الله بالترحـــل
(إلى أولى البسطة والتطول بكل شحشاح خميص الأيطل)

الشحشاح الشجاع الأيطل الخاصرة :

(يجيش نار الحرب جيش المرجل ما هو بالنكس ولا بالهوجل)

الضعيف الثقيل .

(ولا بنأءناءٍ ولا بزمّل)

العاجز الضعيف .

(ولا ابن ثأداء ولا ابن ثهلل)

الأمة الحمقاء العاجر .

ولا بنقاف هبيدَ الحنضل إلا امرؤ شار زكيّ العمل

لم يثنه في الله عــذل العذل لا يــدع الحجــة للتعجل
عند انتهاز فرصة المستعجل يسعر نار الحرب حتى تنجلي
شاكي السلاح غير جبس أعزل ولا يرى قتــل كبير نهبل

الجبس الثقيل المسن .

ولا اتبـاع مدبر مستوهل ولا استبــاء مرضع ومطفل
ولا اغتنــام سيد مؤثل ولا اعتراض النـاس بالتعلل
إن كان من بعض صنوف الملل فذاك حرم غــير ما محلل

قلت ويستأنس لهذا ما رواه أبو سفيان عن الربيـع عن أزور قال إن نسوة من نساء أهل عمان استأذن على عائشة رضي الله عنها فأذنت لهن فدخلن عليهـا وسلمن عليها ثم قال من أنتن قلن من أهل عمان قال فقالت لهن لقد سمعت حبيبي عليه السلام يقول ليكثر وراد حوضي من أهل عمان ومـــا رواه الإمام أحمد من طريق أبي لبيد قال خرج رجل منا يقال له بيرح بن أسد فلقيه عمر فقال ممن أنت قال من أهل عمان فأدخله على أبي بكر فقال هذا من أهل الأرض التي سمعت رسول الله ﷺ يقول إني لأعلم أرضاً يقـال لهـــا عمان ينضح بناحيتها البحر لو أتاهم رسولي مـا رموه بسهم ولا حجر . وفي صحيح مسلم : بعث رسول الله صلى الله عليــه وسلم رجلا إلى قوم فسبّوه وضربوه فجـاء إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو أهـــل عمان أتيت ما سبوك ولا ضربوك .

وأهل عمان منذ وقع الافتراق بين المسلمين إباضية ، ولبعضهم:

شمّـر لنشر العلم يا بن معمّر — واكشف صفات أولى المكارم واظهر
تلك الفضائل كل من يحيى بها — يحيى بـــدين راسخ متطهر
ذهبت عصور أشرقت نولا بهم — وتزينت أكوانها بالجـــوهر
وعلا بهم دين المهيمن مـــدة — ثم انجلوا عن واضـــح لم يستر
وإذا خفيت على الغـبيّ فعاذر — أن لا تراني عين شخص أعور
فربيعنــــا عن مسلم عن جابر — عن عائش عن طيب عن أطهر
عن لوحه المحفوظ عن رب العلى — فاخضع لذا الإسناد طورا واشكر
هـل عندهم عَلَم كجابرنا وهـل — كأبي عبيدة من فتى متـــذمر
أو كالربيـع ومن أتى من بعده — طبقات خـــير فضلهم لم ينكر
لو حيزت الدنيا لتدبير امرئ — لرأيت عزماً فوق عزم الأشتر
فهم أسود الصبح رهبان الدجى — وهم مصابيـــح الظلام المعكر
أكرم بهم من فتية والله قــد — سلكوا سبيل المصطفى لا تمتري
هل عندهم أن الخلافة أحدثت — فيهـم عقيب المصطفى في محضر
أم هذه قد حازها أسلافنـــا — عملا بإجماع الصحابـــة فاخبر
فبحضرموت طار فيها صيتهم — بالدين والتقـــوى وصدق المخبَـر
وأعزّ دين الله مغربنا فسل — أبناء فارس عن زمان مقمر
هل زلزلت همـــاتهم من ركة — أم صادفوا وهناً لهم في مضمر

لله أيام مضت في جربة ونفوسة كم قد محت من منكر
وابحث عراقاً مع خراسان ومع أرض الحجاز تفز بخير مخبر
فبضمر الأقلام يبلغ أهلها ما ليس يبلغ بالجياد الضمّر
واقصد عماناً تحت أرباب العلى في بيضة الإسلام عند الأخضر
تجد المرابع ناطقات بالذي قد كان فيها من بناءٍ مزهر
فبحبهم إن شئت أن تحيا فمت أو لا فبالخسران عش في أخسر
وبحبهم ترجى شفاعة أحمد صلى عليه الله ما سقم برى

الباب الثاني

في ذكر انتشار المذهب الاباضي إلى المغرب والمشرق

قد ذكرت فيما مضى الأثر المشهور في بيان الشرع وغيره من كتب الأباضية قالوا باض العلم بالمدينة وفرخ بالبصرة وطار الى عمان فقد انضم إلى مدرسة جابر بن زيد عدد كبير من العلماء والفقهاء وتخرج منها عدد إلى الآفاق ثم خلفه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة وفي زمانه أينع هذا المذهب الجليل وطاب نضجه وانتفع بثمره فمن رجاله المدنيين محمد بن مسلمة ومحمد بن حبيب وكلاهما من أهل المدينة وعبد العزيز القاري ومن رجاله المكيين أبو الحر علي بن الحصين ومن خزاعة عدد كبير ذكرهم محبوب بن الرحيل حوالي أربعمائة مقاتل انضموا إلى المختار بن عوف .

ومن البصرة محبوب بن الرحيل وعبد الله بن أباض ومرداس ابن حدير وقريب والزحاف وعدد كبير يطول حصرهم كالإمام المحدث أبي عبيدة مسلم وغيره ومن المغرب سلمة بن سعد وهو الذي

دل أهل الجزاير وتونس وليبيا على أبي عبيدة فجاء منهم عدد كعاصم السدراتي وإسماعيل بن درار الغدامسي وأبي داود القبلي النفزاوى ومن مصر شعيب بن المعروف وأبو إسحاق إبراهيم وابن عباد وليسع وعيسى بن علقمة ومن السند أبو المضا وأبو العباس ابن المريح والمهند بن سدها وأبو عبد الله محمد ابن بروزان .

ومن اليمن الإمام أبو الخطاب المعافري .

ومن حضرموت وايل بن أيوب والإمام طالب الحق الكندي وخلق كثير يطول عدهم وقال النور السالمي كان أهل حضرموت كلهم أباضية ومنهم أبرهة بن الصباح .ومن عمان وهم الأصل لهذا المذهب وكفى بجابر بن زيد والربيع بن حبيب والجلندا ابن مسعود وأبي حمزة المختار بن عوف وبلج بن عقبة .

ومن أهل الموصل أبو بكر يحيى بن زكريا الموصلي وهو عالم جليل له آثار حميدة جاء - يبحث عن الدين فلما التقى بأبي عبيدة مسلم وأخبره عن معتقدات الأباضية اعترف لهم بصحة ديانتهم وكان قد ناظر كثيراً من العلماء فلم يقنع بهم .

ومن خوارزم أبو يزيد الخوارزمي .

ومن أهل خراسان هلال بن عطية وأبو منصور وهاشم بن عبد الله .

ومن البحرين خلف بن زياد البحراني .

وبلغت دولة الرستميين في المغرب مسيرة ثلاثة أشهر واجتمع لبعض الأئمة ما يزيد على ثلاثماية ألف جندي وأكثر من ماية ألف فارس وولد لهم في بعض السنوات في طريق الحج ثلاثماية مولود منهم العلامة الجليل عمروس بن فتح .

فصل في أئمة الاباضية بحضرموت
ومنها أول إمامة انبثقت إلى اليمن ومكة والمدينة

قال في كتاب السير أبو يحيى عبد الله بن يحيى بن عمر بن الأسود بن عبد الله بن الحارث بن معاوية بن الحارث الكندي كان قاضياً لإبراهيم بن جبلة عامل القويسم على حضرموت وهو عامل مروان على اليمن فاظهرا باليمن وحضرموت جوراً كبيراً ففزعت الناس إلى عبد الله بن يحيى فكاتب أبا عبيدة فقال إن استطعت فلا تبقى يوماً واحداً، وأرسل إليه بأبي حمزة المختار بن عوف بن سليمان بن مالك بن فهر الأزدي أحد بني سليمة وأرسل اليه إنا بعثنا إليك برجل إنجيله في صدره وأرسل اليه ببلج بن عقبة الأزدي وكلاهما من أهل عمان وكتب إليه إنا بعثنا إليك اثني عشر رجلا وألفاً، ويعني بالألف بلج بن عقبة، انتهى كلام صاحب السير.

قال أبو الفرج في الأغاني إن عبد الله بن يحيى الكندي أحد بني عمرو بن معاوية كان من حضرموت وكان مجتهداً عابداً وكان يقول قبل أن يخرج لقيني رجل فأطال النظر إلي وقال ممن أنت فقلت من كندة، فقال من أيهم، فقلت من بني شيطان، قال والله

لتملكن ولتبلغن خيلك وادي القرى وذلك بعد أن تذهب إحدى عينيك ، فذهبت أتخوف ما قال وأستخير الله فرأيت باليمن جوراً ظاهراً وعسفاً شديداً وسيرة في النـاس قبيحة ، فقال لأصحابه ما يحل لنا المقام على ما نرى ولا يسعنا الصبر عليـه . وكتب إلى أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة الذي يقال له كودين . قلت : لم نعرف هذا اللقب له إنما المعروف بالقفاف ، قال وهو مولى بني تميم وكان ينزل في الأزد وإلى غيره من الاباضية بالبصرة يشاورهم في الخروج فكتبوا إليه إن استطعت أن لا تقيم يوماً واحداً فافعل ـ فإن المبادرة بالعمل الصالح أفضل ولست تدري متى يـأتي عليك أجلك ولله خيرة من عباده يبعثهم إذا شاء لنصرة دينه ويخص بالشهادة منهم من يشاء قال وشخص إليه أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي أحد بني سليمه وبلج بن عقبة السقوري قلت ولم نعرف السقوري إنما هو الفرهودي في رجال من الاباضيـــة فقدموا عليه حضرموت فحثوه على الخروج وأتوه بكتب أصحابه إذا خرجتم فلا تغلوا ولا تغدروا واقتدوا بسلفكم الصالحين وسيروا سيرتهم فقد علمتم أن الذي أخرجهم على السلطان العبث لأعمالهم فدعا أصحابـــه فبايعوه فقصدوا دار الإمارة وعلى حضرموت إبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي فأخذوه فحبسوه يوماً ـ ثم أطلقوه فأتى صنعـــاء وأقام عبدالله بن يحيى بحضرموت وكثر جمعـه وسموه ـ طالب الحق قلت زاد في شرح اللامية لما بعث أبو عبيدة أبا حمزة ومن معه أنشد من الرجز .

اذهب إلى الشارين يابا حمزة　　قاموا لرضوان مليك العزه
وشدد للقوم أزرهم　　أنت وإخوانك واتل أمرهم
حتى أتوا إمامهم فسلموا　　واستبشروا بالعرف لما قدموا

وقال ابن الأثير كان اسم أبي حمزة المختار بن عوف وكان أول أمره أنه كان من الخوارج الاباضية يوافي كل سنة يدعو الناس إلى خلاف مروان بن محمد فلم يزل كذلك حتى وافى عبد الله بن يحيى المعروف بطالب الحق في آخر سنة ثمان وعشرين ومائة فقال له يا رجل أسمع كلاماً حسناً وأراك تدعو إلى حق فانطلق معي فإني رجل مطاع في قومي فخرج حتى ورد حضرموت فبايعه أبو حمزة على الخلافة ودعا إلى خلاف مروان وآل مروان وكان أبو حمزة اجتاز مرة بمعدن بني سليم والعامل كثير بن عبد الله فسمع كلام أبي حمزة فجلده أربعين سوطاً فلما ملك أبو حمزة المدينة وافتتحها تغيّب كثير حتى كان من أمرهما ما كان قال أبو الفرج فكتب طالب الحق إلى ما كان من - أصحابه بصنعاء إني قادم إليكم ثم استخلف على حضرموت عبد الله بن سعيد الحضرمي وتوجه إلى صنعاء سنة تسع وعشرين ومائة في ألفين وبلغ القاسم بن عمر أخا يوسف بن عمر وهو عامل مروان بن محمد على صنعاء مسير عبد الله بن يحيى فاستخلف على صنعاء الضحاك بن زمل وخرج يريد الاباضية في سلاح ظاهر وعدة وجمع كثير قال شارح اللامية عدة أصحاب عبد الله بن يحيى

أربعة آلاف وأصحاب القويسم أو القاسم ثلاثون ألفاً قال أبو الفرج فعسكر على مسيرة يوم من أبين وخلف فيها الأثقال وتقدمت المقاتلة فلقيه عبد الله بن يحيى بلحج قرية من أبين قريبا من صنعاء وخندق فاقبل عبد الله فنزل جوين على ميلين من معسكر القاسم فوجه القاسم يزيد بن الفيض في ثلاثة آلاف من أهل الشام وأهل اليمن فكانت بينهم مناوشة ثم تحاجزوا فرجع يزيد إلى القاسم فاستأذنه في بياتهم فابى أن يأذن له فقال له يزيد والله إن لم تبيتهم ليغمنك فابى أن يأذن له وأقاموا يومين لا يلتقون فلما كان في الليلة الثالثة أقبل عبد الله بن يحيى فوافى مع طلوع الفجر فقاتلهم الناس على الخندق فغلبتهم الخوارج عليه ودخلوا عسكرهم والقاسم يصلي فركب وقاتلهم الصلت بن يوسف فقتل في المعركة وقام بأمر الناس يزيد بن الفيض - فقاتلهم حتى ارتفع النهار ثم انهزم أهل صنعاء وأراد أبرهة بن الصباح اتباعهم فمنعه عبد الله بن يحيى واتبع يزيد بن الفيض القاسم بن عمر فاخبره الخبر فقال القاسم:

ألا ليت شعري هل أذودن بالقنى	وبالهندوانيات قبل مماتي
وهل أصبحن الحارثين كليهما	بطعن وضرب يقطع اللهوات

قال ودخل عبد الله بن يحيى صنعاء فأخذ الضحاك بن زمل وإبراهيم بن جبلة بن مخرمة فحبسهما وجمع الخزاين والأموال

فأحرزها. قلت: وفي فقه الاباضية أنه فرّقها على الفقراء باعتبارهم ظالمين في أخذها وقد جهل أربابها المأخوذة منهم وكل مجهول ربه فمرجعه الفقراء قياساً على اللقطة والله أعلم.

قال شارح اللامية: لما ضبطوا حضرموت ساروا يريدون اليمن فأقبل إليهم القويسم من صنعاء حتى لقيهم بقرب أبين فوجد بها عمر بن السمان على السواقي فنزعوها من عنده فأخذوها فبايعهم عمر في أربعين فارساً ثم غدر بهم وهرب إلى القويسم فقرب بعضهم من بعض ونزل القويسم بالسرادقات يعني الأخبية والقراميط والادفان واللعب - ونزل المسلمون يقرأون المصاحف ويستفتحون الله وقد أضر بهم الحال فلما رأى أصحاب بن يحيى كثرة القوم فقال من ضعف منهم اهجم عليهم بالليل فإن كانت لنا أصبحنا وإن كانت علينا نجونا في سواد الليل فأبى ابن يحيى وأمر أن ينادى في الناس من لم يرد القتال فلينصرف في ليلته فانكشف الناس إلا ألفا وستمائة رجل وقد أمّر ابن يحيى على كل عشرة من أصحابه رجلا، ولم يزل من المسلمين تلك الليلة قوم لم يناموا بل يدعون الله حتى أصبحوا وصلى بعضهم ظهور الصبح وأمرهم ابن يحيى إذا رأوه أن يحملوا فاقتتلوا فهزمهم ابن يحيى وأصحابه وكان المسلمون هموا بالانهزام حتى أزيلوا عن مكانهم فنادى ابن يحيى في أصحابه وصوّت ببلج بن عقبة وبأبي عمارة وهو يومئذ ابن عشرين سنة أينما كنتما تعدانني وأصحابكما أتريدون

إلى الجنة أم إلى النار أم إلى الدنيا ، فوالله ما تمتعون إلا قليلا ، فحمل وحمل أصحابهما فقصدوا إلى لواء القويسم فقال ما لكم لا تحملون ، وقال إن اللقاء أهون من المصيبة ، وقال من سبق منكم إلى اللواء فليأخذه ، فحملوا فهزم الله عدو المسلمين وانهزم القويسم بعد أن قتل من أصحابه أربعمائة رجل . وقال أبو الفرج ثم أرسل إلى الضحاك وإبراهيم فأرسلهما وقال لهما حبستكما خوفاً عليكما من العامة وليس عليكما مكره فاقيما إن شئتما أو اشخصا ، فخرجا . وقال أبو الفرج فلما استولى عبد الله بن يحيى على اليمن خطب الناس فحمد الله جل وعز وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ووعظ وذكر وحذر ثم قال إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وإجابة من دعا إليهما الإسلام ديننا ومحمد نبينا والكعبة قبلتنا والقرآن إمامنا رضينا بالحلال حلالا لا نبغي به بديلا ولا نشتري به ثمناً قليلاً وحرمنا الحرام ونبذناه وراء ظهورنا ولا حول ولا قوة إلا بالله وإلى الله المشتكى وعليه المعول ، من زنا فهو كافر ومن سرق فهو كافر ومن شرب الخمر فهو كافر ومن شك في أنه كافر فهو كافر . قلت : ولم يثبت هذا في الخطب التي نقلها الاباضية عن طالب الحق وقائده المختار كما سيأتي ومعناها صحيح عندهم وهذا هو كفر النعمة الوارد في الكتاب العزيز ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين . وقوله تعالى ومن لم يحكم بما

أنزل الله فأولئك هم الكافرون . وهو عام لكل من لم يحكم بما أنزل الله وهو قادر ولكل من ترك الحج وهو مستطيع . وفي صحيح البخاري حديث امرأة ثابت بن قيس المختلعة التي قالت إني أخاف الكفر في الإسلام ، وحديث النساء يكفرن . وفي صحيح مسلم لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض . وفيه : اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب والنياحة على الميت . وفيه : أيما عبد أبق من مواليه فقد كفر حتى يرجع إليهم . وفي صحيح مسلم أيضاً : إذا كفّر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما . وفي رواية أخرى أيما رجل قال لأخيه كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه ، وفيه ليس من رجل ادعا لغير أبيه وبعلمه إلا كفر ومن ادعا ما ليس له فليس منا وليتبوأ مقعده من النار ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال عدوّ الله وليس كذلك إلا حاد عليه والأحاديث كثيرة هي الصحاح تثبت كفر مرتكبي الكبائر من هذه الأمة فلا معنى للانتقاد للقائل به ومعنى الشاك في كفره كأقرانه راد للأحاديث المتواترة انتهى ، وقال أبو الفرج ثم قال طالب الحق في خطبته ندعو إلى فرايض بينات وآيات محكمات وآثار مقتدى بها ونشهد أن الله صادق فيما وعد عدل فيما حكم وندعو إلى توحيد الرب واليقين بالوعيد والوعد وأداء الفرائض والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والولاية لأهل ولاية الله والعداوة لأهل عداوة الله أيها الناس إن من رحمة الله أن

جعل في كل فترة بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون على الألم في جنب الله تعالى يقتلون على الحق في سالف الدهور شهداء فما نسيهم ربهم وما كان ربك نسيا أوصيكم بتقوى الله وحسن القيام على ما وكلكم الله بالقيام بـــه فابلوا الله بلاء حسنا في أمره وذكره أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

قال وأقام عبد الله بن يحيى بصنعاء أشهرا يحسن السيرة فيهم ويلين جانبه لهم ويكف عن الناس . وأتته الشراة من كل جانب .

قال فلما كان وقت الحج وجه أبا حمزة المختار بن عوف وبلج ابن عقبة وأبرهة بن الصباح إلى مكة في تسعمائة وقيل بل في ألف ومائة وأمره أن يقيم بمكة إذا صدر الناس ويوجّه بلجا إلى الشام وأقبل المختار إلى مكه فقدمها يوم التروية وعليها عبد الواحد ابن سليمان بن عبد الملك وأمه بنت عبدالله بن خـــالد بن أسيد فكره قتالهم وقال في بيان الشرع ، قال أبو سفيان أخبرنا عيسى ابن أبي عمرو قال وأدركته وهو شيـخ كبير قال بعث مروان بن محمد إلى أبي الحرإذ كان بمكة فاخذه فشده في الحديـــد وأخذ رجلا من الرافضة يقال له أصفر فشده في الحديد ثم ساروا بهما إلى نحو مروان قال عيسى فخرجنا في أربعة عشر رجلا من المسلمين نتبعه قال فلما أقلنا أرسلنا إليه إنا نأتيك الليلة قال فقال لا تفعلوا مكة قريبة والطلب سريع قال فسايرناه على طريق الساحـــل

وغلامه يأتينا بخبره ويأتيه بخبرنا قال فما زلنا نطلب إليه نسأله أن يدعنا حتى نخلصه من أيديهم قال فكان يأبى علينا ذلك حتى جاوزنا المدينة بمراحل فأرسلنا إليه أن قد قربنا من الشام وقراها فدعنا نأتيهم الليلة فأبى فأرسلنا إليه أنا نأتيهم على كل حال فتباطأ في وضوئك حتى لا يعجلوا الرحيل ليقعدوا مقاعدنا قال ففعل قال فتقدمنا أمامهم فنزلنا عن رواحلنا وعقلناها بعيداً عن الطريق فحملنا فحتمنا عليه فلما دنونا منهم وثبنـــا في وجوههم بالتحكيم والسيوف مصلتة قلت معنى قوله بالتحكيم أي لا حكم إلا لله وهذه هي الكلمة التي أصبحت نافذه المفعول قولاً وفعلا وأقل ما فيها أغاظتهم بها قال فألقوا بأيديهم وقالوا الأمان قال فبادر رجل منا فأعطاهم الأمان فشق ذلك على أبي الحر فقال أمـــا إذا فعلتم ما فعلتم فلا تفتحوا منهم أحدا قال فأسرناهم وخرجنا بهـــم عن الطريق حتى أبعدناهم إلى الساحل فأعطيناهم العهد والميثاق ثم خلينا سبيلهم واحتملنا صاحبنا وفككنا عنـــه جامعته وفككنا عن الرافضي ثم أقبلنا حتى دخلنـا مكة ونحن مستخفون قال فلما بلغنا مرّ قلت بين مرّ ومكة خمسة أميال قال أرسلنا إلى أهلينا يأتوننا بالنفقة قال وركب أبو الحر وكان أيام الحج قالوا فخرجنا معه إلى منى ولم نحرم ثم انصرفنا إلى عرفة ونحن غير محرمين قال وكنا ننتظر إذ ذاك أبا حمزة قدم علينا قال فلما كان وقت الرواح إلى الموقف إذا نحن بنواصي خيل أبي حمزة قد طلعت قال فلما رآهم أبو الحر أمرنا أن نغتسل ونحرم قال ففعلنا وكشفنا الغطاء عن قبة أبي الحر ثم

خرجنا حتى دخلنا إليهم في عسكرهم ونظر أهل مكة إلى أبي الحر فانكروه فاقبلوا يقولون ما ترون وهذا أبو الحر قال وكان على الموسم رجل من بني مخزوم يقال له عبد الواحد قال فأرسل الخطباء إلى أبي حمزة من قريش وغيرهم قالوا فاتونا في جماعة قال فخرج إليهم أبو حمزة وعليه أنت أخضر وإزار متوزر به قلت ولم أعرف الأنت ولعله تصحيف قال وتنكب قوسه فتكلم اولئك الخطباء فعظموا حرمة الحج ويوم عرفة ما قدروا عليه واطنبوا في كلامهم قال فلما فرغوا من كلامهم تكلم أبو حمزة فحمد الله وأثنى عليه وقال أماماذكرتم من تعظيم هذا اليوم فإنكم لم تبلغوا إلى ذلك ، ثم ذكر جور بني أمية وما هم فيه من الفسق والظلم قال فأفحم القوم وسمعوا كلاماً لا يعرفونه قال فرجعوا إلى عبد الواحد فاعلموه جميعاً الرجل وما قدرنا نجيبه قال فارجعوا إليه فاسألوه الموادعة هذه الأيام على أن لا نعرض له ولا يعرض لنا قال فرجعوا لنا قال فاعطاهم ذلك أبو حمزة قال فوقفنا مع الناس ، ثم أفضنا إلى جمع ثم إلى منى فنزلنا في مؤخر منى في عسكرنا وكانت هلبية المهلبية إذ ذاك قد حضرت الموسم وكانت من خيار المسلمات وفضلائهن وهي أم سعيدة فعالجت لهم طعاما فبعثت مع أُبي واقد وابنه وقد كانا فاضلين فأخذهما الحرس فقالوا ما معكم من السلاح ففتشوا فلم يجدوا سلاحاً قال وكان طعاماً كثيراً قال وحبسوهما قال فلما أصبح أُرسل إلى الوالي أنه قد كان النقض من

قبلك فإن شئت ناقضناك وإن شئت فف بعهدك قال فأرسلها قال وأتم العهد حتى فرغ الناس من مناسكها وصاروا إلى مكة قال فخرج عبد الواحد وخلّى مكة قال أبو سفيان وكان بلج بن عقبة ياتي يرمي الجمار في الخيل والسلاح قال فكان أبو حمزة يقول له رحمك الله ما يدعوك إلى هذا لو جئت متنكراً حتى ترمي قال وكان يقول لا والله لا أفعل لا آمن غدرهم بنا ونقضهم فإن فعلوا كنا قد استعددنا لهم وكان فاضلاً حبراً شجاعاً رحمه الله قال فقام أبو حمزة في ذي طوى وكان يرحل فيجمع ثم يرجع إلى ذي طوى قال واجتمع إليه من نواحي مكة رجال من خزاعة مسلمون في نحو أربعمائة رجل قال ثم خرج إلى المدينة فخرجوا إليه فبلغوه بقديد قال وكان فيما يراجعهم بالكلام فيقول إنا ندعوكم إلى الله وإلى كتابه فإلى مَ تدعونا قالوا ندعوك إلى طاعة مروان فيا سبحان الله ندعوكم إلى الله وتدعونا إلى طاعة مروان فاقتتلوا فقتل منهم نحو من أربعة آلاف قال وأصيب مع أبي حمزة يوم مكة أبو عمرو وابنه وكانا من أفاضل المسلمين انتهى وحفظت أن أبا حمزة جبا مكة عقالين وقال في شرح اللامية فلقيهم أبوحمزة بقديد في ثمانية آلاف فهزمهم وقتل أميرهم مع ألفين ومائة وخمسين رجلاً وتوجه إلى المدينة وعلى مقدمته بلج بن عقبة الفرهودي فدخلها وخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أيها الناس إنا نخيركم في ثلاث خلال أيما شئتم فخذوا لأنفسكم

رحم الله امرأ أخذ الخيار لنفسه إما قابل لقولنا وداين بالذي قلنا وحملته نيته على أن يجاهد معنا بنفسه فيكون له من الأجر ما للمجاهد منا ومن قسم هذا الفيء ما لأفضلنا وعارف بهذا الأمر مقيم في داره يدعو إليه بقلبه ولسانه فعسى أن يكون أحسن منزلة منا وثالث كره قولنا آمناً على أهله وماله ويكف عنا يده ولسانه فإن ظفرنا ولم يعرض نفسه لم نسفك دمه وإن نحن قتلنا كان قد كفى مؤنتنا وعسى أن يعمر في كفره إلا قليلاً ثم وجه بلج بن عقبة الأزدي وأبرهة بن الصباح الحضرمي إلى الشام في ستماية وقال بعض في سبعمائة وقال لا تنتهي أو نربط خيلنا بالزيتون فلقيهم رسول مروان بن محمد واسمه عبد الملك بن عطية في اثني عشر ألفاً فيهم أربعة آلاف فارس فالتقوا بوادي القرى فهزمهم بلج بن عقبة فصاح ابن عطية بأصحابه يا أهل الشام يا أهل الحفاظ فعطفوا على بلج وأبرهة فقتل بلج ومن شاء الله من أصحابه ونجا منهم قوم فلحقوا بأبي حمزة فتأخر أبو حمزة في مكة فوافى عدو الله عبد الملك بن عطية إلى مكة وقاتلهم أبو حمزة بعد الاحتجاج فقتل هو وأبرهة وأبو الحر ومن شاء الله من أصحابهم وانهزموا وبلغنا أن أبرهة كان يرتجز ويقول:

أنا الغلام الحضرمي الشاري مهذب لا يصطلى بناري
جوركم جنبني قراري وجاء بي من وطني وداري
حب جلاد القوم في الصحارى

ثم توجه عبد الملك بن عطية إلى اليمن يريد عبدالله بن يحيى فقاتلهم

وناشدهم أصحابه أن لا يخبروا به خوفاً أن يوجه به أسيراً وأقبل يصادمهم ويقول شعراً :

احمل رأساً قد مللت حمله   وقد كرهت دهنه وغسله
هل من فتى يحمل عني ثقله   إن الشقي من تولى قتله

وقاتل حتى قتل وقال أبو الفرج في كتاب الأغاني وذكر ما حكاه ابن الأثير من جلد كثير والى المعدن لأبي حمزة عام ثمانية وعشرين قال فلما كان في العام المقبل تمام تسعة وعشرين ومائة لم يعلم الناس بعرفة إلا وقد طلعت أعلام عمائم سود حرمية في رؤوس الرماح وهم سبعمائة هذا وذكر المدايني أنهم كانوا تسعمائة أو ألفا ومائة ففزع الناس حين رأوهم وقالوا لهم مالكم وما حالكم فأخبروهم بخلافهم مروان وآل مروان والتبري منهم فراسلهم عبد الواحد بن سليمان وهو يومئذ على المدينة ومكة والموسم ودعاهم إلى الهدنة فقالوا نحن بحجنا أضن وعليه أشح فصالحهم على أنهم جميعاً آمنون بعضهم من بعض حتى ينفر الناس النفر الأخير وأصبحوا فوقفوا على حدة بعرفة ودفع عبد الواحد بالناس فلما كانوا بمنى قالوا لعبد الواحد إنك قد أخطأت فيهم ولو حملت عليهم الحاج ما كانوا إلا أكلة رأس فنزل أبو حمزة بقرن الثعالب من منى ونزل عبد الواحد منزل السلطان فبعث عبد الواحد إلى أبي حمزة عبد الله بن حسن بن علي ومحمد

ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر وعبيد الله بن عمر بن حفص العمري وربيعة بن عبد الرحمن في رجال من أمثالهم فلما دنوا من قرن الثعالب لقيتهم مصالح أبي حمزة فاخذوهم فدخل بهم على أبي حمزة فوجدوه جالسا فقالوا بعثنا الأمير برسالة وهذا ربيعة يخبركها فلما ذكر ربيعة نقض العهد قال بلج وإبراهيم وكانا قائدين له الساعة فأقبل عليهما أبو حمزة وقال معاذ الله أن ننقض العهد أو نخيس به والله لا أفعل ولو قطعت رقبتي هذه ولكن تنقضي هذه الهدنة بيننا وبينكم فلما أبى عليهم خرجوا فأبلغوا عبد الواحد فلما كان النفر الأول نفر عبد الواحد وخلى مكة لأبي حمزة فدخلها بغير قتال وأنشد لشاعر لم نحفل به :

زار الحجيج عصابة قد حالفوا ... دين الإله ففر عبد الواحد
ترك الإمارة والحلايل هاربا ... ومضى يخبط كالبعير الشارد
لو كان والده تخير أمه ... لصفت خلايقه بعرق الوارد

ثم مضى عبد الواحد حتى دخل المدينة فدعا بالديوان وضرب على الناس البعث وزادهم في العطاء عشرة عشرة قال واستعمل عبد الواحد عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان على الناس فخرجوا فلما كان بالحرة لقيتهم جزر منحورة فمضوا فلما كانوا بالعقيق تعلق لواؤهم بسمرة فانكسر الرمح وتشاءم الناس بالخروج

ثم ساروا حتى نزلوا قديدا فنزلوها ليلا وكانت قرية قديد من ناحية القصر والمنبر اليوم وكانت الحياض هناك فنزل قوم مغترون ليسوا بأصحاب حرب فلم يرعهم إلا القوم قد خرجوا عليهم من الفصل فزعم بعض الناس أن خزاعة دلت أبا حمزة على عورتهم وأدخلوهم عليهم فقتلوهم وكانت المقتلة على قريش وهم كانوا أكثر الناس وبهم وكانت الشوكة فأصيب منهم عدد كثير قال ثم ورد فلال الجيش المدينة وبكى الناس قتلاهم فكانت المرأة تقيم على حميمها النواح فلا تزال المرأة يأتيها الخبر بقتل حميمها فتنصرف حتى ما يبقى عندها امرأة فانشدني أبو حمزة هذه الأبيات في قتلى قديد الذين أصيبوا من قومه لبعض أُصحابهم:

يا لهف نفسي ولهف غير نافعة على فوارس بالبطحاء أمجاد
عمرو وعمرو وعبدالله بينهما وابناهما خامس والحارث السادي

قال وكتب عبد الواحد إلى مروان يعتذر من إخراجه عن مكة فكتب مروان إلى عبدالعزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو عامله على المدينة يامره بتوجيه الجيش إلى مكة فوجه ثمانية آلاف رجل من قريش والأنصار والتجار أغبياء لا علم لهم بالحرب فخرجوا في المصبغات والثياب الناعمة واللهو لا يظنون ان الخوارج شوكة ولا يشكون أنهم في أيديهم وقال رجل من قريش لو شاء أهل الطائف لكفونا أمر هؤلاء ولكنهم داهنوا في أمر

الله تعالى والله إن ظفرنا لنسيرن إلى أهل الطائف فلنسبينهم ثم قال من يشتري مني سبى أهل الطائف فلما انهزم الناس رجع ذلك الرجل القايل من يشتري مني سبي أهل الطائف في أول المنهزمين فدخل منزله وأراد أن يقول لجاريته اغلقي الباب فقال لها غاق باق ولم تفهم الجارية قوله حتى أوما اليها بيده فأغلقت الباب فلقبه أهل المدينة بعد ذلك غاق باق قال ولما بلغ أبا حمزة إقبال أهل المدينة إليه استخلف على مكة إبراهيم بن الصباح وشخص إليهم وعلى مقدمته بلج بن عقبة فلما كان في الليلة التي وافاهم في صبيحتها وأهـل المدينة نزول بقديد قال لأصحابه إنكم لاقولنا قومكم غداً وأميرهم فيما بلغني عثمان أول من خالف سيرة الخلفاء وبدل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وضح الصبح لذي عينين فأكثروا ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ووطنوا أنفسكم على الصبر وصبحهم غداة الخميس لتسع أو لسبع خلون من صفر سنة ثلاثين ومابة فقال عبد العزيز لغلامه ابغنا علفاً قال هو غال قال ويحـك البواكي علينا غداً أغـلى وأرسل اليهم أبو حمزة بلج بن عقبة ليدعوهم فأتاهم في ثلاثين راكباً فذكرهم الله وسالهم أن يكفوا عنهم وقالوا لهم خلوا لنا سبيلنا لنسير إلى من ظلمكم وجار في الحكم عليكم ولا تجعلوا حدنا بكم فإنا لا نريد قتالكم فشتمهم أهـل المدينة وقالوا يا أعـداء الله أنحن نخليكم وندعكم تفسدون في الأرض فقالت الخوارج يا أعداء الله أنحن نفسد في الأرض إنما خرجنا لنكف أهل الفساد ونقاتل من قاتلنا واستأثر بالفيىء فانظروا

لأنفسكم واخلعوا من لم يجعل الله له طاعة فإنه لا طاعة لمن عصى الله وادخلوا في السلم وعاونوا أهل الحق وقال له عبدالعزيز ما تقول في عثمان قال برئ المسلمون منه قبلي وأنا متبع آثارهم ومقتد بهم قال فارجع إلى أصحابك فليس بيننا وبينهم إلا السيف فرجع إلى أبي حمزة فأخبره فقال كفوا عنهم ولا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم بالقتال فواقفوهم ولم يقاتلوهم فرمى رجل من أهل المدينة في عسكر أبي حمزة بسهم فجرح رجلا فقال أبو حمزة شأنكم الآن فقد حل قتالهم فحملوا عليهم وثبت بعضهم لبعض وراية قريش مع ابراهيم بن عبدالله بن مطيع ثم انكشف أهل المدينة فلم يتبعوهم وكان على مجنبتهم ضمير بن صخر بن أبي الجهم بن حذيفة فكر وكر الناس معه فقاتلوا قليلاً ثم انهزموا فلم يعدوا حتى كروا ثالثة وقاتلهم أبو حمزة فهزمهم هزيمة لم تبق منهم باقية فقال له علي بن الحصين اتبع القوم أو دعني أتبعهم فأقتل المدبر وأذفف على الجريح فإن هؤلاء أشر علينا من أهل الشام فلو قد جاءوك غداً لرأيت من هؤلاء ما تكره فقال لا أفعل ولا أخالف سيرة أسلافنا وأخذ جماعة منهم أسرى فأرادوا إطلاقهم فمنعه علي بن الحصين وقال له إن لأهل كل زمان سيرة وهؤلاء لم يؤسروا وهم هراب وإنما أسروا وهم يقاتلون ولو قتلوا في ذلك الوقت لم يحرم قتلهم وكذلك الآن قتلهم حلال وذكر أنه قتل بعضاً وأطلق بعضاً قال وبلغت قتلى قديد ألفين ومايتين وثلاثين

رجلاً أربعماية وخمسون من قريش وثمانون من الأنصار والباقي من القبايل والموالي وقالت نائحة تبكيهم :

ما للزمان وما ليه — أفنت قديد رجاليه
فلا بكين سريرة — ولأ بكين علانيــة
ولأ بكين إذا خلوت — مع الكـلاب العاوية
ولأثنين على قديد — بسوء مــا أبلانيه

وقال عمرو بن الحصين الكوفي مولى تميم يمدح الشراة :

ما بال همك ليس عنك بعازب — يمرى سوابق دمعك المتساكب
وتبيت تكتلئ النجوم بمقلة — عبرى تسر بكل نجم دائب
حذر المنية أن تجيء بداهــة — لم أقض من تبع الشراة مآربي
فأقود فيها للعدا شبح النسا — عبر الشوى أسوان ضمر الحالب
متحدراً كالسيد أخلص لونـه — ماء الحسيك مع الجلال اللاتب
أرمى به من جمع قومي معشرا — بورا إلى جبرّية ومعــايب
في فتية صبراً لفهموا بـــه — لف القداح يد المفيض الضارب
فندور نحن وهم وفـــيما بيننا — كأس المنون تقول هل من شارب
فنظل نسقيهم ونشرب من قضى — سمر ومرهفة النصول قواضب
بينا كذلك نحن جالت طعنة — نجلاء بين رهـا وبين ترايب
جوفـاء منهرة ترى تامورهـا — ضبتا سنان كالشهاب الثاقب

اهوى لها شق الشمال كأنني ... خفض لقى تحت العجاج العاصب
يا رب اوحيها ولا تتعلقن ... نفسي المنون لدى أكف قرايب
كم من أولى مقت صحبتهم شروا ... فخذلتهم ولبئس فعل الصاحب
متاوهين كان في أجوافهم ... نارا تسعرها أكف حواطب
تلقاهم فتراهم من راكع ... أو ساجد متضرع أو ناحب
يتلو قوارع تمترى عبراته ... فيجودها مرى المرىء الحالب
سير لجايفة الأمور أطبة ... للصدع للنبأ الجليل مدائب
ومبرأين من المعايب أحرزوا ... خصل المكارم أتقياء أطايب
عدوا صوارم للجلاد وباشروا ... حد الظباء بآنف وحواجب
ناطوا أمورهم بأمراخ لهم ... فرمى بهم قحم الطريق اللاحب
متسربلي حلق الحديد كانهم ... أسد على لحق البطون سلاهب
قيدت من اعلى حضرموت فلم تزل ... تنفي عداها جانبا عن جانب
تحمي أعنتها وتحوي نهبها ... لله أكرم فتية وأشايب
حتى وردن حياض مكة قطنا ... يحكين واردة اليام القارب
ما إن أتين على أخي جبرية ... إلا تركنهم كامس الذاهب
في كل معترك لها من هامهم ... فلق وأيد علقت بمناكب
سايل بيوم قديد عن وقعاتها ... تخبرك عن وقعاتها بعجايب

قال ثم دخل أبو حمزة المدينة سنة ثلاثين وماية ومضى عبد الواحد بن سليمان إلى الشام فرقى أبو حمزه المنبر فحمد الله وأثنى

عليه وقال يا أهل المدينة سألناكم عن ولاتكم هـؤلاء وأسأتم لعمر الله فيهم القول وسألناكم هل يقتلون بالظن فقلتم نعم وسألناكم هل يستحلون المال الحرام والفرج الحرام فقلتم نعم فقلنا لكم تعالوا نحن وأنتم فنناشدهم الله أن يتنحوا عنا وعنكم ليختار المسلمون لأنفسهم فقلتم لا تفعلون فقلنا لكم تعالوا نحن وأنتم نلقاهم فإن نظهر نحن وأنتم نأت بمن يقيم فينا كتاب الله وسنة نبيه وإن نظفر نعدل في أحكامكم ونحملكم على سنة نبيكم ونقسم فيئكم بينكم فإن أبيتم وقاتلتمونا دونهم فقاتلناكم فأبعدكم الله وأسحقكم يا أهل المدينة مررت بكم في أزمان الأحول هشام بن عبد الملك وقد أصابتكم عاهة في ثماركم فركبتم إليه تسألونه أن يضع خراجكم عنكم فكتب بوضعها عنكم فزاد الغني غنى وزاد الفقير فقرا فقلتم جزاكم الله خيراً فلا جزاه الله خيراً ولا جزاكم وقال أيضاً في الأغاني إن أبا حمزة خطب بهذه الخطبة في المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال أتعلمون يا أهل المدينة أنا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشرا ولا بطراً ولا عبثاً ولا لهواً ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه ولا ثار قديم نيل منا ولكنا لما رأينا مصابيح الحق قد عطلت وعنف القايل بالحق وقتل القايم بالقسط ضاقت علينا الأرض بما رحبت وسمعنا داعياً يدعو إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن فأجبنا داعي الله ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض فأقبلنا من قبايل شتى النفر منا على بعير واحد عليه زادهم وأنفسهم يتعاورون لحافاً واحداً قليلون مستضعفون في الأرض فآوانا الله

وأيدنا بنصره وأصبحنا والله بنعمته إخواناً ثم لقينـــا رجالكم بقديد فدعوناهم إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن ودعونا إلى طاعة الشيطان وحكم مروان وآل مروان وشتان لعمر الله ما بين الغي والرشد ثم أقبلوا يهرعون ويزفون وقد ضرب الشيطان فيهم بجرانـــه وغلت بدمائهم مراجله وصـــدق عليهم ظنه وأقبل أنصار الله عصايب وكتايب بكل مهند ذي رونق فدارت رحانا واستدارت رحاهم بضرب يرتاب منه المبطلون وأنتم يا أهل المدينة إن تنصروا مروان وآل مروان يسحتكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ويشف صدور قوم مؤمنين يا أهل المدينة إن أولكم خير أول وآخركم شر آخر يا أهل المدينه الناس منا ـ ونحن منهم إلا مشركاً عابد وثن أو كافراً من أهل الكتاب أو اماماً جايراً يا أهل المدينة من زعم أن الله تعالى كلف نفساً فوق طاقتها أو سالها عما لم يؤتهـا فهو لله عدوولنا حرب يا أهل المدينة أخبروني عن ثمانية أسهم فرضها الله تعالى في كتابه على القوي على حبه للضعيف فجاء التاسع وليس له منها ولا سهم واحد فأخذ جميعها لنفسه مكابراً محارباً لربه ما تقولون فيه وفيمن عاونه على فعله يا أهل المدينة بلغني أنكم تنتقصون أصحابي قلتم هم شباب أحداث وأعراب حفـــاة ويحكم يا أهل المدينة وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شباباً أحداثاً شباباً والله مكتهلون في شبابهم غضيضة عن الشر أعينهم ثقيلة عن الباطل أقدامهم قد باعوا أنفسا تموت غـــداً بأنفس لا تموت أبداً قد خلطوا كلالهم بكلالهم وقيام ليلهم بصيام

نهارهم منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن كلما مروا بآية خوف شهقوا خوفاً من النار وإذا مروا بآية شوق شهقوا شوقاً إلى الجنة فلما نظروا إلى السيوف قد انتضيت وإلى الرماح قد أشرعت وإلى السهام قد فوقت وأرعدت الكتيبة بصواعق الموت استخفوا وعيد الكتيبة عند وعيد الله ولم يستخفوا وعيد الله عند وعيد الكتيبة فطوبى لهم وحسن مآب فكم من عين في منقار طاير طالما بكى صاحبها من خشية الله وكم من يد قد أبينت عن ساعدها طالما اعتمد عليها صاحبها راكعاً وساجداً أقول قولي هذا واستغفر الله من تقصيرنا وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب. وقال أيضاً صاحب الأغاني عن أبي علقمة سمعت أبا حمزة يخطب بالمدينة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل المدينة مالي رأيت رسم الدين فيكم باقياً وآثاره دارسة لا تقبلون عليه عظة ولا تفقهون من أهله حجة قد بليت فيكم جدته وانطمست عنكم سنته ترون معروفه منكراً والمنكر من غيره معروفاً إذا انكشفت لكم العبر وأوضحت لكم النذر وعميت عنها أبصاركم وصمت عنها أسماعكم ساهين في غمرة لاهين في غفلة تنبسط قلوبكم للباطل إذا نشر وتنقبض عن الحق إذا ذكر مستوحشة من العلم مستأنسة بالجهل كلما وقعت عليها موعظة زادتها عن الحق نفوراً تحملون منها في صدوركم كالحجارة أو أشد قسوة من الحجارة ولم تلن لكتاب الله الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله يا أهل

المدينة ما تغني عنكم صحة أبدانكم إذا سقمت قلوبكم إن الله قد جعل لكل شيء غالباً يقاد له ويطيع أمره وجعل القلوب غالبة فإذا مالت القلوب ميلاً كانت الأبدان لها بتعاون القلوب لا تلين لأهلها إلا بصحتها ولا يصححها إلا المعرفة بالله وقوة النية ونفاذ البصيرة ولو أستشعرت تقوى الله قلوبكم لاستعملت بطاعة الله أبدانكم يا أهل المدينة داركم دار الهجرة ومثوى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نبت به داره وضاق به قراره وآذاه الأعداء وتجهمت له فنقله إلى قوم لعمري لم يكونوا أمثالكم متوازرين مع الحق على الباطل ومختارين للآجل على العاجل يصبرون للضراء رجاء ثوابها نصروا الله وجاهدوا في سبيله وآووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه وآثروا الله على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة قال الله تعالى لأمثالهم ولمن يهتدي بهداهم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وأنتم أبناءهم ومن بقى من خلفهم تتركون أن تقتدوا بهم وتأخذوا بسنتهم عمى القلوب صم الآذان اتبعتم الهوى فارداكم عن الهدى وأسهاكم فلا مواعظ القرآن تزجركم فتزدجروا ولا تعظكم فتعتبروا ولا توقظكم فتستيقظوا لبئس الخلف أنتم من قوم مضوا قبلكم ما سرتم بسيرتهم ولا حفظتم وصيتهم ولا احتذيتم مثالهم لو شقت عنهم قبورهم فعرضت عليهم أعمالكم لعجبوا كيف صرف الله العذاب عنكم قال وروى أيضاً أن أباحمزة بلغه أن أهل المدينة يعيبون أصحابه لحداثة أسنانهم وخفة أحلامهم فبلغه ذلك عنهم فصعد

المنبر وعليه كساء غليظ وهو متنكب قوساً عربيـــة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم وآله ، ثم قال يا أهل المدينة قد بلغتني مقالتـكم في أصحابي ولولا معرفتي بضعف رأيكم وقلة عقولـكم لأحسنت آدابكم ويحكم إن رسول الله ﷺ أنزل عليه الكتاب وبيّـن له فيه السنن وشرع له فيه الشرايع وبين له فيه ما يأتي ويذر فلم يكن يتقدم إلا بأمر الله ولا يحجم إلا عن أمر الله حتى قبضه الله اليه صلى الله عليه وسلم وقد أدى الذي عليه لم يدعكم من أمركم في شبهة ثم من بعـــده أبو بكر فاخذ بسننه وقاتل أهل الردة وشمر في أمر الله حتى قبضه الله إليـــه والأمة عنه راضون رحمة الله عليـــه ومغفرته ثم ولي بعده عمر فأخذ بسنة صاحبيه وجنّـد الأجناد ومصر الأمصار وجبي الفيىء فقسمه بين أهله وشمر عن ساقه وحسر عن ذراعه وضرب في الخمر ثمانين وقام في شهر رمضان وغزا العدو في بلادهم وفتح المداين والحصون حتى قبضه الله إليه والأمة عنه راضون رحمة الله عليه ورضوانه ومغفرته ثم ولى من بعده عثمان بن عفان فعمل في ست سنين بسنة صاحبيه ثم أحدث أحداثا أبطل آخر منهـــا أولا واضطرب حبل الدين بعدها فطلبهـــا كل أمراء لنفسه وأسر كل رجل منهم سريرة أبداها الله عنه حتى مضوا على ذلـــك قلت فليتدبر المنصف في هذا الكلام هل هو أقبح من قول جبلة بن عمرو الساعدي الذي سبق ذكره عن ابن الأثير والطبري أم أشد من قول عـــلي ومن معه من الصحابـــة حيث بأشروه بوجوه

استحلالهم قتله وكل هذا صحيح بإجماع المؤرخين فكيف يحل لأولئك القول بالحق وبجرم علي من بعدهم قال ثم ولى علي بن أبي طالب فلم يبلغ من الحق قصدا ولم يرفع له منارا ومضى قلت وكذلك ينظر المنصف في قوله هذا وقنوت علي ومعاوية في صلاتها كل واحد يلعن الاخر ، وما أجمع عليه المؤرخون من لزوم معاوية وبني أمية لعن على خاتمة كل خطبة جمعة قال ولي معاوية بن أبي سفيان لعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن لعينه وجلف من الأعراب وبقية من الأحزاب مؤلف طليق فسفك الدم الحرام واتخذ عباد الله خولا ومال الله دولا وبغى دينه عوجا ودغلا وأحل الفرج الحرام وعمل بما يشتهيه قلت قال في العقد الفريد ولما دخل معاوية مكة أراد أن يلعن علياً على المنبر فانكر ذلك سعد بن أبي وقاص ولما مات سعد لعنه على المنبر وكتب إلى عماله أن يلعنوه وهو الذي قتل حجر بن عدى وروى ابن الأثير وغيره من الثقات عن الحسن البصري قال أربع خصال كن في معاوية لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة انتزاءه على هذه الأمة بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة واستخلافه بعده ابنه سكّيراً خميراً يلبس الحرير بالطنابير وادعاؤه زيادا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وللعاهر الحجر وقتله حجرا وأصحاب حجر فيا ويلا له من حجر ويا ويلا له من حجر وأصحابه فبالله أَقَولُ الحسن أقبح أم قول أبي حمزة وبالله أقول معاوية وأتباعه أقبح

أم قول أبي حمزة وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن وثبت أنه الفئة الباغية التي قتلت عمارا كما في البخاري وغيره وجعله النبي صلى الله عليه وسلم من المؤلّفة يوم هوازن وأنه من الذين أسلموا يوم الفتح فصيّرهم النبي صلى الله عليه وسلم من الطلقاء وأنـــه جاء يقود بأبيه فلما رآهما رسول الله صلى الله عليـه وسلم لعنهما وصارحه بشيء من هذا أبو قتادة الأنصاري والإمام علي كما في ابن الأثير والطبري وغيرهما فأبو حمزة متبـع .

وقال صاحب الأغاني يحكي خطبة أبي حمزة ثم ولى بعده ابنه يزيد ، يزيد الخمور يزيد الصقور يزيد الفهود يزيد الصيود ويزيد القرود فخالف القرآن واتبـع الكهان ونادم القرد وعمل بما يشتهيه حتى مضى على ذلك لعنه الله . قال ثم ولى مروان بن الحكم طريد ولعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وابن لعينـــه فاسق في بطنه وفرجه فالعنوه والعنوا آباءه ثم تداولها بنـــو مروان بعده أهل بيت اللعنة طرداء رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وقوم من الطلقاء ليسوا من المهاجرين والأنصار ولا التابعين بإحسان فأكلوا مال الله أكلا ولعبوا بدين الله لعبا واتخذوا عبـــاد الله عبيدا ويورث ذلك الأكبر منهم الأصغر ، فيا لها أمة ما أضيعها وأضعفها والحمد لله رب العالمين ثم مضوا على ذلك من أعمـــالهم واستخفافهم بكتاب الله تعالى وقد نبذوه وراء ظهورهم لعنهم الله فالعنوهم كما يستحقون . قلت : وأذكر قتل عبد الله بن الزبير وقتل

سعيد بن جبير وقتل عدد من المهاجرين والأنصار على يد عبدالملك والحجاج واليه وما يصنعه الوليد ويزيد مما أجمع على صحته المؤرخون ، وانظر أيها أقبح قول أبي حمزة وفعله أم قول أولئك وأفعالهم ، أم ترى أن قتل الحسين بن علي هين عند الله ومعاوية هو الذي استخلف يزيد قاتل الحسين كما أنه هو الذي قتل الحسن بالسم .

قال وقد ولي منهم عمر بن عبد العزيز فبلغ ولم يكد وعجز عن الذي أظهره حتى مضى لسبيله ولم يذكره بخير ولا بشر . قلت : ذكر في تواريخ الاباضية أن وفداً دخل عليه منهم في زمان أبي عبيدة مسلم فوعدهم بنشر العدل وإظهار براءتهم ولكنه خاف المعاجلة من قومه وأنه لما مات ابنه عبد الملك وكان على رأيهم هم الذين تولوا تجهيزه وخرجوا عنه لاثمين له لكن إمامهم أبا عبيدة قال ليت القوم قبلوا منه . وقال نور الدين السالمي وأقول ليت القوم قبلوا منه . قال ثم ولي يزيد بن عبد الملك غلام ضعيف سفيه غير مأمون على شيء من أمور المسلمين لم يبلغ أشده ولم يؤانس رشده وقد قال الله عز وجل فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا اليهم أموالهم ، فامر أمة محمد في أحكامها وفروجها ودمائها أعظم من ذلك كله وإن كان ذلك عند الله عظيما مأبون في بطنه وفرجه يشرب الحرام ويأكل الحرام ويلبس الحرام يلبس بردتين قد حيكتا له وقومتا على أهلها بألف دينار وأكثر وأقل قد أخذت

من غير حلها وصرفت في غير وجهها بعد أن ضربت فيها الأبشار وحلقت فيها الأشعار واستحل ما لم يحل الله لعبد صالح ولا لنبي مرسل ثم يجلس حبابة وسلامة عن شماله تغنيانه بمزامر الشيطان ويشرب الخمر الصراح المحرمة نصاً بعينها حتى إذا أخذت مأخذها فيه وخالطت روحه ولحمه ودمه وغلبت سورتها على عقله مزق حلتيه ثم التفت إليهما فقال أتأذنان لي أن أطير نعم فطر إلى النار إلى لعنة الله حيث لا يردك الله ثم ذكر بني أمية وأعمالهم وسيرهم فقال أصابوا إمرة ضائعة وقوماً طغاماً جهالاً لا يقومون لله بحق ولا يفرقون بين الضلالة والهدى ويرون أن بني أمية أرباب لهم فملكوا الأمر وتسلطوا فيه تسلط ربوبية بطشهم بطش الجبابرة يحكمون بالهوى ويقتلون على الغضب ويأخذون بالظن ويعطلون الحدود بالشفاعات ويؤمنون الخونة ويقصون ذوي الأمانة ويأخذون الصدقة على غير فرضها ويضعونها في غير موضعها ، فتلك الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله فالعنوهم لعنهم الله . قلت : وردت أحاديث في لعن أشخاص بأعيانهم فمن ذلك ما رواه أبو داود عن أنس من ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله المتتابعة إلى يوم القيامة ، ومنها لعن الراشي والمرتشي ولعن الله الخامشة وجهها ولعن الله الخمر وشاربها وساقيها وذكر كثيراً في الجامع الصغير قال وأما إخواننا من هذه الشيعة فليسوا بإخواننا في الدين لكن سمعت الله عز وجل قال في كتابه إنا

خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا شيعة ظاهرت بكتاب الله وأعلنت الفرية على الله لا يرجعون إلى نظر نافذ في القرآن ولا عقل بالغ في الفقه ولا تفتيش عن حقيقة الصواب قد قلدوا أمرهم أهواءهم وجعلوا دينهم عصبية لحزب لزموه وأطاعوه في جميع ما يقوله لهم غياً كان أو رشداً أو ضلالة أو هدى ينتظرون الدول في رجعة الموتى ويؤمنون بالبعث قبل الساعة ويدّعون علم الغيب لمخلوق لا يعلم أحدهم ما في داخل بيته بل لا يعلم ما ينطوي عليه ثوبه أو يحويه جسمه ينقمون المعاصي على أهلها ويعملون إذا ظهروا بها ولا يعرفون المخرج منها جفاة في الدين قليلة عقولهم قد قلدوا أهل بيت من العرب دينهم وزعموا أن موالاتهم لهم تغنيهم عن الأعمال الصالحة وتنجيهم من عقاب الأعمال السيئة، قاتلهم الله أنى يوفكون، فأي هؤلاء الفرق يا أهل المدينة تتبعون وبأي مذاهبهم تقتدون، وقد بلغني مقالتكم في أصحابي وما عبتموه من حداثة أسنانهم، ويحكم وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله المذكورون في الخير إلا أحداثا شبابا والله مكتهلون في شبابهم غضيضة عن الشر أعينهم ثقيلة عن الباطل أرجلهم أنضاء عبادة قد نظر الله إليهم في جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن كلما مر أحدهم بآية من ذكر الله بكى شوقاً وكلما مر بآية من ذكر الله شهق خوفاً كأن زفير جهنم بين أذنيه قد أكلت الأرض جباههم وركبهم وصلوا

كلال الليل بكلال النهار مصفرّة ألوانهم ناحلة أجسامهم من طول القيام وكثرة الصيام أنضاء عبادة موفون بعهد الله منتجزون لوعد الله قد شروا أنفسهم حتى إذا التقت الكتيبتان وأبرقت سيوفها وفوقت سهامها وأشرعت رماحها لقوا شبا الأسنة وشائك السهام وظباء السيوف بنحورهم ووجوههم وصدورهم فمضى الشاب منهم حتىْ اختلفت رجلاه على عنق فرسه واختضبت محاسن وجهه بالدماء وعفر جبينه بالثرى وانحطت عليه الطير من السماء وتمزقته سباع الأرض ، فكم من عين في منقار طائر طالما بكى بها صاحبها في جوف الليل من خوف الله ، وكم من وجه رقيق وجبين عتيق قد فلق بعمد الحديد ثم بكى وقال آه آه على فراق الإخوان رحمه الله على تلك الأبدان وأدخل الله أرواحهم الجنان .

وفي العقد الفريد من رواية الإمام مالك بن أنس قال خطبنا أبو حمزة خطبة شك فيها المستبصر قال القطب يعني نفسه قال مالك وردت المرتاب قال القطب من لم يتثبت في مذهبه رجع إلى مذهب أبي حمزة قال مالك قال أبو حمزة أوصيكم بتقوى الله وطاعته والعمل بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وصلة الرحم وتعظيم ما صغرت الجبابرة من حق الله وتصغير ما عظمت من الباطل وإماتة ما أحيوا من الجور وإحياء ما أماتوا من الحقوق وأن يطاع الله ويعصي العباد في طاعته فالطاعة للعباد ولأهل

طاعة الله ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ندعو إلى كتاب الله وسنة نبيه والقسم بالسوية والعدل في الرعيــة ووضع الأخماس في مواضعها التي أمر الله بها إنا والله ما خرجنا أشرا ولا بطرا ولا لهوا ولا لدولة ملك يزيد أن نخوض فيها ولا لثأر قد نيل منا ولكن لما رأينا الأرض قد أظلمت ومعـــالم الجور قد ظهرت وكثر الادعاء في الدين وعمل بالهوى وعطلت الأحكام وقتل القائم بالقسط وعنف القائل بالحق سمعنا مناديا ينادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم فأجبنا داعي الله الآية فأقبلنا من قبايـــل شتى قليلين مستضعفين في الأرض فآوانا الله وأيدنا بنصره فأصبحنا بنعمته إخوانا وعلى الدين أعوانا يا أهل المدينة أولكم خير أول وآخركم شر آخر إنكم أطعتم قراءكم وفقهاءكم فاختانوكم عن كتاب غــير ذي عوج بتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين فاصبحتم عن الحق ناكبين أمواتاً غير أحياء وما تشعرون يا أهل المدينة يا أبناء المهاجرين والأنصار والذين أتبعوهم بإحسان ما أصح أصلكم وأسقم فرعكم كان أباؤكم أهل اليقين وأهل المعرفـــة بالدين والبصاير النافذة والقلوب الواعية وأنتم أهل الضلالة والجهالة استعبدتـكم الدنيـــا فاذلتـكم والأماني فأضلتكم فتح الله لكم باب الدين فأفسدتموه وأغلق عنكم باب الدنيا ففتحتموه سراع إلى الفتنة بطاء عـــن السنة عمى عن البرهان صم عن العرفان عبيد الطمع حلفاء الجزع نعم ما ورثكم آباؤكم لو حفظتموه وبئسما تورثون أبناءكم إن تمسكوا به نصر

الله آباءكم على الحق وخذلكم على الباطل كان عدد آبا كم قليلا طيباً وعددكم كثير خبيث اتبعتم الهوى فأرداكم واللهو فأسهاكم ومواعظ القرآن تزجركم فلا تزدجرون وتعبركم فلا تعتبرون سألناكم عن ولاتكم هؤلاء فقلتم والله ما فيهم الذي يعلم أخذوا المال من غير حله فوضعوه في غير حقه وجاروا في الحكم فحكموا بغير ما أنزل الله واستأثروا بفيئنا فجعلوه دولة بين الأغنياء منهم وجعلوا مقاسمنا وحقوقنا في مهور النساء وفروج الإماء وقلنا لكم تعالوا إلى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم وجاروا في الحكم فحكموا بغير ما أنزل الله فقلتم لا نقوى على ذلك ووددنا أنا أصبنا من يكفينا فقلنا نحن نكفيكم ثم الله راع علينا إن ظفرنا لنعطين كل ذي حق حقه فجئنا فاتقينا الرماح بصدورنا والسيوف بوجوهنا فعرضتم لنا دونهم فقاتلتمونا فأبعدكم الله فوالله لو قلتم لا نعرف الذي تقول ولا نعلمه لكان أعذر مع أنه لا عذر للجاهل ولكن أبى الله إلا أن ينطق بالحق على ألسنتكم ويأخذكم به في في الآخرة ثم قال الناس منا ونحن منهم إلا ثلاثة حاكما بغير ما أنزل الله أو متبعاً له أو راضياً بعمله .

وقال أيضاً أما بعد فإنك في ناشئ فتنة وقائد ضلالة قد طال جثومها واشتدت عليك غمومها وتلوثت مصائد عدو الله وما نصب من الشرك لأهل الغفلة عمى في عواقبها فلن يهدّ عمودَها ولن ينزع

أوتادها إلا الذي بيده ملك الأشيـاء وهو الرحمن الرحيم ألا وإن لله بقايا من عباده لم يتحيروا في ظلمها ولم يشايعوا أهلهـــا على شبهها مصابيح النور في أفواههم تزهو وألسنتهم بحجج الكتاب تنطق ركبوا منهج السبيل وقاموا على العلم الأعظم هم خصماء ـ الشيطان الرجيم بهم يصلح الله البلاد ويدفع عن العباد طوبى لهم وللمستصبحين بنورهم وأسأل الله أن يجعلنا منهم قال صاحب الأغاني وبايعه ناس منهم إنسان هذلي وإنسان سراقي وشكست الذي كان معهم معلّم النحو يعنى مع أهل المدينة وسيأتي خبر قتله قـــال ثم خرج أبو حمزة وخلف بالمدينة بعض أصحابه فسار حتى نزل الوادي وكان مروان قد بعث بن عطية وأمره بالجد في السير وأعطى كل رجل من أصحابه مائة دينار وفرسا عربياً وبغلا لثقله وأمره أن يمضي فيقاتلهم وعددهم أربعة الآف معه فرسان من أهل الشام ووجوههم منهم شعيب البارقي ورومي بن ماعز المري وقيـل بل هو كلابي وفيهم ألف من أهل الجزيرة قال وبعث أبو حمزة بلج بن عقبة في ستماية رجل ليقاتل عبد الملك فلقيه بوادي القرى لأيام خلت من جمادى الأولى سنة ثلاثين ومائة فتواقفوا فدعاهم بلج إلى الكتاب والسنة وذكر بني أمية وظلمهم فشتمهم أهل الشام وقال أنتم أعداء الله أحق بهذا ممن ذكرتم وقلتم فحمل عليهم بلج وأصحابه فانكشف طائفة من أهل الشام وثبت ابن عطية في الحفاظ وقال ناضلوا عن دينكم وأميركم فكروا واصبروا صبراً حسناً وقاتلوا قتالاً شديداً

فقتل بلج وأكثر أصحابه وانحازت قطعة من أصحابه نحو المائة إلى جبل اعتصموا به فقاتلهم عطية ثلاثة أيام فقتل منهم سبعين ونجا ثلاثون فرجعوا إلى أبي حمزة ونصب ابن عطية رأس بلج على رمح قال واغتم الذين رجعوا إلى أبي حمزة من وادي القرى إلى المدينة وهم الثلاثون ورجعوا وجزعوا من انهزامهم وقالوا فررنا من الزحف فقال لهم أبو حمزة لا تجزعوا فأنا لكم فئة وإليّ انصرفتم وخرج أبو حمزة من المدينة إلى مكة واستخلف رجلاً يقال المفضل عليها وخطب أبو حمزة أهل المدينة وودعهم ليخرج إلى الحرب فقال يا أهل المدينة إنا خارجون لحرب مروان فإن نظهر نعدل في أحكامكم ونحملكم على سنة نبيكم ونقسم بينكم وإن يكن ما تمنون لنا فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون قال ووثب الناس على أصحابه حين جاءهم قتله فقتلوهم فكان بشكست ممن قتلوا طلبوه فرقى في درجة كانت في دار أذينة فلحقوه فانزلوه منها وهو يصيح يا عباد الله فيم تقتلونني قال وأنشدني بعض أصحابنا لقد كان بشكست عبد العزيز من أهل القراءة والمسجد ، وقال ابن الأثير وفيمن قتل مع أبي حمزة عبدالعزيز القاري المدني من أهل المدينة قال فدعا عمر بن عبد الرحمن بن أسيد بن عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب الناس إلى قتالهم فلم يجد كبير أمر لأن القتل قد كان شاع في الناس وخرج وجوه أهل البلد عنه فاجتمع إلى عمر البربر والزنج وأهل السوق والعبيد فقاتل بهم الشراة فقتل المفضل

وعامة أصحابه وهرب الباقون فلم يبق بالمدينة منهم أحد فقال في ذلك سهيل أبو البيضاء مولى زينب الحكم بن العاصى .

ليت مروان رآنـا	يوم الاثنـين عشيـة
إذ غسلنا العار عنا	وانتضينا المشرفيّـه

قال: وأقام بن عطية بالمدينة شهراً وأبو حمزة مقيم بمكة ثم توجه إليه فقال له علي بن حصين العنبري إني كنت أشرت عليك يوم قديد وقبله أن تقتل هؤلاء الأسراء كلهم فلم تفعل وعرفتك أنهم سيغدرون ولم تفعل حتى قتلوا المفضل وأصحابنا المقيمين بالمدينة وأنا أشير عليك اليوم أن تضع السيف في هؤلاء فإنهم كفرة فجرة ولو قدم عليك ابن عطية لكانوا أشد عليك منه فقال لا أرى ذلك لأنهم قد دخلوا الطاعة وأقروا بالحكم ووجب لهم حق الولاية قال إنهم سيغدرون فقـــال أبعدهم الله من نكث فإنما ينكث على نفسه قال وقدم عبد الملك مكة فصير أصحابه فرقتين ولقى الخوارج من وجهين فصيّر طائفة بالأبطح وصار هو في الطائفة الأخرى بإزاء أبي حمزة فصار أبو حمزة أسفل مكة وصير أبرهة بن الصباح في الأبطح في ثمانين فارساً فقاتلهم أبرهة فانهزم أهـــل الشام إلى عقبة منى فوقفوا عليها ثم كروا وقاتلهم فقتل أبرهة كمن له هبار القرشي وهو على جبل دمشق عند بير ميمون وتفرق الخوارج وتبعهم أهل الشام يقتلونهم حتى دخلوا المسجد والتقى أبو حمزة

وابن عطية بأسفل مكة فخرج أهل مكة مع ابن عطية فقتل أبو حمزة على فم الشعب وقتل معه امرأته وهي ترتجز وتقول :

أنا الجعيداء وبنت الأعلم من سال عن اسمي فاسمي مريم
بعت سواري بسيف مخذم

قال وتفرقت الخوارج فاسر أهل الشام منهم أربعمائة فدعا بهم ابن عطية فقال ويلكم ما دعاكم إلى الخروج مع هذا قالوا ضمن لنا الكنّة يريدون الجنة وهي لغتهم فقتلهم وصلب أبا حمزة وأبرهة ابن الصباح ورجلين من أصحابهم على فم الشعب شعب الخيف ودخل على ابن الحصين داراً من دور قريش فأحدق أهل الشام بالدار فأحرقوها فلما رأى ذلك رمى بنفسه من الدار فقاتلهم فاسر وقتل وصلب مع أبي حمزة ولم يزالوا مصلبين حتى أفضى الأمر إلى بني العباس وحج مهلهل الهجيمي في خلافة أبي العباس فأنزل أبا حمزة ليلا فدفنه ودفن خشبته .

وروى أنه لما التقى أبو حمزة وابن عطية قال أبو حمزة لا تقاتلوهم حتى تختبروهم فصاح بهم ما تقولون في القرآن والعمل به فصاح ابن عطية نضعه جوف الجوالق قال فما تقولون في مال اليتيم قال ناكل ماله ونفجر بأمه في أشياء بلغني أنه سال عنها فلما سمعوا كلامهم قاتلوهم حتى أمسوا فصاحت الشراة ويحك يابن عطية إن الله عز وجل قد جعل الليل سكنا فاسكن ونسكن فأبا وقاتلهم

حتى قتلهم جميعاً ولما قتل ابن عطية أبا حمزة بعث برأسه إلى مروان قال وأتى فل أبي حمزة إلى عبد الله بن يحيى بصنعا فاقبل ومعه أصحابه يريد قتال ابن عطية ولقبوه طالب الحق وبلغ ابن عطية خبره فشخص إليه فالتقوا بكست فأكثر أهل الشام القتل فيهم وأخذ أثقالهم وأموالهم وتشاغلوا بالنهب فركب عبدالله بن يحيى فكشفهم فقتل منهم نحو مائة رجل وقتل قائداً من قوادهم يقال له يزيد بن حمل القشيري من أهل قنسرين فذمرهم بن عطية فكروا وانضم بعضهم إلى بعض وقاتلوا حتى أمسوا فكفوا عن بعض ثم التقوا من غد في موضع كثير الشجر والكرم والحيطان فطال القتال بينهم واستحر القتل في الشراة فترجل عبد الله بن يحيى في ألف فارس فقاتلوا حتى قتلوا جميعاً عن آخرهم وانهزم الباقون فتفرقوا في كل وجه ولحق من نجا منهم بصنعاء وولوا عليهم حمامة قال وبعث عبد الملك رأس عبد الله بن يحيى مع ابنه يزيد إلى مروان .

وقال عمرو بن الحصين ويقال الحسن العنبري مولى لهم يرثي عبد الله بن يحيى وأبا حمزة :

هبّت قبيل تبلج الفجر   هند تقول ودمعها يجري
إن أبصرت عيني مدامعها   ينهلّ واكفها على النحر
أنى اعتراك وكنت عهدي لا   سرب الدموع وكنت ذا صبر

أقذى بعينك ما يفارقها ... أم عابر أم ما لها تذري
أم ذكر إخوان فجعت بهم ... سلكوا سبيلهم على خبر
فأجبتها بل ذكر مصرعهم ... لا غيره عبراتها يمري
يا رب اسلكني سبيلهم ... ذا العرش واشدد بالتقى أزري
في فتية صبروا نفوسهم ... للمشرفية والقنا السمر
تالله ألق الدهر مثلهم ... حتى أكون رهينة القبر
أوفي بذمتهم إذا عقدوا ... وأعفّ عند العسر واليسر
متأهلين لكل صالحة ... ناهون من لاقوا عن النكر
صمت اذا احتضروا مجالسهم ... وزن لقول خطيبهم وقر
ألا تجيبهموا فإنهم ... رجف القلوب بحضرة الذكر
متأوهون كأن جمر غضى ... للخوف بين ضلوعهم يسري
تلقاهم إلا كأنهم ... لخشوعهم صدروا عن الحشر
فهم كأن بهم جوى مرض ... أو مسهم طرف من السحر
لا ليلهم ليل فيلبسهم ... فيه غواشي النوم بالسكر
الا كذا خلساً وآونة ... حذر العقاب وهم على ذعر
كم من أخ لك قد فجعت به ... قوّام ليلته الى الفجر
متأوه يتلو قوارع من ... آي القران مفزع الصدر
نصب تجيش بنات مهجته ... من خوف جيش مشاشة الصدر
ظمآن وقدة كل هاجرة ... ترّاك لذته على قدر
ترّاك ما تهوى النفوس إذا ... رغب النفوس دعت إلى النذر

والمصطلي بالحرب يسعرهـــا بغبارهـا وبفتنـة سعر
يجتاحهـــا بأفلّ ذي شطب عضب المضارب قاطع البتر
لا شيء يلقـــاه أسرّ له من طعنـــة في ثغرة النحر
منهرة منه تجيش بما كانت عواصي جوفه تجري
كخليلك المختار أذك بـــه من مغتد في الله أو مسري
خوّاض غمرة كل متلفـــة في الله تحت العثـير الكدر
ترّاك ذي النخـــوات مختضباً بنجيعه بالطعنة الشذر
وابن الحصين وهـل له شبـه في العرف أنا كان والنكر
بشهامة لم تحن أضلعـــه لذوي أخوتـــه على غمر
طلق اللسان بكل محكمة رآب صدع العظم ذي الوقر
لم ينفكل في جوفه حزن تغلى حرارته وتستشري
ترقى وآونة يخفضهـــا بتنفس الصعداء والزفر
ومخالطي بلج وخالصتي سم العدو وجـــابر الكسر
نكل الخصوم إذا هم شغبوا وسداد ثلمة عـــورة الثغر
والخايض الغمرات يخطر في وسط الأعـــادي أيما خطر
بمشطب أو غير ذي شطب هام العدى بذبابـــه يفري
وأخيك أبرهة الهجان أخي الحرب العوان ملقح الجمر
برشة فرع تثـــج دمـــاً ثج الغويّ سلافـــة الخمر
والضارب الأخدود ليس لها أحداً ينهنهـــا عن السمر
وولي حكمهم فجعت بـــه عمرو فواكبـــدي على عمرو

قوّال محكمـــة وذي فهم … عف الهـــوى متثبت الأمر
ومسيّــب فاذكر وصيته … لا تنس إمّـــا كنت ذا ذكر
فكلاهما قـــد كان محتسباً … لله ذا تقـــوى وذا بر
في مخبتين ولم أسمهم … كانوا يدي وهم أولو نصري
وهم مساعر في الوغى رجح … وخيار من يمشي على العفر
حتى وفوا لله حيث لقـوا … بعهود لا كذب ولا غـــدر
فتخالسوا مهجـــات أنفسهم … وعداتهم بقواضب بـتر
وأسنة اثنين في لدن … خطيـــة باكفهم زهر
تحت العجاج وفوقهم خرق … تخفقن من سود ومن حمر
فتفرجت عنهم كأنهـــم … لم يغمضوا عينـــاً على وتر
فشعارهم نيران حربهم … مـا بين أعلى الشحر فالحجر
صرعى مخالجة تنـوبهم … وخوامع لحماتهم تفري

قال وتتبع ابن عطية أصحـــاب ابن يحيى في كل موضع يقتلهم وأقام بصنعاء أشهرا ثم خرج عليه رجل من أصحاب ابن يحيى في آل ذي الكلاع يقـال له يحيى بن عبـد الله بن عمر بن السباق في جمع كثير بالجند فبعث إليـه ابن عطية ابن أخيـــه عبدالرحمن بن يزيد بن عطية فلقيه بالحرب فهزمـه وقتل عامة أصحابه وهرب منه فنجا وخرج عليـه يحيى بن كرب الحميري بساحل البحر وانضمت إليـه شذاذ الأباضية فبعث إليـه أبا أمية الكندي في الوضاحية فالتقوا بالساحل فقتـل من الاباضيـة نحو

مائة رجل وتحاجزوا عند المساء فهربت الأباضية إلى حضرموت
وبها عامل لعبد الله بن يحيى يقال له عبد الله بن معبـد الجرمي
فصار في جيش كثير واستفحل أمره وبلـغ بن عطيـة الخبر
واستخلف ابن أخيه عبد الرحمن بن يزيـد بن عطية على صنعاء
وشخص إلى حضرموت وبلغ عبـد الله بن معبد مسير عبد الملك
إليهم فجمعوا الطعام وكل ما يحتاجون إليـه في مدينة سنام وهي
حصين حضرموت مخافة الحصار ثم عزموا على لقاء ابن عطيـة في
الفلاة فخرجوا حتى نزلوا على أربع مراحل من حضرموت في
عدد في فلاة وأتاهم ابن عطية فقاتلهم يومه كله فلمـا أمسى وقد
بلغه ما جمعوا في سنام حدر عسكره في بطن حضرموت إلى السنا
ليلا ثم أصبح فقاتلهم حتى انتصف النهار ثم تحاجزوا فلما أمسوا
تبع عسكره وأصبح الخوارج فلم يروا للقوم أثراً فاتبعوهم وقد
سبقوهم إلى الحصين فأخذوا جميع مـا فيه وملكوه ونصب عليهم
المسالح وقطع عنهم المادة والميرة وجعل يقتل من يقدر عليه ويسبي
ويأخذ الأموال ثم ورد عليه كتاب مروان بن محمـد يأمره
بالتعجل إلى مكة ليحج بالناس فصالح أهل حضرموت على أن
يرد عليهم ما عرفوا من أموالهم ويولي عليهم من يختارون وسالموه
فرضي بذلك وسالمهم وشخص إلى مكة متعجلا مخفا ولما نفذ كتاب
مروان ندم بعد ذلك بأيام وقال تالله قتلت والله ابن عطيـة هو
الآن يخرج مخفا متعجلا ليلحق الحج فيقتله الخوارج فكان كما قال

تعجل في بضع عشرة رجلاً فلما كان بأرض مراد تلففت عليه جماعة فمن كل من تلك الجماعة أباضيا عرفه فقال ما ننتظر بهذا أن ندرك ثأر إخواننا فيه ومن لم يكن أباضياً ظنه من الاباضية وأنه منهزم فلما علم أنهم يريدونه قال لهم ويحكم أنا عامل أمير المؤمنين على الحج فلم يلتفتوا إلى ذلك وقتلوه ونصبت الأباضية رأسه فلما فتشوا متاعه وجدوا فيه الكتاب بولايتـه على الحج فأخذوا من الأباضية رأسه ودفنوه مع جسده وقال المدايني خرج جمانة وسعيد ابنا الأخنس في جماعة من قومهما من كندة وعرفه جمانـة لما لقيه فحمل عليه هو وأخوه ورجل آخر من همدان يقال له رمانة وثلاثـــة من مراد وخمسة من كنده وقد توجه في طريقه مع أربعة نفر من أصحابه وتوجه ـ باقيهم في طريق آخر فقصدوا حيث توجه ابن عطية ووجهوا في آثار أصحابـــه نحو أربعين رجلا منهـم فادركوهم فقتلوهم وأدرك سعيد وجمانة وأصحابهما ابن عطية فعطف عبدالملك على سعيد فضربه وطعنه جمانة فصرعه عن فرسه ونزل إليه سعيد فقعد على صدره فقال له ابن عطية هل لك يا سعيد في أن تكون أكرم العرب أسيراً فقال يا عدو الله أترى الله كان يمهلك أو تطمع في الحياة وقد قتلت طالب الحق وأبا حمزة وبلجا وأبرهة فقتله وقتل أصحابـــه جميعاً وبعثوا برأسه إلى حضرموت وبلغ ابن أخيه وهو بصنعاء خبره فارسل شعيبا البارقي في الخيل فقتل الرجال والصبيان وبقر بطون النساء وأخذ الأموال وأخرب القرى وجعل يتبع البري والنطف حتى لم يبق أحد من قتلة ابن عطية ولا من

الاباضية إلا قتله ولم يزل مقيما باليمن إلى أن أفضى الأمر الى بني هاشم انتهى من كتاب الأغاني .

ومن ائمة الاباضية بحضرموت احمد بن سليمان وسليمان بن عبد العزيز .

ولم تزل بينهم وبين أئمة عمان مراسلات ومواصلات ومساعدات وفي أوائل ربع القرن الخامس للهجرة وفد الإمام الشاري أبو إسحاق إبراهيم بن قيس بن سليمان الهمداني الحضرمي إلى إمام عمان الخليل بن شاذان بن الصلت بن مالك الخروصي يستعين به على إظهار دولة العدل الاباضية في حضرموت وأنشده قصيدة طويلة منها :

لقد جاءني من بعد أرضي وأوطاني — رجاء لنصر الدين من نحو إخواني
وذكر إمام شاع في الناس ذكره — وطاب الثنا فيه الخليل بن شاذان
فقطعت غيطانا وجاوزت أبحراً — إليهم أجرّ الجد من آل قحطان
وكم بلد خلفت فيها مشايخاً — غطارفة غرّاً يرجّون إتياني
وكم كانت الأشياخ أشياخنا الأولى — إذا طلبوا نصراً مدّوا بأعوان
وكم من إمام في الألى حلّ مكة — وأعوانه في الصين أو في خراسان

وقال أيضاً :

يا أحمد بن معبد سيرا فقد — سار الرضى عبد الإله خليلي

وارموا بنا نحو الإمام المرتضى المفزع الماوى لكل دخيل
ذاك الذي جلّى عمانا بعد ما واراهم غير الطغا بذبول
ذاك الذي يخطو خطى من صار في وادي القرى أو آسك ونخيل

فأمدهم الإمام بالمال والرجال وسار بهم إلى حضرموت وهو يقول :

دعيني فعندي للنهوض عزائم ولما يكن لي عند ذاك قوادم
وكيف وقد أضحى الجناح متمما عليه من التأييد ريش مراكم

في قصيدة طويلة وقد نصره الله واحتل معاقل حضرموت وكتب إلى الإمام :

سل الوفد عني يا إمام ألم أكن تسربلت يوم الروع ثوب العزايم

* * *

فما كان إلا جمعة بعد جمعة وأدّت إليّ العشر أهل الحضارم
سل الخطبا لما دعوا لك جهرة على رغم أهل الجور بعد التصادم
وأما نواحي حضرموت فإنها بحول إلهي طوع أمري كخاتمي

وبعد ثلاثين عاماً تقريباً أرسل قصايداً غررا إلى الإمام الثاني بعمان راشد بن سعيد اليحمدي قال فيها :

إماما بنزوى قائما قام في الورى بعدل فأضحى الحق إذ قام قائما
أديباً لبيبـــاً يحمدياً غضنفراً من الأزد ليثاً في حمى الحرب غانما
ونحن إذا ما الحرب جدت إليكم أتتكم كراديس تهز الصوارمـــا
يذودون عن أديانهم كل معتد فويل لمن في الحرب يلقى الحضارما
أيا راشد إنا لعمرك نزدهـــي بذكراكم في حضرموت تعاظما
إذا ما عمانيٌّ ألمَّ بـــأرضنا أحطنا به نساله عنـــكم تراحمـا

وقال :

وبيض بأيدينا خفاف صوارم ثقال الظبى مشحوذة بالمبارد
معودة هتك الجمـــاجم أظهرت سبيل إمامينـا الخليـل وراشد

وخالف إمام عمان بعض القبايل فكتب الإمام الحضرمي إليه قصيدة منها :

فإن عدلوا عن بغيهم وتراجعوا إلى عسكر الإسلام والحق وارتدوا
فأهـــلا وسهلا بالعشيرة إنهم إليكم بإخلاص لرب السما أدّوا
وإن هم أبوا فاستصرخونا فإننا قريب وما للقوم من صحبهم بـد
وما بين وادي حضرموت وبينكم إذا سركم إتياننا نحوكم بعـد
متى يأتنا منكم صريخ نؤمكم بعسكر جرّار يضيق به النجد
كهولا وشبانا صباحاً مساعراً وراداً إلى الهيجاء إذا استصعب الورد

وله ديوان شعر طويل يدل على شجاعته وشهامته ، ويذكر في

بعض قصائده أنه غاب في غزوة من غزواته تسع سنين وشهراً ، وديوانه مشهور بين الخواص والعوام طبع مرتين وله خاصية إذا قرئ في مجلس تشوقت النفوس إلى الجهاد وتحرك الجبان إلى الجلاد واحترق قلب الشجاع فمن شعره :

خلقت على خلق الرجال فلا أرى   سوى الجد فيما جد فيه الأكايس
قريب وزحاف وسهم بن غالب   أئمتنا والأربعون الفوارس
أولاك مصاليت أولاك مساعر   أولاك مجاليد أولاك أشاوس
أولئك أشياخي وأرباب دعوتي   أولئك أقمار الدجى والمقايس
أولاك مضوا والمرهفات ضواحك   بأيمانهم والعاديات عوابس
أسير لما ساروا وأدعو لما دعوا   حياتي أو تحثى عليّ الروامس
إذا بالعتيبات اعتلى الوهن فرشه   علت بي نجوداً ونأت بي بسابس
كذا همتي أو يحضر الموت همتي   بحيث الثريا لا تزال تقايس
فمن ظن أني مهمل أو مقيد   بروض الهوينا همتي فهو ناعس
لقد علم الشيخ الذي أنا نجله   بأني لسربال العزيمة لابس
وإن قناتي لا تلين لغامز   وإن سناني في الملمات داعس
وأني بحيث الظن منه وربما   أزيد على ما ظن فيما أمارس

ومن شعره :

ألا إنني لا أستكين لذلة   ولا أرتدي في العز ثوب التعاظم

ولست إلى ظلم وإن كنت معظما | أميل ولو قسمت بين الصوارم
أبت همتي إلا إلى طلب العلى | تناط وتأبى عن قبيح الجرائم
ولي همة تستعذب الموت عندما | يمر حياض الموت ضرب الجماجم
أسير وأرضي صاحبي بتقدمي | إذا ما التوى في الروع كفى بصارمي
فإن تسألي عني وعن أهل مذهبي | وعن أين داري أنت يا أم حازم
فإني من همدان أصلي وقدوتي | فرداس والأوطان أرض الحضارم
أنا الرجل الداعي إلى الحق والذي | أبت نفسه شم الطغاة الأشايم
أنا الرجل الشاري الذي باع نفسه | وأصبح يرجو الموت عند التصادم

ويروى أنه قتل تمزيقاً في حوافر الخيل ويبدو أنه عاش حوالي مائة سنة فقد رثى العلامة محمد بن إبراهيم الكندي العماني مؤلف بيان الشرع المتوفى عام ثمان وخمسمائة سنة ومن شعره :

سلامتي عندي إذا لم أسلم | يا نعمة ما مثلها من أنعم
إن أدرجوني في ثيابي بدمي | لا شرف أعلى من التقحم
لله في خوض الحمام الأحوم | أهلا وسهلا بالفنا فليقدم
أهلا به بين القنا المحطم | لست ألاقيه بوجه أجهم

وقال ايضاً :

فلا تحزني إن التوكل مغفري | ودرعي يقيني والحقيقة جنتي
وفي الكف مني كالشهاب وضوئه | ويوم سعودي يوم ألقى منيتي

ويوم أرى الحوراء تمسح غرتي   شهيدا أو السيدان تنهش جثتي

ومع جهاده وخوضه المعارك المتواترة لم تمنعه من التاليف ونشر العلم فقد جمع إلى السيف القلم قال علق الفؤاد بأن أكون أنا الذي نشر الهدى بقواضب ورماح أو بأسنة الأقلام فلقد صنف رحمه الله كتاب مختصر الخصال على منوال حسن وطريقة لم يسبق إلى مثلها في الأقدمين ولا أتى بنظيرها المتاخرون قال في مقدمته أما بعد فقد دعاني إلى تصنيف هـــذا الكتاب خشية انطماس أصول الاباضية لقلة انتشارها في الأمصار وتقييدها في الأسطار وخيفة الرغبة عنها في معقل الدعوة الأصلية بأهواء الشافعية والحنفيـــة لشهرتها في الآفاق وظهور أهلها الفساق لأني رأيت بعض متفقهي زماننا هذا من أهل دعوتنا ونظرت في أثر الآخرين ممن ينتحل مذهبنا وشاهدت قوما ممن ينتمي لديننا زاغت بهم الأهواء عـــن قصد السلف الصالح في لحن القول مع الغفلة لبعضهم عن أصول دينهم واختيار مذهبهم بلا خلاف قاصداً يوجب الوقوف عنهم فلما خشيت هؤلاء وأمثـــالهم أن يزيغوا بمـــا استخفوا به من الخلاف ويستميلوا به قلوب الضعاف صرفت عنـــاني إلى تصنيفه لترسخ الأصول في أماكنها ويتعلق بها أهل دعوتهـــا ويرغب فيها من أكثر النظر فيها وقد نظرت في بعض تصانيف أهل مذهبنا فـإذا هو عـــلم منشور ولا تؤدي المسئلة إلا

معنى واحداً غير شامل لأصول العلم مفتقرا إلى النظر في جميع الكتب فجعلت كتابي هذا مختصراً موجزاً وفصلته أبواباً وجعلت كل كتاب منه خصالا ليسهل على المتعلم حفظه ويقرب إليه فهمه ويزيد العالم نباهة في قلبه وتقوية في علمه وبصيرة في دينه وضمنته من جميع أصناف الفقه في الدين وبدأت في أوله بذكر ما لا يسع جهله فإنه معقل الدين ونصاب الفقه. وهكذا يمضي في مقدمة كتابه وعلى سبيل المثال آتى بباب من أبواب خصاله باب ذكر بيان سنن الجمعة قال أبو اسحاق وسنن الجمعة تسع خصال أحدها السواك والثاني الغسل والثالث مس الطيب والرابع البخور والخامس الخطبة الثانية والسادس الاستماع حتى يبتدي الإمام الخطبة وقد قيل ذلك واجب والسابع السكتة بين الخطبتين والثامن الأذان قبل الوقت في قول بعض أصحابنا والتاسع اللباس الحسن ونظم كتابه هذا من المتأخرين العلامة نور الدين السالمي سماه مدارج الكمال نظم مختصر الخصال وشرح بعضه سماه معارج الآمال قال منه هذا تمام هذه المدارك فهيّا الآمال للمعارج .

ثم رأيت في بعض الكتب أنه قتل سنة ٤٧٥ وعليه فالذي رثى العلامة محمدبنإبراهيم غيره أو ان محمد بن إبراهيم غير صاحب بيان الشرع .

فصل في أئمة الاباضية بليبيا وتونس والجزائر

قد ذكرت فيما سبق انتشار المذهب الاباضي في المغرب والمشرق وقيام دول لهم في كل ناحية يتمكنون من إقامة العدل فيها فأول إمامة قامت لهم في طرابلس سنة واحد وثلاثين بعد المائة إمامة الحارث وعبد الجبار أحدهما إمام والآخر وزيره قاما على عامل مروان بن محمد واستتب لهم الأمر ووجدا قتيلين بعد معارك دارت بينهم وبين عبد الرحمن بن حبيب إذ جاءهم بجيش من المغرب والبربر .

وفي عام أربعين ومائة كانت إمامة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السبح بن عبيد بن حرملة المعافري أحد تلامذة أبي عبيدة مسلم الذي سبق ذكره أن درس خمس سنوات هو وعبد الرحمن بن رستم ومن معهما أرادوا الرجوع إلى المغرب وبالأخص القيروان من الجمهورية العربية التونسية وكان المذهب الاباضي قد انتشر انتشاراً كثيراً أمرهم أبو عبيدة أن يبايعوه إماماً . قال الشيخ علي يحيى معمر من علماء ليبيا نقلا عن الأستاذ لوفسيكي إن هذا المذهب قد جاء

إلى تونس من طرابلس وانتشر انتشاراً واسعاً في الشعوب البربرية بجهات جربة وجرجيس وورغمه ومطماطة ونفزاوة والجريد . قال وكان سكان نفزاوة على المذهب الصفري وتحولوا إلى الاباضية في عهد الإمام عبد الوهاب وبقي هذا المذهب هناك إلى القرن الحادي عشر للميلاد حيث كان في بلدة فطناسة من نفزاوة وحدها أحد عشر مسجدا اباضيا ، وأما في الجريد فقد انتشرت الاباضية في زمن مبكر وكان لها قوة عنيدة خصوصاً في أيام ازدهار مدينة درجين قرب نفطة ، وكان سكان درجين يعدون وحدهم نحو ثمانية عشر ألف فارس . وانتشرت الوهبية بين تزور والحامة قال وكان الاباضية يؤمون نفس المساجد التي يؤمها أهل السنة ويملون تعاليمهم ويناقشون تلاميذهم . قلت : واجتمعت تحت إمارته الجمهورية الليبية والجمهورية التونسية ثم بعث إليه المنصور جيشاً يقوده محمد بن الأشعث الخزاعي في سبعين ألفاً وقتل الإمام وقتل عنده اثنا عشر ألفاً وذلك في عام ١٤٤ كذا قال ياقوت في معجم البلدان ثم بويع بعده للإمام أبي حاتم يعقوب بن حبيب مولى كنده المعروف بالمزوزي المنجيسي الهواري بعدما قتل الإمام أبو الخطاب وذلك في عام أربعة وخمسين بعد المائة واستولى أيضاً على ليبيا وتونس قال العلامة البرادي وقفت في بعض كتب أهل الخلاف على سيرته وأيامه فمن أغرب ما رأيته فيها أن قال اجتمع لأبي حاتم بأفريقية جيش لم يجتمع لخارجي قبله ولا بعده انتهى

عدد عسكره ثلاثمائة ألف وخمسون ألفاً منهـــا خمسة وثمانون ألف عنان والباقي رجال ولاقوا طوالع ثلاثمائـة وخمسة وسبعين لقيه ومات في الأخيرة منها والعسكر الذي قتل أبا حاتم مزيد بن حاتم بن قبيصة بن أبي صفرة وذكر بعضا من سيرتـــه ابن الأثير في الجزء الخامس لكن قال كانت ولايته عـام واحد وخمسين وقتل عام خمسة وخمسين في ربيـع الأول وذلك في خلافة أبي جعفر المنصور وكانت عاصمة هؤلاء الأئمة المذكورين طرابلس ثم بويـع بعده للإمام عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن سام بن كسرى وهو أحد تلامذة أبى عبيدة مسلم الذي سبق ذكره في حملة العلم إلى المغرب وكان قيامه مع أمه بالقيروان قدم به أبوه حاجا من فارس فتوفى بمكة وتزوجها رجل مغربي من أهل القيروان فحمل الولد معه ثم عاد إلى البصرة مع رجال من المغاربة إلى طلب العلم فاستقر بها في رحاب أبي عبيدة خمس سنوات ثم خرج وقام بدولة الإمام أبي الخطاب وتولى له القيروان كما ذكر ابن الأثـير وابن خلدون وابن الصغير وغيرهم من المؤرخين ولما قتـل أبو الخطاب خرج عبد الرحمن مع رجال الأباضية إلى الجزائر وبويع له بالإمامة عام مائة وستين وقيل اثنين وستين ومائة" قـال ابن الصغير المؤرخ المالـكي ثم نهضوا إليه بأجمعهم وقالوا يا عبدالرحمن رضيك الإمام أبو الخطاب في ابتدآئنا ونحن الآن نرضى بك وتقدمك على أنفسنا فقد علمت أنه لا يصلح أمرنا إلا بإمام نلجأ إليه في أمورنا ونحكم عنده

فيما ينوب من أسبابنا فقال لهم إن أعطيتموني عهد الله وميثاقه على الطاعة فيما وافق الحق وطابقه قبلت ذلك منكم فأعطوه عهد الله وميثاقه على ذلك وشرطوا عليه مثل ما شرط عليهم وقدموه على أنفسهم وألقوا اليه بأيديهم وقال ابن خلدون فسار فيهم سيرة جميلة حمدها أولهم وآخرهم ولم ينقموا عليه في أحكامه حكما ولا في سيره سيرة وسارت بذلك الركبان إلى كل البلدان وكانت له قصص حكوها عنه لا يمكن ذكرها إلا على وجهها وأن أتحرى فيها الصدق - ولا أحرفها عن معناها ولا أزيد فيها ولا أنقص منهم إذ النقص في الخبر والزيادة فيه ليس من شيم ذوي المروآت ولا من أخلاق ذوى الديانات وإن كنا للقوم مبغضين ولسيرهم كارهين قال ولما ولى عبد الرحمن ما ولى من أمور الناس شمر مئزره وأحسن سيرته وجلس في مسجده للأرملة والضعيف لا يخاف في الله لومة لائم وطار صيته في أطراف الأرض شرقاً وغرباً حتى اتصل ذلك بإخوانه أهل البصرة وغيرها من بلاد الشرق انتهى كلام ابن خلدون ولبث في الإمامة حوالي أحد عشر سنة وجعل الأمر شورى بعده بين سبعة رجال العلم والصلاح اقتداء بعمر بن الخطاب وهم ولده عبد الوهاب ومسعود الأندلسي وأبو قدامة يزيد بن فندين اليفرني وعمران بن مروان الأندلسي وأبو الموفق سعدوس ابن عطية وشكر بن صالح الكتامي

ومصعب بن سدمان ـ فاتفق رأي الجميع على تقديم ابنه عبد الوهاب قال ابن خلدون فلم تزل أموره كذلك وعلى ذلك والكلمة واحدة والدعوة مجتمعة ولا خارج يخرج عنه ولا طاعن يطعن عليه إلى أن اخترمته منيته وانقضت أيام مدته وكنت قد وقفت على عدد إمارته كم كانت ولكن نسيتها مع مرور الأيام وكان قد نشأ في أيامه ولد يعرف بعبد الوهاب وكان محمود الأفعال وكان قد رشحه للقيام بعده فلما انقضت أيامه صيرت الاباضية إليه الأمر بعده وقال ياقوت في معجم البلدان عند ذكر تاهرت وملك بنو رستم تاهرت مائة وثلاثين سنة قال وكان عبد الرحمن خليفة لأبي الخطاب عبد الأعلى قال ولما قتل هرب عبد الرحمن بأهله ومـــا خف من ماله وترك القيروان فاجتمعت إليه الأباضية واتفقوا على تقديمه وبنيان مدينة تجمعهم فنزلوا موضع تاهرت اليوم وهي غيظة أشبه ونزل عبد الرحمن منه موضعا مربعا لا شغراء فيه فقالت البربر نزل تاهرت ومعناه الدف لتربيعه وأدركتهم صلاة الجمعة فصلى بهم هناك فلما فرغ من الصلاة ثارت صيحة شديده على أسد ظهر في الشغراء فأخذ حيا وأتى به إلى الموضع الذي صلى فيه وقتل فيه فقال عبد الرحمن بن رستم هـــذا بلد لا يفارقه سفك دم ولا حرب أبداً وابتدأوا من تلك الساعة وبنوا في ذلـــك الموضع مسجداً وقطعوا خشبة من تلك الشغرا ـ وهو على ذلك إلى الآن وهو مسجد جامعها وكان موضع تاهرت ملـــكا لقوم مستضعفين من

مراسة وصنهاجة فأرادهم عبدالرحمن على البيع فأبوا فوافقهم على أن يؤدوا الخراج إليهم من الأسواق ويبيحوا لهم أن يبنوا المساكن فاختطوا وبنوا وسمو الموضع معسكر عبد الرحمن إلى اليوم انتهى كلام ياقوت .

واستمر الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن في الإمامة ولاقى حروباً داخلية ومع هذا لم تثنه عن قيامه بالواجبات حتى توفي بعد أربعين سنة من إمامته وقال المؤرخ المراكشي المالكي إن إمامته كانت عشرين سنة قال ابن الصغير وكان لعبد الوهاب كتاب يعرف بمسائل نفوسة الجبل كتبت إليه في مسائل أشكلت عليها فأجابها عن كل مسئلة مما سألت عنه وكان هذا الكتاب في أيدي الاباضية مشهوراً عندهم معلوما يتداولونه قرناً عن قرن إلى أن لحق الفضل فأخذته من بعض الرستميّين - فدرسته ووقفت عليه انتهى .

واجتمع أهل الحل والعقد من العلماء بعد وفاة الإمام عبد الوهاب عام تسعين ومائة على تقديم ابنه أفلح بن عبد الوهاب إماماً لهم فبايعوه فملك ما بين الجزاير إلى ليبيا وبعض المناطق خارجة عن حكمهم قال ابن الصغير المالكي فلما ولي أفلح أخذ بالعزم والحزم ونشأ له من البنين ما لم يكن لغيره ممن قبله وصار له الصيت وأتته نفوسة الجبل يسالونه أن يقدم عليهم من يتولى أمرهم

ولم تكن الشراة تطعن عليه في شيىء من أحكامه ولا في صدقاته ولا في أعشاره إلى أن قال وكان قد عمر في إمارته ما لم يعمره أحد ممن كان قبله أقام خمسين عاماً أميراً حتى نشأ له البنون وبنو البنين وشمخ في ملكه وابتنى القصور واتخذ أبواباً من الحديد وبنى الجفان وأطعم فيها أيام المجاعة الجيعان وعمرت معه الدنيـــا وكثرت الأموال والمستغلات وأتته الوفود والرفاق من كل الأمصار والآفاق بأنواع التجارات وتنافس النـــاس في البنيان حتى ابتنى الناس القصور والضياع خارج المدينة وأجروا الأنهـار إلى أن قال وكانت نفوسة تلي عقد تقديم القضاة وبيوت الأموال وإنـــكار المنكر في الأسواق والاحتساب على الفساق انتهى كلامه . ـ وكانت مدة خلافته خمسين سنة على قول ابن الصغير وقال الشيـــخ أبو زكريا مكث في إمامته ستين سنة وتوفي سنة أربعـــين ومايتين واجتمع أهل الحل والعقد على تقديم ابنه أبي بكر بن أفلح قـال ابن الصغير فلما مات أفلح بن عبد الوهاب قدم الناس أبا بكر ابنه وأخبرني غير واحد قـال كان عبد العزيز الاوز ـ ينادي باعلى صوتـه الله سائلكم معاشر نفوسة إذا مات واحد جعلتم مكانـه آخر ولم تجعلوا الأمر للمسلمين وتردوه إليهم ليختـــاروا من هو أتقى وأرضى فلا يلتفتون إلى كلامه ولا يشتغلون بمقالاتـه فلما ولي أبو بكر لم يكن فيه من الشدة في دينه ما كان فيمن كان قبله من آبائه ولكن كان سمحاً جواداً لين العريكة يسامح أهل

المروآت ويشايعهم على مروآتهم ويحب الأدب والأشعار وأخبار الماضين وكان بالبلد رجل يعرف بمحمد بن عرفة وكان وسيما قسيما جميلا جواداً سمحاً وكان قد وفد على ملك ـ السودان ملك صوصو بهدية من قبل أفلح بن عبد الوهاب فعجب ملك السودان مما رآه من هيبته وجماله وفروسيته إذا ركب الخيل بين يديه وقال له كلمة بالسودانية ليست تعبر بالبربرية لأن مخرج كلامها إنما هو فيما بين القاف والكاف والجيم إلا أن معناها أنت حسن الوجه حسن الهيئة والأفعال انتهى كلام بن الصغير وضعفت حالة هذا الإمام واجتمع أهل الحل والعقد على تولية أخيه أبي اليقظان بن أفلح وعزل أخيه عن الأمر وذلك بعد سنتين فاعتدلت به الأمور واستقامت بهمته الأحوال وقد كان معتقلا في بغداد إذ خرج حاجا في حياة والده وأمسكه بنو العباس وعاد بعد موت أبيه قال ابن الصغير وكان معه بعض الأموال التي جاء بها من بغداد والمدينة بها رجال هواهم وقلوبهم عند أبي اليقظان فخرجوا إليه فصارت الدعوة والإمامة كلها لأبي اليقظان وأتته الاباضية من كل الأقطار وبقي بالمدينة أمم ممن هم لا يوالون أبا اليقظان ولا يرون من رأيه قال وحمل أبو اليقظان الناس على الخيل ودعي له بالإمارة والإمامة وألغي ذكر أبي بكر قال ثم أمر قوماً من نفوسة يمشون في الأسواق فيامرون بالمعروف ـ وينهون عن المنكر قالوا فإن رأوا قصابا نفخ في شاة عاقبوه وإن رأوا دابة حمل عليها فوق

طاقتها أنزلوا حملها وأمروا صاحبها بالتخفيف عنها وإن رأوا قذراً في الطريق أمروا من حول الموضع أن يكنسه ولا يمنعون أحداً من صلاته في مساجدهم ولا يكفونه عن حاله ولو رأوه رافعاً يديه في صلاته خلا المسجد الجامع فإنهم إذا رأوا فيه رافعاً يديه منعوه وزجروه قال وكان أبو اليقظان عاش من السنين مائة أو نحوها وكان عمره في إمارته نحوا من أربعين سنة ولحقت أنا بعض إمارته وأيامه ورأيته وحضرت مجلسه وقد جلس للناس خارج المسجد الجامع مما يلي الجدار الغربي منه ورأيته يوماً ثانياً في مصلى الجنائز وقد رميت له وسادة من أديم وجلس عليها ينتظر فراغ دفن رجل مات من وجوه الناس ربع القامة أبيض الرأس واللحية وكان إذا جلس للناس وأمرهم بالجلوس لم ينطق أحد بين يديه إلا أن تكون ظلامة ترفع إليه زاهداً سكينا ورعا ناسكا وكان إذا جلس في المسجد الجامع جلس على وسادة من أديم مستقبلا الباب البحري وله سارية تعرف به يجلس إليها ولم يكن غيره يجلس إليها وكان يقابله نصب عينيه رجل من نفوسة يعرف بعيسى بن فناس وكان عندهم من الورع بمكان ويلي عيسى رجل من هوارة يقال له ابن العقير لسانهم في الفقه ولم يكن في ورع عيسى وكان عن يمينه وعن يساره وبين يديه وجوه الناس وكان أخص الناس به رجل من العرب يسمى بمحمود بن بكر وكان مَدرَتهم الذي يذب عن بيضتهم ويدافع عن دينهم ويرد على الفرق مقالاتهم ويؤلف

الكتب على مخالفيهم رجل يقال له عبد الله بن اللمطي انتهى كلام ابن الصغير وكان في زمانهم المعتزلة وجرت بينهم مناظرات ومقاتلات ومصاهرات حكى ابن الصغير - قال اجتمعت الاباضية والمعتزلة بنهر مينه لموعد جعلوه فيما بينهم للمناظرة وكان كثير من هوارة ممن حضر المجلس يتسمى بعبدالله بكسر الدال فأجابه رجل ثان فقال لست أريد قال عبدالله وقد علمت أنه إياي يريد فكرهت أن أجيبه خوفاً من سؤاله فقال عبد الله بن اللمطي أريد فقلت لبيك فقال لي هل تستطيع الانتقال من مكان لست فيه إلى مكان أنت فيه فقلت لا فقال وهل تستطيع الانتقال من مكان أنت فيه إلى مكان لست فيه فقلت إذا شئت فعلت فقال خرجت منها يا عبدالله قال وكانت نفوسة الجبل مفتونة بأبي اليقظان وكان أكثرهم لا يحج إلا باستيذانه وكانت المرأة تبعث بابنها أو ابنتها يأخذ الإذن منه وكان إذا ضرب سرادقه وأتته وفودهم لا ينامون الليل حول فساطيطه شأنهم التهليل والتكبير من أول الليل حتى إلى الفجر فإذا صلوا الفجر معه ضربوا بأنفسهم الأرض فناموا إلى أن قال ابن الصغير فمات أبو اليقظان فكل شيء وجد من العين في تركته سبعة عشر ديناراً قال وكانت لأبي اليقظان في إمارته وقايع صارت تاريخاً لموالد الناس وتوفى رضي الله عنه عام واحد وثمانين بعد المايتين وكانت إمامته أربعين سنة .

وبويع بعده لابنه ابي حاتم يوسف بن محمد بن أفلح الابن الخامس إمامة وبنوةً من الرستميين والثامن من الأئمة المغربيين

الاباضيين قال ابن الصغير فنادوا لا طاعة لأحد إلا لابي حاتم على مسيرة يومين من المدينة أو أكثر فلما وصل إلى باب المدينة ازدحم الناس من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره فبايعوه فما وصل المسجد الجامع إلا وقت الظهر فأصعدوه المنبر وبايعوه وكبروا حوله وحملوه على الأيدي والأعناق حتى أوصلوه إلى داره ثم أرسلوا إلى القبايل فبايعوه واستمروا على سيرة محمودة لم يتبين من أحد له خلاف حوالي سنة ثم دب داء الخلاف بينه وبين عمه يعقوب بن أفلح وصار بينهم قتال حتى قتل رضي الله عنه وأرضاه سنة أربعة وتسعين ومايتين بعد أربعة عشر عاماً من يوم ولايته وبموته انقرضت إمامة الرستميين وبقي نسلهم إلى اليوم فهم الآن في الجزاير ولا يكاد تمضي فترة إلا وفيها عالم أو صالح من سلالتهم ففي وارجلان اجتمعت ببعض الصالحين منهم وكذلك في بنورة من الواحات وكان لنفوسة اليد الطولى في أئمة الرستميين والتاريخ المجيد علماً وعملاً وشجاعة قال ياقوت في معجم البلدان نفوسة بالفتح ثم الضم والسكون وسين مهملة جبال في المغرب بعد افريقية عانية نحو ثلاثة أميال في أقل من ذلك وفيها منبران في مدينتين احداهما شروس في وسط الجبل وفيها خبز الشعير ألذ من كل طعام والأخرى يقال لها جادو من ناحية نفزاوة وجميع أهل هذه الجبال شراة وهبية وأباضية متمردون عن طاعة السلاطين وطول هذا الجبل مسيرة ستة أيام من الشرق الى الغرب وبين جبل نفوسة وطرابلس ثلاثة أيام وبينه وبين القيروان ستة أيام

وبها قبيلة يقال لهم بنو زمور لهم حصن يقال له تيرفت في غاية المنعة لا يقدر عليه أحد وفيه نحو ثلاثمائة قرية وعدة مدن ليس فيها منبر لأنهم لم يتفقوا على رجل يأتمون بـــه وفي جبلهم نخل كثير وزيتون وفواكه ويجتمع ممـا حوله من القبايل إذا تداعوا ستة عشر ألف رجـــل وافتتح عمرو بن العاص نفوسة وكانوا نصارى ومن جبل نفوسة رجع عمرو بن العاص بكتاب ورد عليه من عمر بن الخطاب رضي الله عنه قلت وقوله ليس فيها منبر لأنهم لم يتفقوا على رجل يأتمون بـــه ليس الأمر كذلك ولكن عندهم أن الجمعة تجب بـــلا خلاف في الأمصار التي مصرها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ولم تكن نفوسة منها ومن جهة أخرى فمن شرط الجمعة الإمام العادل وفي وقت ياقوت لم يكن عندهم إمام ولا سلطان يقيمها وياقوت هذا من علماء القرن السابع ولم يزل فحول العلماء يخرجون من هذا الجبل ولهم تآليفات مفيدة ومعتمد عليها في جميع أنحاء المذهب الأباضي كتأليفات وفتاوى الشيخ عمروس بن فتح من علماء القرن الثالث وكتفسير الشيـخ هود بن محكم الهواري ويروى أنه قتل من علماء نفوسة في وقعة واحدة أربعمائة عالم في خلافة المعتضد العباسي وأسر ثمانون عالماً وذلك عـــام مايتين ونيف وثمانين وفي ذلك الوقت قتل من علماء عمان مثل هذا العدد وقد ذكر الشيخ أبو العباس الشماخي من علماء نفوسة في القرن العاشر في كتاب السير عدداً كبيراً من علماء المغرب والمشرق ، فمن

أراد الاطلاع فعليه به . وأجل علماء نفوسة المتأخرين على الإطلاق وأشهرهم في الآفاق العالمان الجليلان عامر بن علي الشماخي صاحب كتاب الإيضاح الذي طبع مرتين والشيخ الزاهد إسماعيل بن موسى الجيطالي صاحب كتاب القناطر وكتاب القواعد وغيرهما من المؤلفات ولهما تراجم مشهورة . ولم يزل فيها علماء مجتهدون إلى زماننا هذا كالعلامة المؤرخ علي بن يحيى بن معمر والشيخ عمرو النامي وكثير من الأخيار اجتمعت ببعضهم في زماني هذا ومنهم الشيخ سليمان الباروني أكبر مجاهد في تحرير ليبيا وأبوه عبدالله . ومن علماء الجمهورية التونسية ومن جربة خاصة الشيخ أبو خزر المؤلف والشيخ أبو نوح وهما من أجلاء العلماء القدامى وأبو الربيع سليمان بن يخلف المؤلف وأبو حفص عمرو بن جميع والعلامة البرادي صاحب الجواهر وأبو سليمان الثلاثي وأبو ستة والسيد ويكشي وكلهم علماء مشهورون مؤلفون لا سيما أصحاب الديوان الكتاب المعتمد عليه في المذهب الاباضى وإلى زماننا هذا فيها علماء أجلة اجتمعت بهم كالشيخ سالم بن يعقوب والشيخ الهادي وسلالة الشيخ الباروني وغيرهم من الصالحين ، ولجربة تاريخ مجيد في الجهاد ودفع الإفرنج عن الجمهورية التونسية وذلك في القرن الثامن وقتل فيها عدد كبير من الإفرنج حتى اتخذ من رءوسهم برج معروف مكانه إلى اليوم ، وزعم الافرنج وبعض

المؤرخين الجاهلين بها وبأهلها أنها قرصنة وينسى الإفرنج أعمالهم القبيحة ولا يعدونها قرصنة .

ومن علمـــاء الاباضية في الجزاير وتاهرت كانت عاصمتهم كما ذكرنا من المؤلفين الشيخ الجليل أبو يعقوب يوسف إبرهيم صاحب المؤلفات العديدة والكرامات المشهورة ، ومن تاليفاته كتاب العدل والإنصاف وكتاب الدليل والبرهان وترتيبـــه لمسند الربيع بن حبيب وهو من علماء القرن الخامس ومقامه وارجلان وهنالك عدد كبير من العلماء والفضلاء في كل وقت وإلى يومنا هذا ومن علمائها الشيخ أحمد بن محمد بن بكر مؤلف كتـــاب أبى مسئلة ومؤسس بلدة العطف من وادي ميزاب ، ثم انتقل الاباضية من شمال الجزائر وأسسوا بلدانا وقرى عديـدة قريبة من العطف ولا يزال العلماء والأخيار بها إلى يومنا هذا وفيهم المؤلفون المشهورون كالشيخ عبد العزيز الثميني صاحب كتاب النيـل والشيخ القطب فخر المتاخرين الذي ألف في كل فن من الفنـــون ولا سيما شرح النيل ووفاء الضمانة وجامع الشمل في الحـــديث والتفسير فسر القرآن ثلاث مرات واليوم وهنالـك من تفخر بوجودهم الجمهورية الجزايرية كالشيخ بيوض والشيخ ناصر بن محمد المرموري والشيخ عدون والشيخ المهدي والشيـخ يوسف بابانوح والشيـخ عبد الرحمن بكلى المحشى على النيل والشيخ دبوز المؤرخ وعدد من الأخيار في

غارداية وبنورة والعطف وبني يسجن وبريان والقرارة ومليكة، وذكر لي بعض علماء مصر أن هنالك شبابا حلقوا لحاهم وزال حياهم وظنوا أنهم العالمون لا سواهم جهلوا مستواهم ونسوا أصول سلفهم فاغتروا بخلفهم فلن يضروا إلا أنفسهم هداهم الله وفتح لهم أبواب لطفه.

وقبيح بنا وإن قدم العهد هوان الآباء والأجداد
إذ لهم في العلى منازل صدق سنن المصفى طويل العماد

كان في الشام نصرانيان يخدمها رجل مسلم يحفظ شيئاً من القرآن ويتلوه فهداهما الله بسببه في الإسلام واغتر بهم فتنصر. رب إن الهدى هداك وآياتك نور تهدي بها من تشاء.

فصل في أئمة الأباضية في عمان

وأول إمام بويع له في عمان الإمام الجلندي ابن مسعود بن جيفر بن جلندى وهو أحد بني الجلندى بن المستكبر بن مسعود ابن الجرار بن عز بن معولة بن شمس ملوك عمان بعد أولاد مالك بن فهم وكان الجلندى في جيش الإمام طالب الحق فلما قتل جاء إلى عمان فبايعوه فيها وكان في زمانه حاجب والربيع بن حبيب في البصرة وكان أبا عبيدة مسلما غير - موجود في ذلك الوقت وقد حضر البيعة حملة العلم الأربعة وذلك سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقتل سنة أربع وثلاثين ومائة كذا قال ابن الأثير وكانت إمامته سنتين وشهرا وتوفي في زمانه خلف بن زياد البحراني وبقي ي منزلة إمام بعده شبيب بن عطية الأباضي العماني ومحمد بن أبي عفان وفي زمانها بعض جور وقتل حتى اجتمع المسلمون على تقديم الإمام الوارث بن كعب الخروصي وهو أول إمام من بني خروص وهم من اليحمد وذلك في سنة تسع وسبعين بعد المائة وكان القايم بإمامته والبيعة له موسى بن أبي جابر الأزكوي أحد حملة العلم إلى عمان ونص بيعتهم له بايعوه على ما بويع عليه أئمة العدل

وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والشراء في سبيـل الله وإظهار الحق وإخماد الباطل والجهاد في سبيل الله وقتال الفئة الباغية وكل فرقة امتنعت عن الحق حتى تفييء إلى أمر الله لا يستحلون منهم غنيمة مال ولا سبي عيال ولا انتحال هجرة بعد النبي ﷺ ولا يسمون بالشرك أهل القبلة ما بينوا الشهادتين وبعد سنتين توفي موسى عن عمر يبلغ أربعا وتسعين سنة وتوفي الإمام غريقاً سنة اثنتين وتسعين ومائة وكانت إمامته ثلاث عشرة سنة رضي الله عنه وأرضاه وبيعته وموته بنزوى .

ثم بويع للإمام غسان بن عبد الله اليحمدي من الفحج بويع له في اليوم الذي مات فيه الإمام الوارث من عام اثنتين وتسعين ومائة وكان على رأس العلماء الذين تولوا ـ بيعته العلامة سليمان بن عثمان والعلامة مسعدة بن تميم وكانت بيعته بنزوى وبعـد تسع سنوات زار صحار وفي زمانه خصبت عمان وصارت خير دار وتوفي سنة سبع ومايتين وكانت إمامته حوالي ست عشرة سنة وبويع بعده للإمام عبد الملك بن حميد وهو من بـني علي بن سودة بن علي بن عمرو بن عامر مـاء السماء الأزدي وكانت بيعته بعد موت الإمام غسان بيوم وكان على رأس العلماء يومئذ موسى بن علي بن الحصين العنبري ابن ابنة موسى بن أبي جابر وتوفي الإمـام سنة ست وعشرين ومايتين وكانت بيعته وموته بنزوى .

ثم بويع للامام مهنا بن جيفر وهو من اليحمد بويـع له في اليوم الذي مات فيـه عبد الملك بنزوى وعلى رأس العلمـاء يومئذ موسى بن علي المذكور وفي زمانه توفي موسى بن علي رضي الله عنه لثمان ليال خلون من ربيـع الأول سنة ثلاثين ومايتين وبويع للإمام الصلت بن مالك في اليوم الذي مات فيــه المهنا وكان على رأس العلماء بشير بن المنذر أحد حملة العــلم إلى عمان ومحمد بن محبوب بن الرحيل القرشي ولم يزل محمد له قاضياً ومعاضدا حتى توفي بصحار يوم الجمعـة لثلاث خلون من شهر المحرم سنة ستين ومايتين وعمر الصلت إمامته طويلا واشتهر في زمانه علماء أجلة كهاشم بن غيلان وعزان بن الصقر الذي توفي في عصره سنــة ثمان وستين ومايتين بصحار ومسكنه في نزوى وفي زمانه أبو الموثر الصلت بن خميس الخروصي وأبو جـابر محمـد بن جعفر صاحب الجامع المشهور .

وقام عليه موسى بن موسى بن علي يطلب عزله وخرج من دار الإمامة إلى بيته بدون عزل وقدم موسى عليه راشد بن النظر وذلك في سنة اثنتين وسبعين ومايتين وكانت إمامة الصلت خمسا وثلاثين سنة وسبعة أشهر وثمانية عشر يوماً وتوفي بعـد ثلاث سنوات ودفن بنزوى وصلى عليه عزان بن تميم قبل أن يكون عزان إماماً ووقع بعده اضطراب كثير وانشقاق عريض أدى الى انقسام أهل عمان إلى نزوانية ورستاقية .

وبويع في حياته لراشد بن النظر وهـو من اليحمد سنة اثنتين وسبعين ومايتين وفي زمانه الشاعر المشهور أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي .

وبعد مضي أربع سنوات من بيعة راشد اقتضى نظر المبايعين له عزله وتقديم عزان بن تميم الخروصي وذلك سنة سبع وسبعين ومايتين وكان على رأس المبايعين له من العلماء موسى بن موسى وبقيت الأمور في اضطراب شديد حتى خرج بعض رؤساء العمانيين إلى بغداد يستنجدون بالمعتضد العباسي فـأرسل معهم جيشاً انضم إليه عدد كبير من العمانيين فاحتلوا نزوى وغيرها من البلدان المهمة واتبعوا أثر الإمام وكان بسمد الشان فصارت وقعة أسفرت عن قتل الإمام وعدد كبير من العمانيين ومن بينهم أربعمائة عالم وكان هذا سنة ثمانين ومايتين ومع هذا كله لم تخل عمان من علماء أخيار صالحين كالشيخ أبي الحوارى القرى الضرير والشيـخ أبي جابر صاحب الجامع . ويروى أن لهم إماماً سنة اثنتـين وثمانين اسمه محمد بن الحسن الخروصي . وفي رواية أنهم بايعوا في هـذه الفترة ما لا يقل عن ثمانية أئمة وفي ذلك العصر الشيخ أبو مالك الخضر بن سليمان شيخ أبي محمد والشيخ أبو روح بن عربي شيخ أبي سعيد الكدمي حتى أمدهم الله بالإمام العادل سعيد بن عبد الله ابن محبوب وكانت بيعته سنة عشرين وثلثمائـة وكان على رأس العلماء يومئذ أبو محمد الحواري بن عثمان وأبو محمد عبد الله بن محمد

ابن أبي المؤثر ومحمد بن زايده السمايلي وكان على سجنه الإمام الكدمي أبو سعيد المؤلف المشهور وقتل شهيدا بعد ثماني سنوات من إمامته وبويع للإمام راشد بن الوليد الكندي وكان على رأس العلماء المبايعين له أبو محمد عبدالله بن محمد بن أبي المؤثر الخروصي ولبث في إمامته حوالي أربع عشرة سنة وصارت عمان بأيدي الجبابرة فاعتزل الإمام دار الخلافة إلى منزله حتى توفاه الله والعلماء موجودون ولم تنقطع الدعوة وربما يقدمون إماماً ويعاجل بالقتل، ومن جهة أخرى فنفس اختلاف العمانيين يرهقهم الشتات والتفرق حتى بويع للإمام الخليل بن شاذان بن صلت بن مالك سنة سبع وأربعماية وكان في زمانه من العلماء محمد بن المفدى الكندي والحسن بن أحمد شيخ صاحب كتاب بيان الشرع، وفي زمانه وزمان الإمام راشد بن سعيد زار عمان الإمام الشاري إبراهيم ابن قيس الحضرمي وله أشعار ذكرنا بعضها في ترجمته وتوفي في أوائل سنة خمس وعشرين وأربعمائة.

ثم بويع بعده للإمام راشد بن سعيد وهو من اليحمد بويع له بعد موت الخليل وبقي في الإمامة إلى سنة خمس وأربعين وأربعماية وله أشعار حماسية منها:

متى يكسب المعروف من كان همه غداء يغدى أو كعوب تراقبه

وفي زمانه أبو الحسن البسياني وأبو محمد بن بركة وأبو سعيد

الكدمي والحسن بن سعيد بن قريش وبويع بعده لولده حفص بن راشد وبويع بعده للإمام راشد بن علي سنـــة اثنتين وسبعين وأربعمائة وفي زمانـه الحسن بن أحمد الهجاري ومحمد ابن عيسى السري ونجاد بن موسى وتوفي سنة ثلاث عشره وخمسماية وبويع بعده للإمام محمد بن أبي غسان ولأبي المعـــالي وغيرهما من الأئمة الكثيرة مع اضطراب الأحوال وافتراق الكلمة النزوانية الرستاقية وفي هذا الزمان الشيخ أحمد بن عبدالله صاحب كتاب المصنف والمشائخ أولاد محمد بن صالح وذراريهم العلماء أبناء العلماء وآباء العلماء وفي مدة قرنين تقريباً اختفى صوت الإمامة في عمان وتولى الأمر ملوك النباهنة وقتلوا كثيراً ودمروا كثيراً ومن ضحاياهم العلامة الجليل أحمد بن النظر الشاعر العـالم صاحب كتاب الدعايم وسلك الجمان في سيرة أهل عمان وهو من سلالة العالم الكبير الخضر بن سليمان وفي هذا الزمان مرّ الرحالة المشهور بعمان ابن بطوطة وفي سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة بويـع للإمام الحواري أبي مالك وفي زمانه العلامة سليمان بن أحمد مفرج البهلوي ولبث في الإمامـــة حوالي ثلاث وعشرين سنة ثم بويـع بعده للإمام أبي الحسن بن خميس بن عامر سنة تسع وثلاثين وثمانماية وبقى في إمامتـــه سبع سنين وشهرين وفي زمانـه العلامـــة ورد بن أحمد بن مفرج البهلوي المتوفي سنة أربع وسبعين وثمانماية ثم بايعوا عمر بن الخطاب بن محمد بن أحمد بن شاذان بن صلت بن مالك وذلـك في سنة خمس وثمانين وثمانماية وقضى بتفريق أموال الجبابره بني نبهان واستعمل

فيه المحاماة فترك وكيلا يدافع عن الظالمين ووكيلا يدافع عن المظلومين وحاكماً يحكم بينهم وفي زمانه من العلماء سعيد بن زياد بن أحمد بن راشد البهلوي وأبو عبدالله محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج بن محمد بن عمر بن أحمد بن مفرج وأحمد بن صالح بن محمد بن عمر وكلهم علماء أقطاب فحول كمله ومنهم علي ابن عبد الباقي وكانت إمامته تسع سنين ودفن بنزوى ثم بايعوا لمحمد بن سليمان بن مفرج ثم بايعوا لأبي الحسن بن عبد السلام وفي زمان هاؤلاء الأئمة ملوك بني نبهان الذين صار بينهم قتال حتى استتب الأمر للإمام محمد بن اسماعيل بن عبدالله بن محمد بن اسماعيل الحاضري وهو رجل من قضاعة ويتصل نسبه بالنبي هود عليه السلام وكانت بيعته سنة ست وتسعماية ولبث في إمامته ستا وثلاثين سنة وتوفي رضي الله عنه سنة اثنتين وأربعين وفي زمانه من العلماء عبد الباقي بن عمر ومحمد بن سليمان بن محمد بن عمر وأبو القاسم بن شايق بن عمر وأبو القاسم محمد بن سليمان وسعيد ابن زياد ومداد بن عبد الله بن مداد وعدد كبير من فحول العلماء ثم بويع من بعده لولده بركات بن محمد بن إسماعيل في اليوم الذي مات فيه أبوه وكان على رأس العلماء المبايعين عبد الله بن عمر بن زياد الشقصي ومحمد بن أحمد بن غسان وصار بين الإمام وبعض ملوك النباهنة ورؤساء القبايل بعض التنافس وتوفي الإمام وأهل عمان في صراع شديد حتى أدرك الله الأمة بالدولة اليعربية فجاء

الإمام ناصر بن مرشد بن مالك بن أبي العرب من ولد نصر بن زهران فجمع شملها وداوى جراحها وأصلح شأنها وزالت بسببها النزوانية والرستاقية وأصبحت مسلمة فطرية محمدية ذات أسطول عالمي هزم البرتغال وطهر الخليج من الجنوب إلى الشمال وأعادت لعمان الشرف الباذخ والمجد الشامخ فقد بويع الإمام ناصر سنة أربع وعشرين بعد الألف وكان على رأس العلماء الشيخ خيس بن سعيد الشقصي الرستاقي مؤلف منهج الطالبين في واحد وعشرين جزءاً وفيهم من العلماء الشيخ مسعود بن رمضان النبهاني النزوي وصالح بن سعيد الزاملي العقري وكان عدد العلماء الحاضرين أكثر من أربعين عالماً وذلك في بلد الرستاق وتوفي سنة خمسين بعد الألف .

ثم بويع بعده للإمام سلطان بن سيف بن مالك ابن عمه في اليوم الذي مات فيه الإمام فغزا الهند واستمر في نضاله ضد البرتغال وتقوية الأساطيل وتعمير البلاد - وتأمينها ولبث في إمامته حوالي إحدى واربعين سنة وكان في زمانه عدد كبير من العلماء منهم الشيخ درويش بن جمعه المحروقي المؤلف والشيخ خلف بن سنان الغافري .

ثم بويع بعده لابنه بلعرب بن سلطان في اليوم الذي مات فيه أبوه من عام واحد وتسعين بعد الألف وكان على رأس العلماء في ذلك الوقت محمد بن عبد الله بن عبيدان وفي زمانه الشاعر

المشهور راشد بن خميس بن جمعه الحبسي ومات الإمام سنة أربع ومابة بعد الألف ودفن بقصره الذي بناه ثم بويع لأخيه سيف بن سلطان قيد الأرض واستمر في جهاده واحتل شرق أفريقيا متابعة لجهاد سلفه وتوفي سنة ثلاث وعشرين بعد الماية بالرستاق وكان في زمانه عدد كبير من العلماء كالعلامة الجليل سعيد بن بشير الصبحي وناصر بن خميس الحمرا شدى وخلف ابن سنان الغافري وعدي ابن سليمان الذهلي وناصر بن سليمان بن مداد .

ثم بويع بعده لابنه سلطان بن سيف سنة ثلاث وعشرين ومابة بعد الألف وبنى حصن الحزم ويقال إنه اقترض من وكيل أموال المساجد والأوقاف خسماية فراسلة فضة والفراسلة عشرة أمنان والمن أربعة وعشرون كياسا والكياس سبعة مثاقيل والمثقال وزن ثلاثة قراريط والقيراط تسعون حبة شعير متوسط وكان في زمانه من العلماء الذين ذكرناهم سابقا وزيادة وتوفي سنة إحدى وثلاثين ومابة وبموته انتقض الشر في عمان وكثرت الفوضى والفتن .

فقد بويع بعده للإمام مهنا بن سلطان بن ماجد بن مبارك بن بلعرب في ذلك العام ولم يبق في امامته أكثر من ثلاث سنوات فخذل وقتل .

وبويع بعده للإمام يعرب بن بلعرب بن سلطان بن سيف في ذلك العام وقامت الحروب بين القبايل وحرقت عدة مكاتب

وقتل عدد كبير من رجال العلم والإصلاح واعتزل الإمامة وقدموا بالرغم سيف بن سلطان وكان صغيراً إلا أن محمد بن ناصر الغافري أخذ البيعة وهنا انقسم أهل عمان إلى غافري وهناوى فالغافرية اتباع محمد بن ناصر والهناوية أتباع خلف بن مبارك الهنائي وبقيت حزازات في قلوب القبايل العمانية يتقاتلون باسمها وأدخلوا العجم في البلاد فعاثوا في الأرض الفساد حتى أغاث الله البلاد بالإمام أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد البوسعيدي بويع له سنة سبع وستين وماية بعد الألف وبه انقرضت دولة اليعاربة بعد صراع دام بينهم حوالي أربعين سنة وكان في ذلك الوقت من العلماء العلامة الصبحي المذكور الذي توفي قبل دخول العجم إلى عمان والعلامة حبيب بن سالم امبو سعيد النزوي والشيخ سعيد بن احمد الكندي وكانت أيامه أيام راحة واستراحة وتوفي بعد تسع وعشرين سنة من إمامته وبقيت عمان حوالي تسعين سنة لم يكن بها إمام متفق عليه ولكن العلماء الأخيار فيها كثير كالشيخ العلامة الرباني جاعد بن خميس بن مبارك الخروصي صاحب التاليفات العديدة والأسرار المنيرة والكرامات الشهيرة والفتاوى النيرة وتوفي سنة سبع وثلاثين ومايتين وألف وابنه العلامة ناصر بن أبي نبهان وتوفي بزنجبار سنة ثلاث وستين ومايتين وألف وعمره سبعون سنة وأخوه نبهان والسيد مهنا بن خلفان البوسعيدي ضرير البصر من أهل مسكد والشيخ العلامة جميل بن خميس السعدي مؤلف

القاموس في تسعين جزءاوقد نسخه بخط يده ثلاث مرات شرع في تاليفه عام ست ومايتين بعد الألف ولم أجد تاريخاً لموته إلا أني وجدت بخط يده سنة اثنتين وسبعين ولم يدرك الإمام عزان ومنهم الشيخ سلطان بن محمد البطاشي المتوفي عام واحد وسبعين ومايتين والشيخ سالم بن سعيد الصايغي مؤلف الأرجوزة واللباب والعلامة خميس بن راشد العبري والد الشيخ ماجد بن خميس ثم بايعوا للإمام عزان بن قيس بن عزان بن قيس بن الإمام أحمد وذلك سنة خمس وثمانين ومايتين وألف وكان على رأس العلماء العلامة المحقق سعيد بن خلفان بن أحمد بن صالح الخليلي والشيخ صالح بن علي بن ناصر الحارثي والشيخ محمد بن سليم الغاربي السعدي الذي توفي عام واحد بعد ثلاثماية وألف وفي زمانه سالم بن عديم الرواحي وحمد بن سليمان اليحمدي ومحمد بن خميس السيفي وجمعة بن خصيف الهنائي وبقي في إمامته سنتين وأربعة أشهر ونصف حتى قتل رضي الله عنه وقام بعده بمنزلة إمـــام الشيخ صالح بن علي الحارثي آمراً وناهياً حتى قتل عام ألف وثلاثمائة وأربع عشرة وعمره ينيف على الستين سنة وبقى ابنـــه عيسى ابن صالح العلامة الجليل مشمراً عن ساق وكان بجانبه العلامة الجليل المؤلف عبدالله بن حميد بن سلوم السالمي أحد تلامذة الشيخ صالح وفي زمانهما من العلماء الشيخ أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي والشيخ عبدالله بن راشد الهاشمي والشيخ محمد بن مسعود

البوسعيدي والشيخ حمد بن سيف البوسعيدي والشيخ سعيد بن حمد الراشدي والشيخ راشد بن سيف اللمكي والشيخ ماجد بن خميس العبري والشيخ سيف بن ناصر الخروصي والشيخ علي بن محمد المنذري والشيخ راشد بن سليم الغيثي الحارثي والشيخ محمد بن سليمان الخروصي ثم بويع للإمام سالم بن راشد الخروصي سنة واحدوثلاثين وثلاثمائة وألف وكان على رأس العلماء يومئذ العلامة الجليل المؤلف نور الدين عبدالله بن حميد السالمي وحضر البيعة العلامة عـامر بن خميس المالكي والعلامة أبو زيد عبدالله بن محمد الريامي والعلامة محمـد بن سالم الرقيشي والشيخ عبدالله بن راشد الهاشمي والشيخ عامر بن علي الحبسي وبعد سنة من بيعته توفي العلامة السالمي عن عمر يناهز الخمسين سنة وقتل الإمام بعد سبع سنوات من إمـامته في بلد الخضرا وبايعوا بعده للإمام محمد بن عبدالله بن سعيد بن خلفان الخليلي بعد أيام من قتل الامام وكان القائم بإمامته العلامه الأمير عيسى بن صالح بن علي الحارثي المتوفي سنة خمس وستين عن عمر يبلغ خمسا وسبعين سنة وحضر البيعة عدد من العلمـاء كالشيخ ماجد بن خميس العبري الذي أدرك الإمام عزان والإمام سالما وهذا الإمام الثالث الذي توفي سنة ستة وأربعين عن عمر يناهز المائة ومنهم العلامة المالكي عامر بن خميس ابن مسعود المتوفي في هذه السنة سنة ستة وأربعين عن عمر يبلغ ستا وستين سنة ومنهم الشيخ أبو زيد الريامي المتوفي سنة ست وستين وعمره ثلاث

وستون سنة والشيخ إبراهيم بن سعيد بن محسن العبري الموجود حالياً ولبث الإمام في إمامته إلى سنة ثلاث وسبعين وتوفي ليلة ٢٩ شعبان من السنة المذكورة واستخلف على المسلمين الإمام غالب ابن علي بن هلال الهنائي وبايعه كل من العلماء والزعماء وكان على رأس العلماء العلامة محمد بن سالم بن زاهر الرقيشي المتوفي سنة ثمان وسبعين عن عمر يناهز الثمانين سعيد بن تيمور السلطان في سجن وفي زمان الإمـــام الخللي توفي العلامة الجليل عبدالله ابن عامر ابن مهيل العزري والعلامـــة الجليل سعيد بن ناصر ابن عبدالله الكندي سنة خمس وخمسين عـــن عمر يناهز الثمانين أما الشيخ العزري فكانت وفاته بعـــد الشيخ الكندي بثلاث سنوات عن عمر يبلغ الستين وبقي الإمـــام غالب في الإمامة حوالي عشرين شهراً واعتزل الإمامة وأعمال المسلمين إلى بيته وذلك في سنة خمس وسبعين وثلاثماية وألف في آخر ربيع الثاني ولم تزل عمان إلى اليوم معمورة بالعلمـــاء والفضلاء والصالحين . وممن يرجع إليهم في وقتنا هذا العلامة الجليل محمد بن شامس البطاشي المؤلف والشيخ إبراهيم بن سعيد العبري والشيخ أحمد بن حمد بن سليمان الخليلي والشيخ سعيد بن خلف الخروصي والشيخ سالم بن حمود المؤلف السيابي والشيخ ـ المفسر الجليـــل سعود بن سليمان بن جمعة الكندي وكان هو والشيخ سالم من قضاة الإمام الخليلي وتوفي منذ سبع سنوات العلامة الجليل خلفان بن جميل السيابي عن عمر يناهز الثمانين والشيخ حمد بن عبيد السليمي

وكلاهما من قضاة الإمام الخليلي ومن علمائنا المعاصرين الشيخ النزيه المؤلف سيف بن عبد العزيز الرواحي والشيخ سعود بن عامر بن خميس المالكي والشيخ سالم بن محمد الحارثي من القابل والشيخ ناصر الدين سعيد بن سالم النعماني من المضيرب وأصله من الباطنة وكل هؤلاء كانوا قضاة للإمام الخليلي والإمام غالب ومنهم الشيخ ابو حميد حمد بن عبدالله بن حميد السالمي المتوفي سنة خمس وثمانين وثلاثماية والف في شهر شعبان عن عمر ينيف على الستين سنة وكنت إذ ذاك بالهند في صحبة والدي حمد بن سليمان بن حميد الحارثي الذي توفاه الله عام ٨٩ عن عمر يبلغ أربعا وسبعين سنة وتوفي أخوه عبدالله بن سليمان سنة إحدى وتسعين عن عمر يبلغ تسعين سنة وكان من تلامذة الشيخ السالمي وكان عالما حافظا رئيس الجمعية العربية بزنجبار وتوفي أبوهما سليمان بن حميد سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وألف وتوفي أبوه عبدالله بن سليمان بن محمد بن عيسى بن صالح بن راشد بن سعيد وكان راشد بن سعيد قاضي الإمام سيف بن سلطان اليعربي توفي عبدالله سنة ثمان وخمسين ومايتين وألف ومسكنهم بلد المضيرب من شرقية عمان ومن قضاة الإمام الخليلي الجامعين بين العلم والعمل الشيخ سالم حمد البراشدي من بلدة سناو وتوفي سنة ١٣٧١ والشيخ عبدالله بن غابش الحبشي من بلدة القابل وأصله من الباطنة ومن المتقدمين الشيخ جمعة بن سعيد المغيري كان من العلماء

الفضلاء وتوفي سنة ١٣٢٤ ومن قضاة الإمام الخليلي الشيخ سعود بن حميد بن خليفين الحارثي بالولاء توفي ١٣٧٣ من أهل المضيرب ومنهم الشيخ سيف بن حمد الأغبري وكان عالما طبيبا والشيخ محمد بن حمد الزاملي الرستاقي وللشيخ أبي مسلم ناصر بن سالم الرواحي المتوفي سنة ١٣٣٩ يصف نزوى وائمتها من قصيدة طويلة :

وافرق بها البيد حتى يستبين لها
فرق على بيضة الإسلام عنوان
فإن تيامنت الحوراء شاخصة
لها مع السحب أكناف وأحضان
فحط رحلك عنها إنها بلغت
نزوى وطافت بها للمجد أركان
فطالما وخدت تبغي لبانتها
كأنهن مع الأنضاء عقبان
انزل فديتك عنها إن حاجتها
عدل وفضل وإنصاف وإحسان
انزل فديتك عنها إن وجهتها
تحت الأئمة مذ كانت ومذ كانوا
هنالك انزل وقبّل تربة نبتت
بها الخلافة والإيمان إيمان

انزل على عرصات كلهــا قدس
للحق فيهن أزهــار وأفنــان
انزل على عرفات النور حيث حوت
أئمــة الدين قيعان وظهران
حيث الملايكة احتلت مشاهدهم
لها على الحــل والتعريج ادمان
أرض مقدسة قد بوركت وزكت
تنصب فيهــا من الأنوار معنان
ما طار طائرهــا لله محتسبا
له جناحان إيقــان وعرفان
إلا وقام يمــين الله ساعده
والفتح والنصر والتاييد أعوان
ميمونة بركات الله تنفحهــا
واليمن يثمره عــلم وإيمــان
رست بها هضبة الإسلام من حقب
وإن قضت باستتار العدل أحيان
قديمة الذكر عــاذ الدين عائذها
من يوم أصبح توحيــد وقرآن
قامت بها قبة الإسلام شامخــة
حتى تواضع بهرام وكيوان

ولم تزل عرصة للعدل عاصمة

للاستقامة فيهـــا الدهر سلطان

كم أشهر الله فيها من حسام هدى

كأنهـــا لسيوف الله أجفان

كنانة لسهام الله مـــا فرغت

مذ كان للجور سلطان وشيطان

بحجة الله قامت في الشقاق لهـــا

بدين ذي الثفنات الحـــبر إيقان

تعاقبت خلفاء الله منصبهـــا

منـــذ الجلندي وختم الكل عزان

أئمـــة حفظ الدين القويم بهم

من يوم قيـــل لدين الله أديان

صيد سراة أباة الضيم أسد شرى

شمس العزائم أوّاهون رهبان

سفن النجاة هـــداة الناس قادتهم

طهر السراير للإسلام حيطـــان

تقبلوا مـــدح القرآن أجمعها

إذا استحق مديح الله إيمـــان

جدوا إلى الباقيات الصالحات فلم

يفتهم في التقى سر وأعـــلان

على الحنيفية الزهراء سيرهم
والوجه والقصد إيمان وإحسان
بسيرة العمرين استلئموا وسطوا
لشربة النهروان الـثكل عطشان
صعب الشكائم في ذات الإله فإن
حناهم الحق عن مكره لانوا
مسومين لنصر الله أنفسهم
أرواحهم في سبيل الله قربان
سبق إلى الخير عن جد وعن كيس
دانوا النفوس فعزت حيثما دانوا
سيماهم النورفي خَلق وفي خُلُق
وهديهم سنة بيضاء تبيان
مقيّدون بحكم الله حكمتهم
وهمهم حيثما كان الهدى كانوا
هم أسمع الناس في حق وأبصرهم
وفي سواه هم صم وعميان
لم تلههم زهرة الدنيا وزخرفها :
إذ همهم صالح يتلوه رضوان
باعوا بباقية الرضوان فانيهم
كأن لذة العيش أوثان

وقفٌ على السنة البيضاء سعيهم
وفي الجهادين إن عزوا وإن هانوا
ما زايلت خطوة المختار خطوتهم
ولا ثنى عزمهم نفس وشيطان
فجاهدوا واستقاموا في طريقته
عزومهم لصروح الدين أركان
وسلطوا بحدود الله حكمهم
حتى استقام لحكم الله سلطان
أولئك القوم أنواري هديت بهم
عقبي محبتهم عفو وغفران
أئمتي عمدتي ديني محبتهم :
غوثي إذا ضاق بي في الكون إمكان
لا يقبل الله دينا غير دينهم
ولا يصح الهدى إلا بما دانوا
من عهد بدر وأحد لا تزعزعهم
عن موقف الحق أزمات وأزمان
حقيقة الحق ما دانوا به وأتوا
وما عداه أخاليط وخمان
أن يشرف الناس في الدنيا بثروتهم
فثروة القوم إخلاص وإيقان

لله ما جمعوا لله ما تركوا
لله أن قربوا لله أن بانوا
أزكى الصنيعين ما كان الهدى معه
لديهم وله في الحق رجحان
تراهم في ضمير الليـــل صيرهم
مثـــل الخيالات تسبيح وقرآن
هم الاباضية الزهر الـــكرام لهم
بعزة الله فوق الخلق سلطان
لا يعرف العدل إلا في استقامتهم
لم يوف إلا لهم في العدل ميزان
في الذب عن حرمات الله شأنهم
لا شأن دنياهم نيل وحرمان
رضوا ببلغـــة محياهم على خطر
منها كأنهم بالبلغـــة اختـــانوا
سيما التعفف تكسوهم جلال غنى
فالقلب في شبع والبطن خمصان
سمت الملوك وهـــدى الأنبياء على
أخلاقهم فكان الفقـــر تيجان
تمثلت لهم الدنيا فـــا جهلوا
حقيقة الأمر إن العيس ثعبان

جازوا الجسور خفاف الحاذ وقرهم
زهد وخـــوف واصبار وشكران

فاز المخفون من دار الغرور فلا
خوف عليهم ولا بالقوم أحزان

مضوا وآثـــارهم نور وذكرهم
رحمى ومضجعهم روح وريحـــان

تتابعوا دولة في إثر سابقـــة
كما جلى الرسل أحيان فاحيـــان

وهي طويلة جداً ذكر فيها عدداً من القبايل العمانية والأشخاص الدينية قال صاحب كتاب عمان لشركة الزيت الأمريكية :

الإمامة منشأة قديمة في عمان ترتد إلى القرن الثاني من العصر الهجري الموافق للقرن الثامن من العصر المسيحي وقـــد أنشأ الاباضيون من المسلمين هذه المنشأة وصانوها هناك وهم فرع من الخوارج الذين قاموا بحركة عصيانية دينية محافظة وانفصلوا عن الكيان الرئيسي لاتباع الإسلام في أيام علي بن أبي طالب وقـــد قصد بعضهم إلى شرق الجزيرة العربية واستقروا بجبال عمان حيث نشروا عقائدهم التي تعرضت لتغييرات يسيرة في القرون المتتالية ويمكن اعتبار إمامة الاباضيين في عمان من المخلفات الحية

للخلافة الإسلامية الأولى ولا يزال الإمام الاباضي يختار بطريقة تكاد تماثل طريقة اختيار الخلفاء الأولين في القرن الهجري الأول وليس مما يغفل شأنه أن نعرف أن لقب الإمام نفسه كان يطلق على الخليفة أحياناً في تلك الأيام انتهى كلامه.

تنبيهان الأول في ذكر
بعض مؤلفات علماء الاباضية

قال في كتاب السير أرسل الإمام عبد الوهاب بن عبدالرحمن ابن رستم إمام المغرب الذي بويع له في عام ماية وواحد وسبعين للهجره أرسل ألف دينار إلى علماء الأباضية بالبصره يطلب بها كتباً فاشتروا له بذلك الألف قرطاساً فنسخوا له فيه وقر أربعين جملا كتبا وقال الشيخ أحمد بن محمد بن بكر من علماء الأباضية في القرن الخامس بالجزائر قال دخلت الديوان بجبل نفوسه أطالع مسئلة فبقيت ستة أشهر أقرأ وأطالع ولا أنام إلا فيما بين أذان السحر إلى صلاة الفجر قال وتأملت ما فيها من تاليف أصحابنا المشارقه فإذا هي نحو من ثلاثمايه وثلاثين ألف جزء فتخيرت أكثرها فائدة فقرأته وكان للشيخ خلف بن سنان الغافري أحد قضاة الإمام سيف بن سلطان اليعربي مكتبة تحتوي على سبعين وثلاثمايه وتسعة آلاف كتاب وكلها مخطوطه وأنشد :

لنا كتب في كل فن كأنها جنان بها من كل ما تشتهي النفس

جرى حبها مني ومن كل عـالم ذكي الحجى والفهم حيث جرى النفس
فلا أبتغي ما عشت خلاً مؤانسا سواها فنعم الخل لي وهي الأنس
ولست أرجى أن يفوز بمثلها على غابر الأيام جن ولا إنس
ثلاث مئين ثم سبعون عدها وتسعة آلاف لهـا ثمن بخس

وقد ذكرت سابقاً مدونة جابر بن زيد الذى ذكرها صاحب كشف الظنون ومدونة أبي غانم الخراساني التي رتبها قطب الأئمة أخيراً في مجلدين متوسطين ماخوذة عن سبعة من تلامذة الربيع ابن حبيب من علماء القرن الثاني عسى أن يتم طبعها على يدي في العام المقبل إن شاء الله ومسند الربيع بن حبيب وملحقاته في أربعة أجزاء شرحه العلامه أبوستة الجربي وشرح جزأين منـه العلامه السالمي وهو في الحديث وهو العمدة مع أهل المذهب وكتاب ضمام بن السايب من رواية أبي صفرة في الحديث أيضـاً وكتاب أبي سفيان محبوب بن الرحيل وكتاب ابنه محمد بن محبوب يقال إنه سبعون جزءاً وكتاب الخزانه لابنـه بشير بن محمد في سبعين سفراً وله كتاب البستان وكتاب الرضف في التوحيد وكتاب المحاربة وتفسير القرآن للشيخ هود بن محكم الهواري من علماء القرن الثالث يحاول بلحاج بن الشيخ عدون بالجزائر طبعـه وقد هياه لذلك والتفسير الكبير للشيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم من علمـاء الجزاير في القرن الخامس في ثمانيـة مجلدات وله كتاب العدل والإنصاف في أصول الفقه وكتاب الدليل والبرهان في أصول الدين وهو في ثلاثة أجزاء وكتاب الإمـام سعيد بن عبدالله بن

محمد بن محبوب وكتاب الضيا لسلمة بن مسلم الصحاري في أربعة وعشرين جزءا وكتاب الكفاية لمحمد بن موسى الكندي في واحد وخمسين جزءا وله كتاب جلاء البصاير ولابن عمه كتاب بيان الشرع - المتداول بين علماء العمانيين والمعتمد عليه في اثنين وسبعين جزءا وله أي لصاحب بيان الشرع الشيخ محمد بن إبراهيم مؤلفات عديدة كقصيدة العبيرية في وصف الجنة والنعمة أرجوزة وكتاب المصنف لابن عمهما الشيخ أحمد بن عبدالله الكندي في واحد وأربعين جزءا وهؤلاء كلهم أبناء عم فقبلهم صاحب بيان الشرع توفي عام ثمانية بعد خمسماية ويليه صاحب الكفاية ويليه صاحب المصنف توفي عام سبعة وخمسين بعد خمسماية ولصاحب المصنف مؤلفات كالتسهيل في الفرايض والتخصيص في الولاية والبراءة والجوهري في أصول الكلام وكتاب الاهتداء وكتاب سيرة البررة وكتاب التيسير في النحو وله كتاب الذخيرة وكتاب التاج لأبي عبدالله عثمان بن عبدالله الأصم ذكر ترجمته في الموسوعة الفقهيه وهو في واحد وخمسين جزءا وله كتاب النور في الكلام وكتاب البصيرة وكتاب الأحكام وكتاب الأنوار في الأصول وكتاب الاستقامة للإمام أبي سعيد الكدمي من علماء القرن الرابع وله كتاب المعتبر في تسعة أجزاء وكتاب الجامع المفيد من جواباته في مجلدين ضخمين وله كتاب زيادات الأشراف والجامع المشهور بجامع بن جعفر وعليه حواشي متعددة عن جملة من العلماء في ثلاثة مجلدات ضخمه وكتاب جامع أبي محمد بن بركة وللمؤلف كتاب التقييد

وكتاب الموازنة وكتاب المبتدأ وكتاب التعارف وكتاب الإقليد وكتاب جامع أبي صفرة وكتاب الأكله وحقائق الأدلة" لنجاد بن موسى المنحي في خمسة أجزاء وله كتاب الإرشاد وكتاب الحوالة وله كتاب السيرة وجامع أبي علي موسى بن علي من علماء القرن الثالث وكتاب الإيضاح للقاضي سعيد بن قريش في ثلاثة مجلدات وكتاب الإيضاح لأبي زكريا يحيى بن سعيد الهجاري في أحكام ـ القضاء في جلدين وكتاب الإيضاح لأبي ساكن عـــامر بن علي الشماخي النفوسي في أربعة أجزاء طبـع مرتين وعليـه حواشي مفيدة وكتاب العقيدة له واختصر الإيضاح العلامـــة عبد العزيز الثميني وزاد عليه غيره وشرح الجميع القطب محمد بن يوسف في عشرة مجلدات واسمه النيل وكتاب قواعد الإسلام للشيخ إسماعيل ابن موسى الجيطالي النفوسي وعليه حواشي وله كتاب القناطر على طريقة الإحياء للغزالي في ثلاثة أجزاء وله شرح قصيدة فتح بن نوح في أصول الدين في ثلاث مجلدات وله كتـــاب الفرايض وكتاب المناسك وكتاب أبي مسئلة لأحمد بن محمد بن بكر من علماء الجزاير في جزأين وله كتاب أصول الأرضين وله كتـاب القسمه وتبين أفعال العباد في ثلاثة أجزاء وله كتاب الألواح وله كتاب الدما في خمسة وعشرين جزءاوكتاب دعايم الاسلام للعلامة أحمد ابن النظر العماني من علماء القرن السادس وعليـــه شروح عديدة منها لابن وصاف النزوي في جلدين كبيرين سماه الحـل والإصابة

وشرحه أحمد بن عبد الله الرقيشي الأزكوي سمـــاه مصباح الظلام على دعايم الإسلام وأبو القاسم البرادي صاحب كتاب الجواهر سماه شفاء الحايم على بعض الدعائم شرحه القطب محمد بن يوسف ولابن النظر كتاب قرى البصر في مجمع المختلف من الأثر في أربـــعة مجلدات وله كتاب سلك الجمان في سير أهل عمان في جلدين وكتاب التضميد في التقليد في جلدين وكتاب البصيرة لصالح بن وضاح في جلدين وجامع أبي الحـواري في الأديان وله سيرة طويلة إلى علماء حضرموت وكتاب منهج الطالبين للشيخ خميس بن سعيد الشقصي مؤسس دولة اليعاربة في واحد وعشرين جزءاً وكتـــاب مراهم القلوب في مناجاة المحبوب تاليف محمد بن أحمد بن إبراهيم وكتاب الإيجاز لأحمد بن خليل السيجاني وجامع أبي قحطان خالد بن قحطان في جلدين وكتاب الأشياخ جمعه العلماء في رباطهم في دما زمان الإمام غسان وكتاب الرهاين وكتاب الرقاع في أحكام الرضاع في مجلدين لجد الشيخ ابن النظر قاضي القضاة ـ عبد الله بن أحمد وكتاب الأحداث والصفات للشيخ أبي الموثر وله كتـاب البيان والبرهان وكتاب الأمة لسلمة بن مسلم صاحب كتـاب الضياء وله كتاب الأنساب وكتاب مفتاح الشريعه تاليف محمـــد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد الشجبي وكتـاب الكشف والبيان تاليف محمد بن سعيد القلهاتي في جلدين وجامع أبي الحسن البسياني في جلدين على طريقة جامع أبي محمد في الأصول والقواعد وله كتـــاب المختصر

وله السيرة الكبيرة المعروفة وله سير غيرهـــا وكتاب مختصر الخصال للإمام إبراهيم بن قيس الحضرمي وكتـاب الصلاة والصلة لعمرو بن علي المقعدي الوبلي الرستاقي وله زهرة الأدب وكتاب مختصر العدل والإنصاف وشرحـه للشيخ أحمد بن سعيد الشماخي وشرح الجميـع القطب محمد بن يوسف في ثلاثة مجلدات وكتـــاب السير للشيخ أحمد المذكور وله شرح مرج البحرين في علم المنطق والهندسة والحساب وكتاب الموجز لأبي عمار في أصول الدين والرد على المخالفين وله شرح الجهالات مجلد وله أيضاً كتاب الفرايض وكتاب اختلاف الفتيا وكتاب عمروس بن فتح في أصول الكلام في أربعة أسفار وكتاب الجنـــاوى في سفرين وكتاب الوضع ليحيى الجناوني طبـع مرتين·وحشى عليـــه ابو ستة واختصره وزاد عليه القطب بن يوسف وكتاب الشيخ أبي سليمان داود بن يوسف سفر وكتاب الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف في جلدين في أصول الدين وكتاب الشيخ أبي خزر في أصول الدين وكتـاب الشيخ أبي زكريا في السير مجلدان وكتاب الأشياخ المعروف بالديوان في ستة أسفار وكتاب السؤالات لأبي عثمان وعليه حواشي وكتاب الشيخ تبغورين بن عيسى في الكلام وله أيضاً كتـــاب الجهالات وله أيضاً كتاب الأدلة والبيان في أصول الفقه والكتاب المعروف بالمعلقات في أخبـــار أهل الدعوة وجوابات الشيخ أبي يعقوب يوسف بن خلفون ورسالة أهل جبل نفوسة وكتاب الطبقـــات

لأحمد بن سعيد الدرجيني وكتاب المناسك لأبي زكريا يحيى الأبدلاني وكتاب دلايل الخيرات للشيخ درويش بن جمعه المحروقي طبع وكتاب التبيان له في مجلدين ضخمين وكتاب اللباب في أربـــع مجلدات للشيخ سالم بن سعيد الصايغي وله الأجوزة التي زاد عليها وهذبها نور الدين السالمي وله كتاب الجواهر في خمسة عشر جزءا وبيع بعض أجزائه قريباً عن ثلاثين وأربعماية ريال عماني.

وكتاب الدقاق لأعناق أهل النفـاق للشيخ جاعد بن خميس الخروصي وله مؤلفات عديدة ورسايل وقصايد مشروحـة. ولولده ناصر كتب متعددة تضمنهــا قاموس الشريعة للشيخ جميل بن خميس السعدي الذي هو في تسعين جزءا معروف ومشهور وجامع الشيخ ابن عبيدان وجامع الشيخ سعيد بن بشير الصبحي في مجلد ضخم قد رتبته والتمهيد للشيخ سعيد بن خلفان الخليلي في ثلاثـة أجزاء رتبه الشيخ محمد بن خميس السيفي وله كتــاب كرسي الأصول في أصول الدين وكتاب الأقاليــد في علم الصرف ضخم جداً وكتاب الخزاين في سبعـــة أجزاء ضخمة للشيخ موسى بن عيسى البشري واختصره في ثلاثة مجلدات ضخمة جدا سماه مكنون الخزاين وعيون المعادن وللشيخ القطب محمد بن يوسف مؤلفـات عديدة مذكورة في ترجمته أهمها تفسير القرآن مرتين الأول في ثلاث عشرة قطعة ضخمة والثاني في ستة أجزاء وله شرح النيــل في عشرة أجزاء طبــع مرتين وللشيخ السالمي كذلك مؤلفـــات

عديدة مذكورة في ترجمته أهمها معارج الآمال في ثمانيــة أجزاء وطلعة الشمس في أصول الفقه والبهجة في أصول الدين ومشارق أنوار العقول وسلك الدرر للشيخ خلفان بن جميل السيابي وله بهجة المجالس وسلاسل الذهب للشيخ محمد بن شامس البطاشي في ١٠ أجزاء وله إرشاد الحاير في أحكام الحاج والزاير وله غاية المأمول في الفروع والأصول في أربعة أجزاء وشرح لامية الشيخ الراشدي للشيخ محمد بن سالم الرقيشي في الدماء وغاية المرام في الأديان والأحكام للشيخ عامر بن خميس المالكي في أربعة مجلدات وله غاية التحقيق في أحكام الانتصار والتغريق وله غاية المطلوب في الأثر المنسوب وللشيخ منصور بن ناصر الفارسي أحد قضاة الإمام الخليلي مؤلفات وكذلك للشيخ سالم بن حمود السيابي مؤلفات وعين المصالح في جوابات الشيخ صالح بن علي الحارثي والفتح الجليل من جوابات الإمام أبي خليل محمد بن عبد الله الخليلي وخلاصة الوسايل في ترتيب المسائل للشيخ عيسى ابن صالح الحارثي.

وللزمخشري :

سهري لتنقيح العلوم ألذ لي ... من وصل غانية وطيب عناق
وتمايلي طرباً لحل عويصة ... أحلى وأشهى من مدامة ساق
وصرير أقلامي على أوراقها ... أحلى من الدوكاء والعشاق
وألذ من نقر الفتاة لدفّها ... نقري لألقي الرمل عن أوراق

أأبيت سهران الدجى وتبيته		نوما وتبغى بعــد ذاك لحاقي

ولغيره :

إن صحبنـا الملوك تاهوا علينا		واستبـدوا بالرأي دون الجليس
أو صحبنا التجار عدنا إلى التجر		وصرنـــا إلى حساب الفلوس
فلزمنا البيوت نستعمل الحبر		ونملا بـــه وجوه الطروس

ولغيره :

شيآن أحلى من عنـاق الخرد		وألذ من مـاء القراح الأسود
وأجل من رتب الملوك عليهم		حلل الحرير مطرزاً بالعسجد
سود الدفاتر أن أكون نديمها		طول الحياة وبرد ظل المسجد

التنبيه الثاني في بعض مسائل اختلفت فيها العلماء ورأي الاباضية فيها

فمن ذلك صفات الباري سبحانه هل هي هو أو هـــي غيره فمذهب الاباضية أن صفاته الذاتية هي ذاتـه لا بشيىء زايد عليه ووافقهم على هذا العلامة ابن العربي الأندلسي المالكي وقال لا فرق بين قول القايل إن صفات الله غيره وبين قول اليهود إن الله فقير إلا تحسين العبارة .

ومن ذلك خلود الفاسق الذي مات غير تايب في النار ووافقهم على هذا السعد من المالكية وقيل إنه من الشافعية ونص كلامه في قوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لما كانت الآية نازلة في شان التأيب دل سبب النزول على أن المراد بقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لمن يكون تائبا من ذنبه فلا يفيد جواز المغفرة بدون التوبة انتهى وهذا هو قول جابر بن زيد في تفسير الآية والحجة له من القرآن قوله تعالى إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله

عليهم الآية . وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار الآية وهذا هو قول المعتزلة أيضاً وقال الله تعالى ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فأولئك ماواهم جهنم خالدين فيها وقوله تعالى في سورة المؤمنون في وصف المؤمنين بعد أن ذكر الزنا وقتل النفس ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب الآية وفي صحيح الربيع والبخاري ومسلم أحاديث مؤيدة ومفسرة لمراد الآية كالذي يقتل نفسه بسم أو حديدة فحديدته في يده إلى قوله خالداً مخلداً فيها الحديث رواه مسلم وحديث البخاري ومسلم ما من عبد يسترعيه الله رعيّة يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة . (ومن ذلك شفاعة النبي ﷺ لا تكون لمن مات مصرا غير تايب إنما الشفاعة لمن مات على صغيرة أو مات وقد نسي ذنبا أن يتوب منه أو لزيادة درجة في الجنة أو لتخفيف الموقف على المؤمنين وإراحتهم منه إلى الجنة لقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وقوله تعالى لا يشفعون إلا لمن ارتضى).

وقوله عليه السلام لعشيرته لا أغني عنكم من الله شيئاً يا عباس ويا صفية ويا فاطمة الحديث لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم . وقال جابر بن زيد والله ما لأهل الكبائر شفاعة

لأن الله أوعد لأهل الكبائر النار في كتابه وإن جاء الحديث عن أنس بن مالك أن الشفاعة لأهل الكبائر فوالله ما عنى القتل والزنا والسحر وما أوعد الله عليه النار ويلزم من هذه المسئلة والتي قبلها أن الايمان قول بلا عمل وهو باطل وبهذا قالت المعتزلة .

ومن ذلك القول برؤية الباري سبحانه في الدار الآخرة ، فالاباضية يمنعون ذلك والمنع قول عائشة من الصحابة وقتادة والزمخشري وغيرهم من المعتزلة والشيعة والحجة قوله ـ تعالى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار والإدراك يكون بالقليل كما يكون بالكثير فنفا ذلك عن نفسه ، وبقوله لموسى عليه السلام لن تراني ، وهي تقتضي التأبيد ، والأحاديث الواردة آحادية وتقبل التأويل لتنطبق مع الآيات ولأنه يلزم من يقول بالرؤية إثبات الجهة واللون لله تعالى وهو باطل . (ومن ذلك قول من قال إن القرآن غير مخلوق فعند المحققين من الاباضية أنه مخلوق إذ لا تخلو الأشياء إما أن تكون خالقاً أو مخلوقاً وهذا القرآن الذي بأيدينا نقرؤه مخلوق لا خالق لأنه منزل ومتلو وهو قول المعتزلة والعلم غير المعلوم) . ومن ذلك نفي التشبيه عن الله سبحانه وتعالى ، فبهذا يقول الاباضية وكل ما ورد مما يوهم التشبيه فهو مؤول بما يليق به كقوله تعالى تجري بأعيننا فاثبت عيونا كثيرة . وقال ولتصنع على عيني فدلت هذه الآيات أنها غير مراد ظاهرها . وقوله تعالى على العرش استوى ، والآيات كثيرة فهي عندهم مردودة إلى قوله

تعالى ليس مثله شيء، وأثبت هذا كثير من العلماء كالبيضاوي وغيره فهو أسلم اعتقاداً وأحوط مخافة الوقوع في الزلل.

قال صاحب الجوهرة من الأشعرية:

وكل نص أوهم التشبيها أوّله أو فوّض ورُمْ تنزيها

ومن ذلك قولهم في مرتكب الكبيرة إنه كافر كفر نعمة أخذاً من قوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون. وقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين، فكل من لم يحكم بما أنزل الله وهو مستطيع فهو كافر وكل تارك للحج وهو مستطيع فهو كافر نعمة الله التي أنعم بها عليه من الاستطاعة بمعنى أنه سترها وهو معنى الكفر لغة، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، وقول امرأة ثابت بن قيس في صحيح البخاري أخاف الكفر في الإسلام والأحاديث الكثيرة في الصحيح.

ومن ذلك قولهم في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إنهم كغيرهم في الأعمال لا في درجات الصحبة والمنزلة الأخروية، فالعاصي منهم كغيره من بعدهم لقوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم. وقوله تعالى عند ذكر بيعة الرضوان ومن نكث

فانما ينكث على نفسه . وقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم الزاني منهم وجلد الشارب وقطع يد السارق منهم وهجر عاصيهم وقال لو سرقت فاطمة ابنته لقطعتها ووافقهم على هذا المعتزلة وهو رأي الصحابة أنفسهم في بعضهم بعض وهم أسوة .

ومن ذلك براءتهم من العاصي وهي هجرانه وبغضه على معصيته وهي ماخوذة من فعل النبي صلى الله عليه وسلم في الثلاثة الذين خلّفوا حتى إذا ضاقت عليهم بما رحبت [1] وأحاديث المحبة

---

(١) لا يرى سمحنا إبراهيم مفتي سلطنة عمان في هجران الثلاثة دليلا على البراءة منهم ويقول إن الهجران يكون بغير براءة وهجرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظارا لأمر الله فيهم بقى النظر في تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل هو واسع أو غير واسع والظاهر أنه غير واسع وأنهم ارتكبوا معصية بتخلفهم بدليل قوله تعالى ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الآيه وثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم امتنع حتى عن رد السلام عليهم ورده فريضة وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث واستدل العلامة أبو روح ابن عربي شيخ أبي سعيد بقوله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض واستدل المحقق الخليل بقوله تعالى فأصبحتم بنعمته إخوانا وكل من انحرف عن الطاعة إلى المعصية الكبيرة فليس من الأخوة وليس من المؤمنين بل هو من كفار النعم أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون والاباضية يوجبون الولاية للأشخاص والبراءة من الأشخاص بالإجماع قياساً على ثبوتها في الجملة ولحديث ثبت عندهم عن عمر الخطاب وعمرو بن العاص من رأينا منه خيرا قلنا فيه خيرا وظننا فيه خيرا وتوليناه ومن رأينا فيه شرا قلنا فيه شراً وظننا فيه شراً وتبرأنا منه) .

والبغض للمطيع والعاصي وبهما تختلف المنـــازل عند الله وعند الخلق وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون . وفي أبي داود من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان ، قال في الجامع الصغير صحيح .

ومن ذلك أنهم يؤمنون بالقضاء والقدر أنه من الله وأن الخير والشر خلق من الله وكسب من العباد وهم يوافقون أهل السنة في هذا والحجة قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون والله خالق كل شيء له الخلق والأمر لا يسأل عما يفعـل وهم يسألون ولو ثبت للعباد خلق لزم ثبوت شريك هل من خالق غير الله هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونــه . وفي ترجمة أبي عبيدة مسلم أبحاث مفيدة .

ومن ذلك أنهم لا يرون لزوم الإمامة في قريش وهـــو قول الأنصار وعمر بن الخطاب وأبي ذر من الصحابة واختاره العلامة الشنقيطي صاحب أضواء البيان وغيره من العلماء .

ومن ذلك أنهم يوجبون الاستنجاء بالماء بعد البول والغائط ، والخلاف معهم في الاستجمار وهو مأخوذ من قـول الله تعـالى في وصف أهل قباء فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين فلما سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن صفة طهارتهم قالوا نتبع الحجارة بالماء والمدح من المولى بشيء يوجب العمل به كمدح الموفين

بالنذر ومدح النبي إسماعيل عليه السلام وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة الآية وهو من سنن الفطرة وثبت من فعل النبي صلى الله عليه وسلم كما في البخاري ومسلم .

ومن ذلك أنهم لا يقولون بالمسح على الخفين وأن الصلاة لا تجوز به والمنع مأخوذ من قول الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق الى قوله وأرجلكم إلى الكعبين وقول النبي صلى الله عليه وسلم ويل للأعقاب ولبطون الأقدام من النار والحديث في مسند الربيع والبخاري ووافقهم على ذلك كثير من علماء المذاهب والخلاف مع المالكية وقول الاباضية موافق لقول عائشة وأنس وابن عباس وقالت عائشة قطع الله رجلي يوم أمسح على الخفين وروى القرطبي وغيره من العلماء عن أبي ميسرة المائدة من آخر ما نزل ليس فيها منسوخ وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع احلوا حلالها وحرموا حرامها وآية الوضوء في سورة المائدة فيلزم العمل بها وترك المسح على الخفين .

ومن ذلك أنهم يبطلون الصلاة بالقنوت فيها ومنه قول آمين مستدلين بقوله تعالى وقوموا لله قانتين وقول النبي صلى الله عليه وسلم صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيىء من كلام الآدميين وهو موافق لقول الإمام أحمد من قنت في الصلاة فقد اتبع نفسه

هواها وفي الموطأ أن ابن عمر كان لا يقنت وروى أنه بدعة وقال أبو يعقوب من علمـــاء الاباضية إن من صلى خلف من يقنت لم تفسد صلاته ولو تعمد الصلاة معه .

ومن ذلك أنهم لا يرون رفع الأيدي مع وبعد تكبيرة الإحرام ولا ضمها إلى الصدر إذ لم يثبت معهم هذا من فعل النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك روى اللخمي والزرقـاني عن إمامهم مالك بن أنس وكانوا كذلك في الأندلس حتى توعد بعض ملوك الأندلس وهو مالكي المذهب أن يقطع يد من يرفع يديه في الصلاة ذكره في نفح الطيب ويؤيده ما رواه الحاكم في المدخل من حديث أنس من رفع يديه في الصلاة فلا صلاة له وفي مسلم وأبي داود عن جابر ابن سمرة قال خرج علينا رسول الله صلى عليه وسلم فقال مالي أراكم رافعي أيديكم في الصلاة كأنها أذناب خيل شمس اسكنوا في الصلاة وهو شامل لكل رفع والحديث في مسند الربيـع .

ومن ذلك أنهم يوجبون القصر في الصلاة لمن تعدى فرسخين عن وطنه مسافراً والفرسخ ثلاثة أميال والميل أربعة آلاف ذراع والذراع ذراع المسافر وقيل الأوسط والذراع من العظم الذي يكون من خلف متصلا بالعضد إلى آخر الإصبع الوسطى وقيل أربع وعشرون إصبعا وقيل الميل ألف باع والباع أربعـــة أذرع وهو قول أبي حنيفة وأطال الاحتجاج له صاحب زاد المعاد وأجمعت الأمة أنه

من فعل النبي صلى الله عليه وسلم إذا سافر ومدة إقامته في منى وفي مكة بل ويجمع بين الصلاتين قصراً في منى وسال عمر بن الخطاب رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم ما بالنـا نقصر الصلاة ونحن آمنون والله يقول إن خفتم فقال له صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته رواه الجماعة إلا البخاري وفي البخاري ومسلم عن أنس خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة فكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة وقال مالك وحماد بن سليمان يعيد الصلاة من أتم في السفر كما هو المذهب .

ومن ذلك أنهم يفسدون صيام من أصبح جنبا عملا بقول النبي صلى الله عليه وسلم من أصبح جنبا أصبح مفطراً والحديث رواه الربيع بن حبيب والبخاري ومسلم ومالك في الموطأ وبهذا قال عروة والحسن البصري وإبراهيم النخعي وطاوس وهو أحد قولي الشافعي .

ومن ذلك قولهم بتحريم المزنى بها لمن زنى بهـا عملا بقوله تعالى الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين وبأحاديث كثيرة رواها جابر بن زيد وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والقول بالتحريم قال به عدد من الصحابة منهم ابن مسعود وعائشة والبراء ابن عازب وأبو هريره وعلي بن أبي طالب وجابر بن عبدالله .

ومن ذلك أن الرضاع قليله وكثيره يحرم التزاوج وهو ظاهر القرآن .

ولم تصح معهم الأحاديث المروية بتحديده وهو قول مالك والثوري والأوزاعي وابن المبارك ووكيع وكثير من الصحابة كما قال الترمذي .

ومن ذلك أنهم لا يحكمون باليمين والشاهد للمدعي وهو قول أبي حنيفة والثورى والأوزاعي عملا بالآيات واستشهدوا شهيدين من رجالكم وأشهدوا ذوى عدل منكم والأحاديث المروية في ذلك لم تصح معهم وما صح مؤول .

ومن ذلك أنهم يحرمون حلق اللحية وقد أجمع على توفيرها الصحابة ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حلقها وقال جزوا الشوارب واعفوا اللحى وخالفوا المجوس وفي رواية وخالفوا أهل الكتاب وفيه تشبه بالنساء ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التشبه بهن وفيه أن توفيرها من الخصال العربية التي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمحافظة عليها بقوله بعثت متمماً لمكارم الأخلاق واللحية عربية والحلق أعجمي .

ومن ذلك تحريمهم شرب الدخان أخذاً من قوله تعالى ويحرم

عليهم الخبائث وهو من الخبايث المبعوث محمد صلى الله عليه وسلم بتحريمها وقد اتفق الأطباء على أنه مضرة وتجنب المضرة واجب شرعاً وعقلاً وفيه إضاعة للمال وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إضاعة المال

قد استراح القلم من جولانه مسآء يوم الجمعة الموافق تسعة
وعشرين من شهر محرم الحرام من سنـة أربع
وتسعين وثلاثمائة سنة بعـــد الألف من
الهجرة النبوية على صاحبها أفضل
الصــلاة والسلام .

نسختهلمؤلفه الشيخ العــالم العلامـة الجامع بين علمي
المعقول والمنقول الشيخ سالم بن حمد بن سليمان بن
حميد الحارثي وأنا العبد لله الفقير إبراهيم
ابن يعقوب بن سالم بن حمد بن
سعيد البراشدي بيده .

فهرست

كتاب العقود الفضية في اصول الاباضية
تقريظ الفقهاء لهذا الكتاب وترجمة حياة المؤلف
وثايق تاريخية تتعلق بالاسطول البحري اليعربي

تصويب

خطأ	صواب	س	ص
ما تشابه ابتغاء	ما تشابه منه	١٣	١
ترجعوا	ترموا	١٧	١٣
واوطأكم	واوطأتكم	٦	٢٣
والبم	والبهم	١٩	٢٧
طهر	ظهر	٨	٢٨
فبينما يعالج	فبينما هو	٥	٣٤
وخكى	وحكى	٢	٣٥
واول البارزين	المبارزين	١	٤٣
عمر	عمرو	١٣	٤٥
بينما	بينهما	١٦	٥١
الحكم للرجال	الحكم فيه	١٦	٥٥
احدا ذلك	احداً يرد	١٠	٥٦
النجر	النحر	١٦	٦٠
عمر	عمرو	٨	٦٤
ينبغي يسلكوه	ينبغي أن	١٧	٧١
جنودا احكموا	حكموا / على،	٦	٧٧
اتفق	أنفق	٧	٨٣
مفرة	مغفرة	١٤	٨٦

خطأ	صواب	س	ص
المال	الماء	١٠	٨٨
انشاء	انتشاء	١	٩٣
وأسوتاه	واسوأتاه	٢٠	٩٦
الا كادين	الا كارين	١	٩٧
كان الندب	كان من	٤	٩٨
للسلام	للقلام	٦	١٠١
ولو اراد الخروج	ارادوا	١٣	١١٦
عمر بن حطان	عمران	١	١١٧
اظلم ذكر	أظلم ممن	١٦	١٢٥
مع الله	مع رسول الله	٣	١٣١
ستنا	متنا	٢	١٣٤
سيفه سيفه	سفيه سفهه	٨	١٤٠
عن	ثمن	٩	١٤٦
ينسج	ينج	٨	١٧٠
طولا	طوعا	١٠	١٨١